فاتق الرتوق

على

راتق الفتق

تأليف

القطب الرباني والعارف الصمداني

سيدي ماء العينين بن فاضل الشنقيطي الحسني

رضي الله عنهما

تصحيح ومراجعة

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث



تأليف

القطب الربّاني والعارف الصمداني

سيدي ماء العينين بن فاضل الشنقيطي الحسني

رضي الله عنهما

تصحيح ومراجعة

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي





رقم الإيداع
٢٠٠٦/٥٩٠٦
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-315-107-7

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جامع ما افترق، رازق من توكل عليه وبه توثق، معين من تكسب بالشريعة وتحقق، والسلامان على أفضل من عنه العرم انفتق محمد خير من تأخر من الكون ومن سبق، (وبعد) فقد كنت فيما غبر من زماني، قلت قصيدة غريبة المباني، لعدم تلاصق حرفين منها مع حسن المعاني، وضعتها في التوكل وعدم عيب ذي التكسب، والحث على عدم إظهار الشماتة لمن سه الدهر بالتنكب، ثم إنه طلب مني بعض الإخوان شرح تلك الألفاظ، وتبيين معانيها للقلوب والألحاظ، فلم يمكنني إلا إسعافه، بما أراد وبه إتحافه، خوفا عليه مما قاله الشاعر، فيمن تعلم علماً ولم يفهمه للمناظر:

إن الرواة بغير فهم ما حفظوا　　مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له　　ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

وسميته: (فائق الرتق على راتق الفتق) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وهو حسبي وهو الحكيم العليم. قلت في النظم بعدما قلت: بسم الله الرحمن الرحيم:

زُرِع رزقٌ راعٍ زرع روحٍ　　وذات زارع وراء روح

(اللغة): زرع كمنع: طرح البذر، كازدرع، وأصله: ازترع، أبدلها دالا لتوافق الزاي وزرع الله للشيء: أنبته، ويقال للصبي: زرعه الله

أي: جبره، والزرع: الولد والمزروع جمعه: زروع، وموضعه: المزرعة "مثلثة الراء"، والمزدرع، وكسفينة الشيء المزروع وكسكيت ما ينبت في الأرض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام الحصاد، والزرعة "بالضم": البذر والمراد في النظم: الأول، (رزق) الرزق "بالكسر": ما ينتفع به كالمرتزق والمطر، جمعه: أرزاق "وبالفتح": المصدر الحقيقي، والمرة الواحدة بهاء جمعه: رزقات "محركة"، ومن شواهد كونه للمطر: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات:٢٢] ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ﴾ [الجاثية:٥] (راع) اسم فاعل من رعى أمره: حفظه، والاسم: الرعيا والرعوى "ويفتح" والراعي: كل من ولي أمر قوم، جمعه: رعاة ورعيان ورعاء "ويكسر" (زرع) أي: مزروع (روح) "بالضم": ما به حياة الأنفس "ويؤنث"، والقرآن، والوحي، وجبريل عليه السلام، وعيسى عليه السلام، فمن الأول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩] ومن الثاني: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] سمي القرآن بذلك لأنه تحيا به القلوب كما يحيا الجسد بالروح، ومن الثالث: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل:٢]، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر:١٥] ومن الرابع: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل:١٠٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:١٥] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١] حيث نفخ جبريل في جيب درعها ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [المعارج:٤]، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣] ويقال الروح أيضاً لأمر النبوة، وحكم الله تعالى وأمره، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] أي: علم ربي

فالروح خلق على صورة بني آدم، لهم أيد وأرجل و رءوس، ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون، قاله في "عجالة الراكب" وملك عظيم وجهه كوجه الإنسان وجسده كالملائكة، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ:٣٨] والنور والهدى والتوفيق، وعلى هذه الثلاثة أو أحدها حمل ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] (وذات) ذات الشيء: حقيقته ونفسه، قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١] أي حقيقة وصلكم أو: ذات البين: الحال التي بها يجتمع المسلمون (زارع) اسم فاعل من زرع المتقدم وزارع اسم كلب، ومنه قيل للكلاب أولاد زارع والمزرعة "مثلثة وتحرك": موضع يزرع فيه، ومنه ما في الأرض زرعة، وزرع له بعد شقاوة كعنى أصاب مالاً بعد الحاجة، وأزرع الزرع: طال، وللناس أمكنهم الزرع والمزرعة المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من مالكها، وتزرع إلى الشر أسرع (وراء) مثلثة الآخر مبنية، وللوراء معرفة يكون خلف وقدام ضد أولا لأنه بمعنى وهو ما تورى عنك، والوراء أيضاً ولد الولد، ومن شواهد وراء بمعنى قدام قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم:١٥-١٦] ﴿وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٧] ﴿وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف:٧٩] ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون:١٠٠] وقول الشاعر:

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقوم تميم والفلاة ورائيا

(روح) بالفتح: الراحة والرحمة والحياة، ومنه قول الشاعر:

فالهم فضل وهول العيش منقطع والرزق آت وروح الله منتظر
فما رزقت فإن الله جالبه وما حرمت فما يجرى به القدر

ويقال أيضا لنسيم الريح، وأما الريحان فهو الرزق، قال الشاعر:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر
غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

وفي الحديث: «**الولد ريحان الله**» وقولهم: سبحان الله وريحانه: نصبوهما على المصدر، يريدون: تنزيهاً له واسترزاقاً (الإعراب) زرع فعل ماض مبني للمجهول، ونائبه رزق، والثلاثة بعده كل واحد مضاف إليه ما قبله، ولا يضر ما دون الأربعة من تكرار الإضافة بالبلاغة لقوله تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ**﴾ [مريم:٢] وذات: مبتدأ، زارع مضاف إليه ووراء: ظرف مكان، وروح: مضاف إليه (المعنى) يعني أنه طرح ووضع رزق حافظ بذر الروح، وزرع الروح الذي نعيش به هو الأعمال الصالحة وأن ذات الزارع أي المتكسب وراء أي خلف الروح أي النعيم. هذا من الناظم حث على التوكل لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود:٦] وقوله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] وكان الناظم صرح بهذا لأنه جعل صاحب التوكل كالذي طرح له رزقه مفروغ من الشغل فيه وليس على صاحبه إلا الأكل والشرب، وذات المتكسب بعيدة من النعيم والراحة لما ينال صاحبه من المشاق والخاوف والتعب في تحصيله، قال

ﷺ: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف» وهذا الحديث من جوامع كلمه عليه السلام، ولذلك قال بعضهم: والتكلف مذموم في كل شيء حتى في الكلام واللباس والتمول مع أنه صار دأب أهل هذا الزمان، ولا يكاد يسلم منه إلا الأفراد، واعلم أن مقام التوكل على الله مقام شريف عليّ، بل لا في مقامات التقوى أعلى منه، ولا ما يصدر منه الخير مثل ما يصدر عنه، وهو أدل شيء على الإيمان والتقوى، وبه وبالتقوى ينال المرء ما يهوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤] وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم:٧٢] وقال: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٥] وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] وقال ﷺ: «يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة، ثم قرأ ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب(١)﴾» يعني البركة في الرزق، وقال: «من اتقى الله أهاب منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء» وقال: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء» وقال الجوزي: كان الشيخ يدور في المجالس يقول: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله، وقال الأعمش: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسنة عن وصف ربحه، وقال القشيري في رسالته: وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله عن عقوبته، واعلم أني قدمت لك هذا من الحث على

---

(١) [الطلاق:٢-٣]

التقوى لأن التوكل نتيجة، بل لا توكل لمن لم يتق الله، وكلما كثر التقوى كثر التوكل، وكلما قل التقوى قل التوكل، تجربة صحيحة، ومن فوائد التوكل أن صاحبه لو اجتمع عليه أهل السموات والأرض ما ضروه بشيء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣] وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠] وقال ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» ومعنى التوكل أن تفوض أمرك إلى الله ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض إليه نفسك، ومن كلام الحكيم "توكل على الله يكفيك واعتمد على فضله يغنيك"، قال الشاعر:

ولو أنني فوضت لله وحده كفاني ولم أرجع من الله خائبا

وليس من شرط التوكل ترك الكسب والتداوى والاستسلام للمهالك وذلك خطأ بل حرام في الشرع، وإذا اعتقد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فالحول: الحركة، والقوة: القدرة، فإذا كان هذا حالك فأنت متوكل وإن سعيت، وقيل لأبي حازم: إن البرقد غلا، فقال: والله لو بلغ حبة بدينار ما باليت، علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه رزقنا كما وعدنا، وقال ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» ويروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء أن ينادي: إن ربكم يقول: من تحول لي مما أكره إلى ما أحب تحولت له مما يكره إلى ما يحب.

ثم اعلم أنه لن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الأسباب ولو كان فيها متقيا، فالمتسبب والمتجرد إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما عليه أعلى وأكمل ولذلك قال بعض العارفين: مثال المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لأحدهما: اعمل وكُلْ من كسب يدك، وقال للآخر: التزم أنت حضرتي وخدمتي وأنا أقوم لك بما تريد، فهذا قدره عند السيد أجل، وصنعه به ذلك على العناية به أدل، ثم إنه قلما تسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول في الأسباب لاستلزامها المعاشرة للأضداد ومخالطة أهل الغفلة والبعاد.

وأشد ما يعينك على الطاعات رؤية للمطيعين، وأشد ما يدخلك في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه وكل قرين بالمقارن يقتدي

(ثم قلت)

(وراغ ذا وراء ذاك وإذا أم رآه رأي راض ذا لذى)

(اللغة) راغ يروغ: مال وحاد، قال تعالى: ﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ** ﴾ [الذاريات:٢٦] ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾ [الصافات:٩٣] ﴿**فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ**﴾ [الصافات:٩١] وفي نسخة: راح، أي: خف، ومنه: راح للمعروف يروح راحة: أخذته له خفة وأريحية، ويده لكذا خفت، ومنه قوله ﷺ: «**ومن راح في الساعة الثانية**» لم يرد رواح النهار، بل المراد

خف إليها، ويحتمل أنه من الرواح وهو العشي أو من الزوال إلى الليل وأراح الإبل: ردها إلى مراحها بالضم، قال تعالى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦] (ذا) إشارة إلى المذكر تقول: ذا وذاك، وتزاد لاماً فيقال: ذلك، أو همزة فيقال: ذائك، ويصغر فيقال: ذياك وذيالك، وقد تدخل هاء التنبيه على ذا وذي، وذه للمؤنث (وراء) بالمد هو ضد قدام ومرادف لخلف، وتقدم الكلام عليها (ذاك) الكاف في ذا يدل على المبعد سواء كان معه اللام نحو "ذلك" أو وحده نحو "ذاك" قال ابن مالك:

ولدى البعد انطقا بالكاف حرفا دون لام و معه

قوله: "حرفا" يعني أن الكاف في "ذلك" حرف خطاب تبين أحوال المخاطب من كونه مذكراً أو مؤنثاً، مفرداً أو مثنى أو مجموعاً، فيقال: ذلك وذلك وذلكما لمثناهما، و ذلكم وذلكن وقيل: إذا كان ذا وحدها دل على القرب في الإشارة، وإذا كان مع الكاف وحدها دل على التوسط وإذا كان مع اللام دل على البعد (وإذا) قال في "مغني اللبيب": إذا على وجهين: أحدهما: أن تكون للمفاجأة، أي الهجوم والبغتة، فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب - أي لعدم تضمنها للشرط - ولا تقع إلا في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب ومنه: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه:٢٠] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ [يونس:٢١] وهي حرف عند الأخفش ويرجحه قولهم: خرجت فإذا إن زيدا بالباب - بكسر إن - لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد، وظرف زمان عند الزجاج، والوجه الثاني أن تكون

لغير مفاجأة، والغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم:٤٨] ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك، وقد اجتمعتا في قول أبي ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

دخلت في الأول على الماضي، وفي الثاني على المضارع (أم) أي قصد، وفعله كنصر، ومنه: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢] (رأه) الرؤية: النظر بالعين وبالقلب، ورأيته رؤية ورؤيا وراءة وراية ورئيانا، والرؤيا: ما رأيته في منامك، جمعه رؤى كهدى (رأي) مصدر من رأى كما تقدم قريبا، والرأي: الاعتقاد، جمعه آراء وآراءاء وأرى ورى ورى ورِنى كغنى، وتراءى القوم: رأى بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ [الأنفال:٤٨] وفي الحديث: أرأيتك وأرأيتكما وأرأيتكم، وهي كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني وأخبراني وأخبروني والتاء مفتوحة، قال تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٠] ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان:١١] وقوله تعالى: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم:٧٤] أي منظراً، فهو من الرؤية، قال محمد ابن نمير:

أشاقتك الظعائن يوم بانوا بذي الرأي الجميل من الأثاث

(راض) اسم فاعل من رضي عنه وعليه يرضى رضاً ورضواناً وبضمتان، ومرضاة، ضد سخط فهو راض من رضاة (أذى) أي فعل الأذى وهو المكروه (الإعراب) وراغ ذا: فعل ماض وفاعله، ووراء: ظرف مكان، ذاك: مضاف إليه وإذا ظرف، أم: فعل ماض فاعله ضمير يرجع إلى ذا، رآه: فعل ومفعوله، وفاعله ضمير يرجع أيضاً إلى ذا رأي مفعول مطلق، راض: مضاف إليه، ذا: مبتدأ، أذى: فعل ماض فاعله ضمير مستتر يرجع إلى ذا الذي قبله، والجملة خبر ذا (المعنى) يعني أن ذا القريب في البيت الذي هو المتكسب المعبر عنه الزارع راغ أوراح خلف ذلك المتقدم الذي هو صاحب التوكل ولم يبلغ درجته ولو فعل ما فعل، وأن صاحب التكسب إذا قصد صاحب التوكل ليزوره مثلا رآه رأي راض، بمعنى أنه يرى حالته التي هو فيها مرضية عنده وهو مع ذلك لا يفعل فعله، ولذلك قال آخر البيت: ذا أذى، أي: هذا يؤذي من وقع فيه لأن ما فيه المتوكل من الأوصاف والتجرد لله ليس بممنوع من المتسبب ولا حائل أحد بينه معه وهو راض به، ومع ذلك لا يفعله - أعاذنا الله وإياكم من البلاء ودرك الشقاء - وتلك حكمة بالغة، وتصديق لقوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» ولما هو لو شاء وقدر له أن يفعل لفعل لأنه لا مانع له من الفعل، كما قال الشاعر:

إذا أعجبتك خصال امرئ	فكنها يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات	إذا جئتها حاجب يحجبك

اعلم أن سبب رضا صاحب التكسب على صاحب التوكل أنه أسخط الناس بالانقطاع إلى الله وطلب رضاه فأرضى الله عليه الناس قال ﷺ: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**» وقال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**» وقال: «**من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس له ذاماً**» والمفهوم معلوم، وهو أن من التمس مساخط الناس بطاعة الله عاد ذامه من الناس له حامداً، وقال: «**من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله**» وقال: «**من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين، ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين**» خرج هذه الأحاديث راموز الحديث، وأيضاً الحالة الحسنة محبوبة عند الأنفس لا محالة، ولا حالة حسنة أحسن من حالة شخص تارك أنواع التدبير وأهله مع ذلك مكفي المؤنات حسن الحالات محفوظ من المخلوقات، وما ذلك إلا لحسن توكله حتى كفي من الشيطان، وهو قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل:٩٩] قال في "التنوير": قلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساويس التدبير، أو يرد عليها وجوه التكدير؟ وفي الآية بيان أن من صحح الإيمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه؛ لأن الشيطان إنما يأتيك من أحد

وجهين: إما تشكيك في الاعتقاد، وإما ركون إلى الخلق واعتماد، فأما التشكيك في الاعتقاد فالإيمان ينفيه، وأما السكون أي الركون إلى الخلق والاعتماد فالتوكل على الله ينفيه ، واعلم أن سلامة القلوب من التطهير في شأن الرزق منة عظمى لا ينالها إلا الموقنون الذين صدقوا الله في حسن الثقة فاطمأنت قلوبهم إليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى قال بعض المشايخ: احكموا لي أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات - جعلنا الله وإياكم ممن تولاه في الحياة وبعد الممات - ثم قلت:

أذن داع أول وذان درء وراودوه رود دان

(اللغة) أذن لشيء كسمع إذناً بالكسر ويحرك وأذانا وإذانة: علم به ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ [البقرة:٢٧٩] أي: كونوا على علم، وأذنه الأمر وبه: أعلمه، وأذن تأذيناً: أكثر الإعلام، وأذن إليه وأذن له: استمع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] قال الشاعر:

صمم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

والأذن بضم وبضمتين: الرجل المستمع القائل لما يقال له، ومنه: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ [التوبة:٦١] وأذن تأذيناً: نادى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ [يوسف:٧٠] ومنه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧] وتأذن: أعلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف:١٦٧] ومنه: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٣] (داع) اسم فاعل من دعا إلى كذا بمعنى: نادى، والدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، دعا دعاء ودعوى وهو مني دعوة الرجل أي: قدر ما بيني وبينه ذاك، ولهم

الدعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليه: تجمعوا ودعاه: ساقه، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله، ويطلق على المؤذن ودعا: عبد، ومنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [العنكبوت:٤٢] أي يعبدون، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء﴾ [يونس:٦٦] ومنه: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦] ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف:١٩٤] وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧] يطلبون ويتمنون، والعرب تقول: ادع من شئت، أي: تمن، ومنه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣١]

(أول) الأول: ضد الآخر، أصله أوأل، أو ووأل، جمعه الأوائل والأوالي على القلب والأولون، وهي الأولى، جمعه كصرد وركع، وإذا جعلت أولا صفة منعته وإلا صرفته، تقول: لقيته عاماً أول وعاماً أولاً وعام الأول قليل، وتقول: ما رأيته منذ عام أول، ترفعه على الوصف وتنصبه على الظرف وأبدأ به أول تضم على الغاية كفعلته قبل وفعلته أول كل شي بالنصب، وتقول: ما رأيته مذ أول من أول من أمس، ولا تجاوز ذلك وهذا أول بين الأولية، وتخلف الياء في مادة وأل، وذان تثنية ذا، والألف علامة للرفع ويخلفها الياء في حالة النصب والجر، قال ابن مالك:

نكره القاموس جميعها الألف جراً ونصباً بعد فتح قد ألف

(درء) الدرء: الدفع، والفعل: درأ كجعل، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢] ﴿فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ﴾ [آل عمران:١٦٨]

﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور:٨] ومنــه: ﴿فَـادَّارَأْتُمْ﴾ [البقــرة:٧٢] أي: تخاصمتم لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا، وقال سعادة:

هلا درأت الخصم حين رأيتهم جنفا عليّ وبالشرور خصام

(وراودوه) أي طلبوه، والرود: الطلب، وهو المراد بقوله: (رود) أي طلب كالرياد والارتياد والذهاب والمجيء والمراودة والرواد والريــد بكسرهما، والإرادة: المشيئة (دان) اسم فاعل من دنا دنوا ودناوة: قــرب كأدناه ودناه تدنية وأدناه: قربه واستدناه: طلب منــه الــدنو، والــدناوة: القرابة والقربى (الإعراب) أدن فعل ماض، داع فاعله، أول بــدل منــه؛ لأن المراد منه هو ما أريد بالأول، وذلك هو ضابط بــدل الشــيء مــن الشيء وإن تغاير مفهوماهما نحو: جاء زيد أخوك، فالمراد بالأخ هو زيد وإن كان بين الأخ وزيد عموم وخصوص مطلق، فمفهوماهما متغــايران واعلم أن الدعي هنا مستقي معنى الأول، لكون الأول الداعي إلى الشــيء لابد وأن يكون سابقاً إليه، والسابق إلى الشيء أول بحســب مــن بعــده وبهذا المعنى يحسن جعل أول بدلاً من داعي، وإن شــئت جعلــت أولا فاعلاً وداعياً حالا ولم يظهر نصبه للضرورة، وأما فــي حالــة الرفــع فالضمة مقدرة في ياء المنقوص، وذان مبتدأ، والألف نائب عن الضــمة في التثنية، ودرء خبره، وراودوه: فعل ماض وفاعلــه ومفعولــه؛ رود: مفعول مطلق، دان: مضاف إليه (المعنى) قوله: أدن داع أول، يعنــي أن الأول الذي هو المتوكل أعلم حال كونه داعياً إلى الله بما هو فيــه مــن طريق الله يريد من يدخل معه فيها، وذلك شأن أهل الله من دعائهم الخلق

إلى طريق الله واتباعها، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّـهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] وقال: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف:٣١] قوله: وذان ذرء يعني أن صاحب التوكل وصاحب التكسب كلاهما مدفوع فيما هو فيه من حيث لايعلم، وذلك أن كلاً منهما مجبور على ما هو عليه لقولهم: للعبد مجبور في قالب الاختيار، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف:١٧] وقال: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩] وقال: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢] قوله: وراودوه يعني أن كلاً من الفريقين طالب لما هو فيه طلب شيء قريب منه لقوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» وذلك أن صاحب التوكل لا أيسر عنده من التوكل ولا أصعب عنده من التكسب، وصاحب التكسب، لا أصعب عنده من التوكل ولا أيسر عنده من التكسب فسبحان من أعطى لكل قلب ما أشغله قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠] وقال: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠] أي: ممنوعاً.

اعلم أنه تكلم في هذا البيت على ثلاثة أمور، أحدها أن أهل الله يدعون إلى طريقته وذلك هو الحكم النبوي الذي تجديده على الدوام مطلوب، وفيما فيه من الثواب أبداً مرغوب، وللدعاء إلى الله هو شأن المرسلين وصحابتهم وأتابعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]

أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله: (أدعو إلى الله على بصيرة) أي: أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء، و(أنا): تأكيد للمستتر في أدعو، و(من اتبعني): عطف عليه، يريد: أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون "أنا مبتدأ"، و"على بصيرة" خبراً مقدماً، و"من اتبعني" عطفاً على أنا إخباراً مبتدأ؛ فإنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وطغيان، ويجوز أن يكون (على بصيرة) حالاً من أدعو عاملة الرفع في (أنا ومن اتبعني) قاله "الكشاف"، والدعاء إلى السبيل يكون بأشياء كثيرة، كلها حاصلة في أمرين هما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: **«من رأى منكم منكراً فلينكره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»** رواه مسلم وفي "كشف الغمة": وكان ﷺ لا يزجرهم إلا عن حرام، وكان ﷺ إذا رأى إنساناً يفعل مالا يليق لم يَدَعْ أحداً يبادر إلى إنكار عليه حتى يتثبت في أمره ويعلمه الأدب برفق وكان ﷺ يقول: **«ائتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأى أحدكم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليه بخاصة نفسه، وليدع عنه أمر العامة»** وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] اعلم أن: (ومن بلغ) على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي: لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، وقيل: من الثقلين، وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً

ﷺ، وبالجملة فالدعاء إلى الله من شأن أهل الله المتقين من ولاة الأمـور والعلماء العالمين، واعلم أنه لا أدعى لناس إلى الله مثل أن يكون الداعي لها مستقيماً في نفسه، ولذلك قال ﷺ: «اجنبوا الناس بأفعالكم ولا تجنبوها بأقوالكم» وفي الحكم: ذو الاستقامة في أمره ينال مراده، ويسود على غيره، والاستقامة التابعة للسنن المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية قال الشاعر:

إذا كنت تسعى في الزيادة فاستقم تنل المراد ولو سموت إلى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما

ولذلك ذم تعالى من يأمر الناس بالبر ويترك نفسه بقوله تعالى: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾** [البقرة:٤٤] وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف:٢-٣] واعلم أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول؛ إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه، فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال عليه السلام: «مررت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: يا أخي يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن في النار رجلاً يتأذى أهل النار بريحه، فقيل: من هو يا رسول الله؟ قال: عالم لا

ينفع[١] بعلمه» وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه» وعن الشعبي: يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون: لم دخلتم النار ونحن إنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم؟ فقالوا: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله، كما قيل: من وَعَظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه، وقال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالرأي منك وينفع التعليم

وقيل: عمل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل.

واعلم أن من وعظ ولم يتعظ فهو الذميم، ومن علِمَ وعلَّمَ ولم ينته فهو السقيم، قال علي - كرم الله وجهه - قصم ظهري رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك. وأما من وعظ واتعظ فمحله عند الله عظيم، روي أن يزيد بن هارون مات وكان واعظاً زاهداً فرئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأول ما سألني منكر ونكير فقالا لي: من ربك؟ فقلت أما تستحيان من شيخ دعا الناس إلى الله تعالى كذا وكذا سنة فتقولان له: من ربك؟ وقيل للشبلي عند النزع: قل: لا إله إلا الله، فقال:

إن بيتاً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها: ينتفع والله تعالى أعلم. ا.هـ. مصححه.

قاله في "الفخر" (الثاني) من الأمور التي تكلم في البيت عليها أن صاحب التوكل وصاحب التكسب كلاهما آت لما هو فيه من جهة لا يعلمها، وذلك أنه تعالى خالق كل شيء وحاكم على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وقال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف:٥١] وإذا أراد أمراً قدر له أسبابه، وإذا أراد أن ينفذ أمراً سلب من ذوي العقول عقولهم حتى إذا أنفذه ردها إليهم، وليس للعبد من الأمر شيء، وكيف لا وهو تعالى قال لنبيه الكريم، الذي هو أفضل الخلق بالتعميم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] وإذا ضرب الإمام خاف المؤذن، ومن أين يكون لأحد شيء وكل شيء سواه فان؟ قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] إلا أن هذا الفناء لا يشاهده الآن إلا من فنى عن شهود أفعاله بأفعال الله، وعن صفاته بصفات الله وعن ذاته بذات الله، فإذا وقع ذلك شاهد الكون في محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال، وشاهدته مجبوراً في كل حال، واعلم أن فناء المريد طهارة النفس من التدنيس وفناء المريد تخلقه بأوصاف التقديس وأهل الصدق في الإرادة في باب الأعمال فانون، أدباء مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] وأهل المعرفة فناؤهم في حضرة الصفات، وذلك لهم اسماً تحقيقاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧] ويقال: فناء المريد بشهود التوحيد، وفناء المراد بالخروج عن المراد، وفناء العارف بشهود الأحدية في حضرة الواحدية، وفناء الفرد بتجلي الأحد بالغيبة عن كل أحد، وهذا

لا يكون حتى ترى منزع كون مشهد الحس هو محل جريان الشمس والمرء إذا استوت شمسه عند الزوال أفنت ما كان موجوداً من الظلال فاحرص على استواء شمسك بذهاب ظل غمامة حسك، كما قال بعضهم:

كان لي ظل ورسوم فاستوت شمس فزال
عشت بالمحبوب حقا بعد ما كنت خيالا

وفي هذا الفناء لا يرى الكون إلا كالخيال في حضرة هذا المقال كما قيل:

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
كل من يشهد هذا حاز أسرار الطريقة

واعلم أن الفناء والمعرفة كلاهما نتيجة للأخر؛ لأن من عرف الله فني عن شهود المخلوقات، ومن فني عرف الله، والمعرفة هي البغية القصوى، وهي الجنة التي تهوى، بل هي جنة المأوى، صاحبها ذو انكسار، ودمع عينه أو قلبه مدرار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣] والمعرفة انكشاف يوجب رفع الغطاء عما استتر وتغطى وهو يكون بحسب كل حضرة ومثول، ومقام واستعداد وقبول، ومعرفة الفرد فريدة للانفراد وأهليتها غريبة التولجد بين الأحاد، قال بعضهم:

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

ثم إن شهود حضرة العرفان، مانع من شهود الغير في الأكوان روح حياتها منادمة الحبيب، عند غيبة الرقيب، قال بعضهم:

أنتم حياتي وأنتم مشتكى حزني   وأنتم في ظلال الليل سمار
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم   وإن سكت فأنتم عند إضمار

وهذا مجال واسع الأكناف، بعيد الأطراف، لو تتبعته لاحتجت إلى مجلدات، وكثير من الأوقاف، (الثالث) من الأمور التي تكلم عليها في البيت هي كون كل من الفريقين طالب ما هو فيه طلب شيء قريب من الشخص وذلك لأمرين، أحدهما: تيسير الله له لما خلقه، كما قال صلى الله عليه وسلم «كل ميسر لما خلق له» والثاني: حبه له؛ لأن من أحب شيئاً هان عليه الصعب في تحصيله، وقرب عليه البعد في تنويله والمحبة تسهل على المرء خدمة محبوبه، وتيسر عليه ما صعب لنيل مرغوبه، ولذلك تجد المرء إذا أحب امرأة هان عليه أن يبذل لها جميع ماله، وأن يسير إليها من كل بعد عن رحاله، وإن أحب تجارة قطع في تحصيلها المفاوز، وبذل في أخذها المجاوزة، بل ولو ضربه محبوبه لجمل عنده ضربه، وقال بلسان الحال والقال: أفعال المحبوب محبوبة على كل حال، وهذا مما لا يقدر أحد أن يكذبه، فكيف بمن أراد محبة الله وقربه، وتوكل عليه، وأراد مالديه؟ ومحبة الله ثابتة في كتابه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فما من مؤمن يؤمن بالله ورسوله إلا وهو محب لله تعالى، بل الخلق كله محب لله لإحسانه عليهم والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وهو المحسن على أجسامها وعليها، لكن محبتهم على قدر يقينهم، ومعرفتهم وإيمانهم، فمتى قوي يقين العبد وتزايدت معرفته وإيمانه تزايدت محبته بقدر ذلك، وأول

المحبة ترك المعصية ولزوم الطاعة ومحبة رسول الله عليه السلام وأوليائه لأنهم أحباؤه، ومحب المحبوب محبوب، ومن شواهد محبة الله عز وجل في قلب العبد دخوله في خدمة مولاه بطيب نفس بلا وجود شدة وصعوبة؛ فإن المحبة كما تقدم تسهل خدمة المحبوب، لاسيما الذكر بالقلب؛ لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره؛ ولتعلم أن محبة الأولياء تفضي بصاحبها إلى نصيب مما يناله الأولياء من الله تعالى؛ فإن قلوبهم شبه المرآة ومن أحبهم يظهر اسمه في تلك القلوب المحبوبة، والله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه كل يوم نظرة رحمة، فمن كان اسمه مرقوماً في قلوبهم ينال نصيبه من الرحمة التي نظر بها إليهم بقدر محبته إليهم وقلوب الأولياء مع الله، ومن أحبهم فهو غير مفارق لهم وإن لم يستطع الوصول إلى رتبتهم؛ فإن المرء مع من أحب، والأصل في محبتهم المحبة لله؛ فإن في محبتهم رضوان الله، وصار المحب لهم كأنه لم يحب إلا الله ومن أهانهم فقد تعرض لسخط الله كما قيل: إن الله عز وجل قال: من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، واعلم أن أهل المحبة على أربعة أقسام: قوم أحبوه لإحسانه إليهم ولطفه بهم - وهي محبة العوام - وقوم أحبوه لأجل عظمته وجلاله وعزته، وهؤلاء لا تنقض محبتهم الضراء ولا تزيدها النعماء - وهي محبة خاصة أبناء الآخرة - وقوم تنحل أجسامهم من حرق المحبة وتتغير ألوانهم، وقوم تسمن أجسامهم إذا مازجها السرور بشهوده وغابوا عن نعمه ونقمه - وهذان مقامهما مقام خاصة الخاصة - ومما روي في المحبة أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام وقد جاء لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت

خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض، وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: ما أعددت لها؟ فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: المرء مع من أحب، فقال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك. وروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر وقد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم إلى ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حقٌ على الله أن يؤمن الخائف، ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم إلى هذا المقام؟ فقالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً كأن وجوههم المرايا من النور، فقال: كيف بلغتم إلى هذه الدرجة؟ قالوا: بحب الله، فقال عليه السلام: أنتم المقربون إلى الله يوم القيامة، وعن السدي قال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائهم، فيقال: يا أمة موسى، ويا أمة عيسى، ويا أمة محمد، غير المحبين منهم فإنهم ينادون: يا أولياء الله. وفي بعض الكتب: عبدي أنا وحقك لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] أما محبة الله لهم فإرادة الخير بهم، وحقيقتها في جهته تعالى لا يعبر عنها عند المتكلمين إلا بذلك، وحقيقة المحبة عند أهل الحقيقة نار تحرق الأكباد ولوعة تنمو وتزداد كما قيل:

وفي فؤاد المحب نارجـــوى أحر نـــار الجحـيم أبردهـــا

ويقال: حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب فيما يجلى على المحـب مـن مشاهدة الغيوب، وفي ذلك قيل:

بالسر إن باحوا تبـاح دمـاؤهم وكذا دماء البائحين تبـــاح

وربما سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحاً وشوقاً، فكيف به لو رأي حاله عياناً؟ كان يموت حقاً، وقيل في ذلك:

يا نسمة قد سرت لنا سراً سحراً من الحبيب لنا وقد أنعشت نفسـا

كيف العقيق وأبيات بذى سـلم وكيف خلفت ذاك المنزل القدسـا

ويقال: حقيقة المحبة خلاص جوهر للروح من الأعراض، وفنـاء النفس عن الحظوظ والأغراض، وقيل في ذلك:

أنا الغريب بنجـد مـذ عـرفتهم لن يبق لي معهم مال ولا نسـب

هذا ولتعلموا أن مقام المحبة لا ينال إلا بالتذلل، وفي الحكـم: إن شئت أن تلتذ بلحمة شهود العيان تذلل لمحبوبك في سائر الأماكن وكـل الزمان، وفي ذلك قال الشاعر:

تذلل لمن تهوى لتنهز فرصـة فكم عزة قد نالها المـرء بالـذل

ويقال: شوق الشوق به يطيب الذوق، ولهذا ترى الأشباح تابعـة للأرواح كما قيل:

ومازال بي شوق إليـك يقـودني يذلل منى كـل ممتنـع صعـب

إذا كان قلبـي سـائرا بزمامـه فكيف لجسمي بالمقـام بـلا قلـب

والحاصل أن المحبة تهين الصعب وتقود للطاعة الجسم والقلب ومن لم يطع فلا محبة له، ولذلك قال من تُصدَّق قوله:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وهذا هكذا لأن علامة المحبة قيام المحب بأوامر محبوبه واستجلاء ما مر من شئونه وخطوبه، ولذلك يرلوده في البعد مرلودة القريب، ويخاطبه في للجهل مخاطبة الحبيب، حتى تراهم أبداً كالشيء المتداني، ولذلك قلت: ورلودوه إن، ثم قلت:

رق ودع أزواج راد إن ردا ورد إرادة رعوف أوردا

(اللغة) رقى إليه كرضى رقيا ورقيا: صعد كان تقي وترقي والمرقاة ويكسر: الدرجة، ورقا عليه كلاما ترقية: رفع، وهي التي منها ما في النظم، وقوله ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة:٢٧] إي: من يصعد بروحه إلى السماء؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ (ودع) إلى اترك، أصله ودع كوضع وقد أميتَ ماضيه، وإنما يقال في ماضيه تركه وجاء في الشعر: ودعه وهو مودوع وقرِئَ شاذاً: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى:٣] وهي قراءته ﷺ، أي: ما تركك، ومنه: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدَعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢] والذي جاء في الشعر هو قوله:

ليت شعري يا خليل ما الذي عاله في الحب حتى وَدَعَهُ

وفي الحديث: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من وَدَعَهُ الناس اتقاء شره» وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:٦] أي

بعد الموت أو في الرحم (أزواج) جمع زوج بالفتح، وهو الصنف والنوع. قال تعالى: ﴿وَأَنبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥] ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا من كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة:٣٩] ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [المؤمنون:٢٧] والجمع هو الذي في النظم أزواج، قال تعالى: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص:٥٨] ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الواقعة:٧] ومنه: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى:٥٠] أي: بنوعيهم، وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤] أي: قرناهم، ومنه: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:٧] أي: قُرِنَتْ بأجسادها، أو قرن المؤمن بالمؤمن، والكافر بالكافر، وزوج المرأة بعلها، وزوج الرجل لمرأته، قال تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] (راد إن ردا) راد اسم فاعل من ردا، ومعنى ردا: هلك وأرداه: أهلكه، قال تعالى: ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٣] ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦] وتردى: سقط قيل: ومنه: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل:١١] أي سقط في النار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [المائدة:٣] وهي الساقطة من علو إلى أسفل، وقيل: معنى تردى: لبس أكفانه "من الرداء" كما قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تُلْوَى فيهما وحنوط

(ورد إرادة) قوله: رد يحتمل أنه فعل أمر من راد يرود بمعنى طلب، فتكون الراء مضمومة على هذا الوجه، ويحتمل أن يكون من ورد

يرد بمعنى دخل، أو جاء إلى الشيء دخله أو لم يدخله، وعلى هذا تكون الراء مكسورة، والإرادة: المشيئة كما تقدم (رءوف) أي رحيم، والرأفة: أشد الرحمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ [النور:٢] والرءوف: الرحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] قال الشاعر:

فآمنوا بالنبي لا أبالكم ذي خاتم صاغه الرحمان مختوم

رءوف رحيم بأهل البر يرحمهم مقرب عند ذي الكرسي مرحوم

(أوردا) فعل أمر من أورده: أحضره المورد كاستورده وتورده: طلب الورد والبلدة دخلها قليلاً، والوارد: السابق والشجاع، ومن الشعر: الطويل، والورد من كل شجرة نورها، والورد بالكسر: جمع وارد، قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦] والورد بالفتح: الشديدة الحمرة، قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧] والوريدان: عرقان في صفحتي العنق، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] قال خالد بن جعفر:

فمن يك سائلا عني فإني وحذفة كالشجى تحت الوريد

وحذفة اسم فرسه، والشجى: الواسع من كل شيء، شجى: فتح فاه كأشجى وانفتح، والشجوة: الخطوة، وتشحى عليه: بسط لسانه فيه، وخيل شواجي: فاتحة أفواهها (المعنى) يقول لك: أيها الناظر في وصفي المتوكل والمتسبب المتردد في أيهما تأخذ؟ إنك ترقي نفسك إلى معالي

الأمور، وتترك عنك لصنائف الهالك إن هلك أو أنك تريد إرادة ربك منك وهي طاعته وعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] (اعلم) أيها الناظر أن الناظم في هذا البيت أمرك بثلاثة أمور: (الأول) أنك ترقي نفسك، و(الثاني) أنك تترك عنك الهالك إن هلك، و(الثالث) أنك تريد ما يريده منك ربك، وبقيت لك ثلاث مسائل: الأولى: أنك تقول له: كيف أرقي نفسي؟ والثانية: أنك تقول له: من الهالك الذي أتركه إن هلك؟ والثالثة أنك تقول له: ما إرادة ربي التي أريد؟ فأقول لك: أما الجواب عن مسألتك الأولى وهي: كيف ترقي نفسك؟ اعلم أن الترقي له معنيان: حسي ومعنوي، فالحسي ماضيه مكسور القاف من رقي السلم، ومنه رقيه ﷺ ببدنه يقظة بمكة ليلة الإسراء قبل الهجرة إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى الذي سمع فيه صرير الأقلام في تصاريف الأقدار، ثم إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، والمعنوى من رقى بالفتح والمراد منه له حالتان: الأولى أن يكون التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم إلى صفة أخرى وخلق آخر أكمل وأعظم وهكذا إلى ما لا غاية له كترقيه ﷺ منذ نشأ أن سار إلى ربه، وكما يكون لكمل الأولياء، والحالة الثانية أن يترقي المرء من وصف مذموم إلى وصف محمود وهكذا إلى أن يكمل في أعلى مقامات الكمال، وهذا هو المأمور به في النظم؛ وذلك لأن طلب الكمال من أشرف الخصال، وقال في "رسالة السير والسلوك":

والكمال هو التخلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة والأوصاف الذميمة هي الجهل والغضب والحقد والحسد والبخل والتعاظم والتكبر والعجب والغرور والرياء وحب الجاه والرياسة وكثرة الكلام والمزاح والتزين للخلق والتفاخر والضحك والتقاطع والتهاجر وتتبع العورات والأمل والحرص وسوء الخلق، والأوصاف الحميدة هي العلم والحلم وصفاء الباطن والكرم والتذلل والتواضع والصبر والشكر والزهد والتوكل والمحبة والشوق والحياء والرضا والإخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكير والنفقة والرحمة على الخلق والحب في الله والتأني والبكاء والحزن وحب العزلة وسلامة الصدر والنصح وقلة الكلام والخشوع والحضور وانكسار القلب وحسن الخلق، واعلم أن التخلي عن تلك الأوصاف الذميمة والتحلي بهذه الأوصاف الحميدة هو الذي يرقيك أيها السالك إلى طريق الخالق سبحانه، وهو المراد عند القوم من سلوك طريق التصوف؛ لأن أحد طريق التصوف هو الاتصاف بالكمال والخلاص من قبيح الخصال، وهذا شيء مطلوب مأمور به أما الخلاص من الغضب فلقوله ﷺ: «**ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم**» وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ مرني بعمل وإن قلَّ، قال: «**لا تغضب، ثم أعاد عليه الكلام فقال له: لا تغضب**» وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تعدون القوى منكم؟ قالوا: الذي لا تعرعره الرجال، قال: ليس ذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**» ويكفي من قبح صورة الغضبان قبح صورته الظاهرة، وصورة باطنه أقبح، وروي أن عائشة - رضي الله عنها -

غضبت مرة فقال لها ﷺ: جاء شيطانك، فقالت: أو ما لك شيطان؟ فقال: بلى، ولكن دعوت الله تعالى فأعانني عليه فأسلم ولا يأتي إلا بخير. فعلى الجملة الغضب خصلة ذميمة تحصل من غليان دم القلب لطلب الانتقام، وضده الحلم، وابتداؤه التحلم حتى يصير عادة قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، من يتخير الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه» قال ﷺ: «اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، لينوا لمن تُعَلِّمُون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا جبابرة فيغلب جهلكم عليكم» وقال ﷺ لأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين: « ابتغوا الرفعة عند الله. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحلم على من جهل عليك» والأحاديث في ذم الغضب ومدح الحلم كثيرة، ولا يُتوَصَّل إلى الخلاص من الغضب المذموم بالكلية والاتصاف بالحلم المحمود الذي يصير طبيعة لا يكون إلا بسلوك طريق التصوف الذي هو المراد عندنا بما يكون به الترقي؛ لأنه به تنكسر قوة الغضب ويدخل تحت سياسة العقل والشرع، فحينئذ يصير في قبضة يده مغلوباً عليه، فإن غضب فلا يغضب إلا لله عز وجل، والغضب لله مقام عال لا يقدر عليه إلا من ترقي إلى المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس "بالمطمئنة"، ومن ادعاه وهو دون هذا فهو كاذب تلبس عليه الحق بالباطل، قال علي - رضي الله عنه: كان النبي ﷺ لا يغضب للدنيا - يعني: بل لله تعالى - فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، يعني: من شدة غضبه إلى إظهار الحق وإخفاء للباطل.

وأما الحسد فهو من قبيح الخصال أيضاً ولا يمكن قطع مادته من الباطن بالكلية إلا بسلوك طريق التصوف لأنه يشاهد به العبد قسمةَ الباري جل وعلا شهوداً يذهب الحسد، قال ﷺ: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق**» وحقيقة الحسد أن يكره نعمة الله تعالى على أخيه المؤمن فيحب زوالها عنه، فإن كان لا يكره ذلك لأخيه ولا يريد زوالها عنه ولكن يريد لنفسه مثلها فيسمى هذا "غبطة" وهو ليس بمذموم، قال ﷺ: «**المؤمن يغبط والمنافق يحسد**» وأما قوله تعالى: ﴿**وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾ [النساء:٣٢] فالمراد به النهي عن التمني بانتقال تلك النعمة بعينها؛ لأن تمني أن ينعم عليه بمثلها غير مذموم ولا محمود، هذا إذا كان في الأمور الدنيوية، وأما إذا كان في الدين فهو محمود.

وأما الحقد فهو قبيح أيضاً لأنه ينتج الحسد والتهاجر والتباغض والتقاطع وتتبع عورات من أنت حاقد عليه، وقال: قال النبي ﷺ «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**»، قال: وقال عليه السلام: «**لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**» ، وقال ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**» وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بأعلى صوت رفيع: «**يا معشر من أسلم ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإن من**

تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته يفضحه ولو في جوف رحله» واعلم أن الهجر يجوز إذا كان لغرض شرعي، ولقد هجر النبي ﷺ زينب لياما، وذلك أن النبي ﷺ أمر زينب أن تعطي صفية - رضي الله عنها - بعيراً فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية! فغضب النبي ﷺ ذا القعدة وذا الحجة والمحرم وبعض صفر.

وأما البخل فهو مما ذمه الله تعالى ورسوله عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠] وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» وقال ﷺ: «السخي قريب من الله بعيد من عذابه وقريب مني، والسخي لا يدخل النار وأنا رفيقه والبخيل لا يدخل الجنة وإبليس رفيقه» وحقيقة السخاء أن تجود بما فضل عن حاجتك، والإيثار أعظم منه لأنه أعظم درجات السخاء وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

وأما الكبر فهو من الخصال المذمومة قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥] وقال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥] وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الكبر »وقال عز وجل: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن

نازعني في واحد منهما ألقيته في ناري» والكبر: صفة في النفس تنشأ من رؤية النفس.

وأما العجب فهو مذموم، قال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» وحقيقة العجب تكبر يحصل في الباطن من تخيل كمال من علم أو عمل، وينبغي لمن دخل عليه العجب أن يتفكر في حال من مات على الكفر بعد أن كان عابداً لكونه أعجب بنفسه كبلعام وإبليس – لعنه الله – وأن يقول لنفسه: لا تعجبي بعمل حتى تعلمي أن الله تقبّلَهُ؛ لأن ما لم يقبل لا عجب به، ولا شك أن الله ذم العجب، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:٢٥].

وأما الغرور فهو من أسباب المهالك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] ، وقال تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] والغرور هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، وسكون النفس إلى ما يوافق الهوى من الخيلات والشبه، فهو نوع من الجهل، وأنواع المغترين كثيرة، فمنهم من اغترّ بأن الله كريم رحيم وخاض في المعاصي، ولا شك أن الله كريم رحيم ولكن جميع القرآن دل على أن كرمه ورحمته تعالى بتوفيقه في الدنيا للخيرات، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥] ومنهم من اغتر بتقوى آبائه وأجداده وقربهم من الله ولم يتفكر في قوله تعالى لنوح: ﴿إِنَّهُ

ليس منْ أهْلكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦] ، وقوله ﷺ: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه» قال الشاعر:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه   على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما   فخار الذي يبغى الفخار بنفسه

ومنهم من اغتر بمجرد كونه مع الصالحين والصوفية، فظن أن التصوف لبس الصوف فقط، ومنهم من اغتر بحفظ كلام السادة واصطلاحاتهم ومنهم من اغتر بما فتح عليه من العلم والمعرفة (وبالجملة) فأنواع المغترين كثيرة، فالذي يجب على السالك أن لا يغتر بشيء ولا يقف عند شيء ولا يرضى بسفساف الأمور، بل يطلب لنفسه الترقي بالتحقيق واليقين، ويترك الشبه والأهواء في كل حين.

وأما الرياء فهو حرام لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ [الماعون:٤-٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جاء العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء؟» (واعلم) أن من نوى عند ابتداء عمله أنه لوجه الله لا يضره ما خطر على قلبه بعد ذلك

والمشهور أنها في وسطه كذلك، وقال بعضهم إنها ولو بعده، وباب الكرم أوسع من ذلك.

وأما حب الجاه والرياسة فإنه مذموم قاطع عن طريق الحق، قال النبي ﷺ: «**حسب ابن آدم من الشر - إلا من عصمه الله تعالى - أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه أو دنياه**» وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق من أحب الشهرة (واعلم) أن حب الشهرة هو المذموم ، وأما الشهرة وانتشار الصيت فقد يكون محموداً وقد يكون مذموماً، فإن قصد به تعظيم نفسه واحتقار غيره فهو مذموم، وإن قصد به إرشاد الخلق ونفعهم فهو محمود مثاب عليه، ولاشك أن جاه الأنبياء عليهم السلام والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - أوسع من كل جاه، وهم مثابون عليه، لذلك ندب لمن يعرف العلم القضاء ليشهر للناس علمه لاسيما إن لم يكونوا يعرفونه، وعلامة الجاه المحمود أن يكون صاحبه كالمكلف في حمله، فإذا جاء من ينوب عنه ويكفيه التعب فرح به واغتنمه ولم يغتظ منه، بل يرى منته عليه، وعلى كل حال متى ما لبس الأشياء التي تسقط منزلته عند الناس حتى إذا دخل لم يعتن به أحد ولا يرد عليه السلام فهذا حال المريد الصادق.

وأما كثرة الكلام فهي مذمومة لأنها تتولد عنها أمور مكروهة مثل ذكر المعاصي السابقة، وذكر أحوال النساء للرجال وأحوال الرجال للنساء، والمجادلة التي هي المراء والخصومة والتمشدق في الكلام بتكلف السجع والتصنع والسب والفحش واللعب والمزاح الزائد على الشرع

والسخرية والاستهزاء وإفشاء السر والكذب واليمين والغيبة والنميمة وأمثال هذه المحرمات من الخوض فيما لا يعني، وآفات اللسان كثيرة مهلكة لم يكن أخطر منها، وجميع القبائح متفرعة عنها، فلذلك مدح رسول الله ﷺ الصمت وحث عليه وأمر به أصحابه - رضي الله عنهم - فقال: «**الصمت حكمة وقل فاعله**» وقال: «**من صمت نجا**» وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»، وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يخاف من فلتات اللسان فيضع في فيه حصاة لتمنعه من الكلام، وكان يقول: هذا الذي أورثني الموارد القبيحة - ويشير إلى لسانه - وكان ابن مسعود يقول: الله أكبر، ما من شيء أحق بالسجن من اللسان، وقال ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ فقال: الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم**» والغيبة أن تذكر أخاك بما فيه وتعلم أنه لو سمعه لكرهه سواء كان في بدنه أو نفسه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه أو ثوبه أو داره أو دابته أو غير ذلك وأما إن لم يكن فيه فهو كذب وبهتان، والمشهور أنه لا فرق بين أن يكون المغتاب حاضراً أو غائباً وبعضهم يخصه بالغائب، والأحاديث الواردة في النهي عما ذكرناه من آفات اللسان كثيرة، ومن لم يؤثر فيه سماع القليل لا ينفعه الكثير.

(وأما المزاح) فإنه يميت القلب ويعقبه ظلمة ولو عرف السالك ما نقص من حاله بسبب المزاح لما فعله مرة أخرى، ويعرفه من كان باطنه

منزوراً، قال ﷺ: «**لا تمار أخاك ولا تمازحه**» (فإن قلت): إن النبي كان يمزح، فأقول لك: صدقت، ولكنه كان يقول حقاً، وأنت لا تقدر على المزاح، فالأولى تركه إلا في بعض الأوقات وذلك عند ازدياد القبض وضيق الصدر، ومن شواهد ذمه:

فإياك إياك المزاح فإنه يجر عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد صفائه ويورث بعد العز صاحبه ذلا

ومن شواهد ما لا بأس فيه منه قول الشاعر:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة تعده وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطي الطعام من الملح

(وأما التزين للخلق) فإنه يشغل السالك ويقطعه عن مطلبه لأنه يحتاج إلى تحصيل ما يتزين به من اللباس والطيب وتسوية العمامة وغير ذلك مما يلهيه عن ذكر ربه وعن الحضور، والمطلوب من السالك الطالب للترقي أن يكون مسقوطاً من نظر الخلق، ليس له في قلوبهم منزلة، والتزين لهم ينافي ذلك، هذا حال السالك، وأما المرشد وهو الذي أقامه الله تعالى لدعوى الخلق للحق فالواجب عليه أنه لا يفعل ما يسقطه من أعين الخلق لأنه يفسد حالهم، وكان النبي ﷺ إذا أراد للخروج على أصحابه ينظر في المرآة ويسوي عمامته وشعره فسألته عائشة – رضي الله عنها – عن ذلك فقال: «**إن الله تعالى يحب العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم**».

(وأما التفاخر) فهو مذموم منهي عنه لقوله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد» أي: لا يظلم أحد أحداً، والتفاخر قد يكون بالمال، وقد يكون بالآباء، وقد يكون بالعبادة، وكله مذموم قبيح على الخصوص بالنسبة إلى السالك الطالب للترقي لأنه طالب بأن يتحقق بالعبودية ولا ينازع في الربوبية وهذه الأشياء كلها مناقضة للعبودية.

وأما الضحك فهو من الخصال المميتة للقلب ولذلك لم يضحك رسول الله ﷺ إلا نادراً ولكنه كان يتبسم، وفي "كشف الغمة": وكان ﷺ ضحكه التبسم من غير قهقهة، وفيه: وكان ضحك أصحابه عنده صلى الله عليه وسلم التبسم من غير صوت اقتداء به وتوقيراً له ﷺ، وكانوا إذا جلسوا كأنما على رءوسهم الطير، قال جرير - رضي الله عنه: ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا وتبسم، والتبسم مقبول محمود عند الله تعالى وعند رسوله عليه الصلاة والسلام وعند الناس، والضحك يميت القلب فلا يناسب السالك.

(وأما الأمل والحرص) فهما من الخصال القبيحة، والاتصاف بهما من خصال المبعودين عن حضرة ذي الجلال. قال ابن عمر - رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور» وعن عبد الله بن عمر: مر بنا رسول الله ﷺ أنا وأمي نطين شيئاً فقال: «يا عبد الله ما هذا، قلت: شيئاً

نصلحه، فقال عليه السلام: **الأمر أسرع من ذلك»** - يعني أن الموت أقرب منه.

وأما سوء الخلق فإنه من الطباع المذمومة عند الله وعند الناس وحسن الخلق محمود عند الله تعالى والناس. قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حَسَن الخلق »** وكان ﷺ يقول في دعائه: **«اللهم حسن خَلقي وخُلقي»** وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ومن ذلك حسن المعاشرة مع من أنت ملتزم بمعاشرته، وكرم ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برأ كان أو فاجراً، وتوقير ذي الشيبة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً، والعفو عن المسيء، وكظم الغيظ، والإصلاح والجود، والكرم، والسماح، والابتداء بالسلام، والعفو عن الناس وأذهب الإسلام للهو، والباطل، والغناء، والمكر، والخديعة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق، والتكبر، والاحتيال، والحسد والحقد، والمزاح، والفحش، والظلم، والبغي، والعدوان»** أو كما قال ﷺ ثم قال أنس - رضي الله عنه: لم يدع ﷺ نصيحة إلا دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يدع غشاً أو عيباً إلا وحذرنا منه ونهانا عنه، ويغني عن هذا كله قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾** [النحل:٩٠] (واعلم) أن ما ذكرناه من الأوصاف المذمومة هو بعض القبائح التي ينطوي عليها الإنسان

وأما ذكر جميعها فلا يمكن (واعلم) أنك كلما تركت عنك وصفا مذموماً ترقيت عنه إلى وصف محمود في الطريق حتى تكملها، وهذه الطريق لها منازل معلومة عند أهلها يقطعها السالك واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى آخرها فينقطع السلوك ولا تقطع التجليات؛ لأنها لا آخر لها وهذه المنازل صفات تقع في العبد، وكلما تجددت له صفة تجدد له اسم عندهم، وأقرب ما أمثله لك به ما يقع في أسنان الإبل، لأنه أولاً ابن مخاض ثم ابن لبون ثم حق ثم جذع ثم رباعي ثم سداسي ثم فاطر وكذلك المرء أولاً يكون في منزلة فيها لا فائدة فيه "كابن المخاض" وهذا لا تجعل له القوم اسماً لأنه عندهم بمنزلة البهائم، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان:٤٤] ثم يترقي عنها إلى صفة أعلى منها ولكن ليس بكثير فائدة، فيصير في منزلة ابن اللبون، فيسمون نفسه حينئذ "بالأمارة" وهو أول المقامات التي يترقي إليها، ويسمى "مقام ظلمات الأغيار"، وإنما سميت النفس فيه بالأمارة لأنها لا تأمر صاحبها إلا بالسوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣] ولا أحسن لصاحبها من الذكر "بلا إله إلا الله" (الثاني) "مقام الأنوار" وتسمى النفس فيه "باللوامة"، وإنما سميت لوامة لأن صاحبها كلما فعل قبيحاً لامته عليه، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢] وأحسن ما يرقي صاحبها عنها الذكر بالاسم المفرد الذي هو قولنا: "الله الله" (الثالث) "مقام الأسرار" وتسمى فيه "بالملهَمَة"، وإنما سميت ملهمة لأن صاحبها صار تلهم له الأشياء الحسنة، وتلهم له أسرار الأشياء وبواطنها، مع أن الشيطان ربما ألهم الفجور له، قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[الشمس:٨] وهذا المقام لا يترقي صاحبه بمثل "يا هو يا هـو" (الرابـع) "مقام كمال" وتسمى النفس فيه "بالمطمئنة"، وإنما سـميت فيـه مطمئنـة لكونها اطمأنت وثبتت على طاعة الله ومرضاتها، وصـاحبها لا يخشـى عليه الرجوع إلى ما سار عنه، بعكس ما قبلها، فإن صاحبه إذا غفل عن طاعته ومجاهدته رجع إلى ما ارتحل عنه من الأوصاف الخسيسة، وهذا المقام لا يترقى صاحبه بمثل "يا حق يا حق" (الخامس) "مقام الوصـول" تسمى النفس فيه "بالراضية"، وإنما سميت راضية لأن صاحبها جبلـه الله على ما يرضيه ويرضى خلقه، ولا يترقي صاحبه بمثل "يا حي يا حـي" (السادس) "مقام تجليات الأفعال" وتسمى النفس فيه "بالمرضـية"، وإنمـا سميت مرضية لأن صاحبها لا يريد شيئا إلا أرضاه الله فيه مـع أنـه لا يريد شيئاً مع إرادة الله إلا قليلاً، وجبل الله الخلق علـى مرضـاته، ولا يترقي صاحبه بشيء أحسن له من الذكر "بيا قيوم يا قيوم" (السابع) "مقام تجليات الصفات والأسماء" وتسمى النفس فيه "بالكاملة"، وإنمـا سـميت كاملة لكمال صاحبها في حركاته وسكناته لله، ولأنه لا يخلو من طاعـة أبداً، وترقيه أبداً في المعارف لأن معـارف الله لا تنتهـي، ولا يترقـي صاحبه بشيء أحسن له من الذكر "بيا قهار يا قهار"؛ لأن صاحب هـذا المقام لا يخلو من شهود إيجاد بالله، والقهار هو الذي يقهر العـدو حتـى يخرج فيه الموجودات، وإلى هذه المقامات الأربعة أشار تعالى بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِـيَّةً فَـادْخُلِي فِـي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠] والكمال عندهم هو دخول الجنة قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَـانِ﴾ [الـرحمن:٤٦] أي: جنـة

عرفان في الدنيا وجنة نعيم في الآخرة، ومن أراد استيفاء هذا مكملاً فعليه بكتاب أبينا شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين المسمى "بمطية المجد" أو "رسالة السير والسلوك إلى ملك الملوك" للشيخ قاسم الحلبي (واعلم أنه) قد جرت عادة الله تعالى أن الترقي من المقام الثاني إلى الثالث لا يكون إلا على يد المسلك العارف بمقامات الطريق وأحواله ويمكن أن يخلق الله تعالى العادة فيترقي من له فهم وذكاء من غير مسلك على الخصوص إذا استعان بمطالعة الكتابين المتقدمين وأمثالهما، وكذلك الترقي من المقام الثالث إلى المقام الرابع لا يكون إلا على يد المسلك العارف الكامل؛ لأن الكامل عارف وله عادة وله زيادة، فكل كامل عارف ولا عكس، ولا يقال للسالك كامل إلا إذا ترقي إلى المقام الرابع الذي تسمى النفس فيه بالمطمئنة وهو أدنى درجات الكمال، وقد يقال لمن ارتقى إلى المقام الثالث "عارف"، فالفرق واضح بينهما (واعلم) أيضا أن الناظم حذف مفعول "رق" ليشمل لك أيها الناظر نفسك ومن تعلق بك؛ لأن من رقّى نفسه ولم يرقّ غيره فكالعدم، قال ﷺ: **«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»** وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾** [التحريم:٦] أي قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات، وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم، وفي الحديث: **«رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم، صيامكم، زكاتكم، مسكينكم يتيمكم، جيرانكم، لعل الله يجمعهم معه في الجنة»** وقيل: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله وقرئ: وأهلوكم عطفاً على قوا، وحسن العطف للفاصل؛ قال "الكشاف": فإن قلت: أليس التقدير: قوا أنفسكم وليَقِ

أهلوكم أنفسهم؟ قلت: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم، لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معاً على لفظ المخاطب وفي "القاموس": أهل الرجل: عشيرته وذوو قرباه، جمعه: أهلون وأهال وآهال وأهلات "ويحرك" وأهل الأمر: ولاته، وأهل البيت: سكانه، وأهل المذهب من يدين به، وللرجل: زوجته، وللنبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره علي - رضي الله عنه - وفي "تنجيز البيان على تفسير القرآن" عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ [التحريم :٦] قال خيثمة: كل شيء في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو في التوراة "يا أيها المساكين"، وقال الزهري: وإذا قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ افعلوا، فالنبي عليه السلام منهم، ومعنى قوله: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، أي: اصرفوا عنهم النار، وفيه ثلاثة أقوال، أحدها معناه: قوا أنفسكم ناراً، وأهلوكم ليقوا أنفسهم ناراً، وهو قول الضحاك، والثاني: قوا أنفسكم، ومُرُوا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم، رواه ابن طلحة عن ابن عباس وقتادة، والثالث: قوا أنفسكم بأفعالكم الصالحة وقوا أهليكم بوصيتكم، قاله علي - كرم الله وجهه - ومجاهد وقتادة، وفي وصيتهم التي تقيهم النار ثلاثة أقوال، أحدها: أمرهم بطاعة الله ونهيهم عن معصيته، وهو قول قتادة، والثاني: يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم، وهو قول علي - كرم الله وجهه - والثالث: أن يعلمهم الخير ويأمرهم به، ويبين لهم الشر وينهاهم عنه، وهو قول مقاتل بن حيان حق عليه ذلك في نفسه وولده وإمائه وعبيده، وقال مقاتل بن سليمان: قوا

أنفسكم وأهليكم بالأدب الصالح النار في الآخرة، وقال عمر: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ قال: «**تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما أمركم الله به**» (واعلم) أن من فعل لهم هذا فقد وقاهم بما رقي به نفسه وتنحى من حقهم وإلا فإنهم مطالبوه بحقهم، ولا يُرَقِّي المرء نفسه ولا من تعلق به إلا بطريق التصوف الحقيقي، والتصوف الحقيقي هو الوقوف مع آداب الشريعة ظاهراً وباطناً فيرى حكمه من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر، فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال، والجواب عن مسألتك الثانية وهي قولك: من الهالك الذي أتركه إن هلك؟ هو أن تعلم أن الهلاك نوعان: حسي، ومعنوي، فالحسي هو الموت المعروف، ولا يبلغ أحد من رفعة القدر والرغبة فيه والرهبة منه أن يموت إلا وتركه أهله ومن كان يرغب فيه ويرهب منه، وهذا مما لايحتاج إلى دليل لظهوره عند كل أحمق ونبيل لأنه منذ نشأت الدنيا هو السبيل ، ولذلك قال الصحابة – رضوان الله عنهم: ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا، وأما المعنوي فهو الهلاك بالإقبال على الدنيا والانهماك فيها حتى يموت قلب صاحبه من حبها وليس ذلك إلا من جهله لدناءة قربها، فيصير المرء كأنه حي وهو هالك ويظن أنه يبني للنجاة وهو يبني للمهالك ، قال ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له**» (واعلم) أن الهالكين بالدنيا الذين تحذر من صحبتهم وتؤمر بتركهم لأجل هلاكهم بها ثلاثة أصناف: (أحدها) الكفار، وتحذير الله في القرآن من قربهم وتوليتهم ومحبتهم أكثر من أن يحصى، وأشهر من أن يقصى، قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ**

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] حتى إنه ﷺ كان لا يستعين بالمشركين، قالت عائشة - رضي الله عنها: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر تبعه رجل من المشركين كان مشهوراً بالشجاعة ففرح به الصحابة، فقال: يا رسول الله جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: فارجع فلا نستعين بمشرك، ثم تبعه إلى مكان آخر، فقال: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: نعم، قال له: «انطلق» وجاء جماعة أخرى من المشركين فسألوه أن يكونوا معه فقال: «أأسلمتم؟» قالوا: لا، قال: «فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين» (ثانيها) اثنان وسبعون صنفاً من هذه الأمة أخبر بها رسول الله ﷺ بقوله: «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» فأهل الأهواء منها اثنان وسبعون، وأمهاتها أربع طوائف: القدرية والمرجئة والروافض والخوارج، وتتفرع كل واحدة إلى ثماني عشرة طائفة، فإذا خرجوا على إمام عادل قاتلهم فمن مات منهم فأحكام ميراثه كالمسلمين وإنما قوتلوا بالسنة فقتلوا حداً لا كفراً كالمحارب، قاله سحنون، وقال غيره: كفراً، وهذه الطوائف ترجع أيضاً إلى تسع: روافض وخوارج ومعتزلة ومرجئة ونجارية وضرارية وجهمية وبكرية وكرامية، فالقدرية:

جاحدو القدر، والروافض: كل جند تركوا قائدهم، والرافضة الفرقة منهم وفرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين، فأبى وقال: كانا وزيري جدي فتركوه ورفضوه، والخوارج: من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة سموا بها لخروجهم عن الناس، والمعتزلة: من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم أهل السنة والخوارج أو سماهم به الحسن لما اعتزله واصل بن عطاء وأصحابه إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد وشرع يقرر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل بين المنزلتين كجماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل والمرجئة: مشتقة من أرجأ الأمر: أخره، والناقة دنا نتاجها، والطائر لم يصب شيئا، وترك الهمز لغة في الكل، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة:١٠٦] في قراءة، أي: مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد، ومنه سميت المرجئة، قاله في "القاموس"، ورأيت كتاباً لبعض القوم صغير الحجم كثير العلم جعله في أصناف الطوائف وعدتها كلها – أعني الاثنين والسبعين – وجاء باشتقاق كلها، وفيه: النجارية: أتباع الحسن بن محمد النجار، وافقوا المعتزلة في أشياء وأهل السنة في أشياء والضرارية أتباع ضرار بن عمرو، يرى أن صفة الله تعالى إعدام لضدها، يوافقون أهل السنة في أشياء والقدرية في أشياء، والجهمية: أتباع لجهم بن صفوان، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وانفردوا عنهم بأشياء، والبكرية: أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد، يقول في الروح كلاماً لا يوافق أهل السنة، ويقول: إن الله تعالى يُرى يوم القيامة في

صورة يخلقها، وأن صاحب الكبيرة منافق في الدرك الأسفل من النار إلى غير ذلك من اعتقاداتهم والكراهية أتباع محمد بن كرام. انتهوا إلى التجسيم، ويجوزون قيام الحوادث بذات الله تعالى، ولهم ضلالات لا تحصى، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (واعلم) أن هذه الأصناف الثلاثة الأخيرة كل واحد منها نوع واحد، وأما الستة الأولى فكل واحد تحته أجناس كثيرة حتى يتم عدد الاثنين والسبعين وتبقى فرقة واحدة هي التي قال ﷺ: إنها في الجنة (ثالثها) قوم من هذه الفرقة الناجية وعدوا بدخول الجنة لكنهم أفرطوا في حب الدنيا والاشتغال بها عن ذكر الله حتى صاروا عند القوم كالهالكين، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] (واعلم) أن الدنيا عبارة عن كل ما قبل الموت خيراً كان أو شراً، ولذلك استثنى النبي ﷺ حين ذمها ما هو خير فقال: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله عز وجل»** وفي رواية أخرى: **«ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً ومتعلماً»** وفي رواية أخرى: **«ملعونة ملعون ما فيها إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وذكر الله تعالى»** وفي رواية: **«إلا ما ابتغي به وجه الله عز وجل»** ، فهذه الأشياء التي استثناها النبي ﷺ هي من الدنيا أيضاً لأنها وجدت في هذا العالم وإنما أخرجها لأنها تصحب العبد بعد الموت قال ﷺ **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»** فعد الصلاة من الدنيا ولذاتها لدخول حركتها في الحس والمشاهدة الظاهرة، فعلم من هذا أن كل لذة لها ثمرة بعد الموت فهي ليست من الدنيا الملعونة وإن وجدت في هذا العالم بل هي آخرة، وأما

الأشياء التي فيها لذة عاجلة ولا ثمرة لها بعد الموت فهي الدنيا الملعونة كالمعاصي والمباحات الزائدة على الحاجة، وبقي قسم ثالث متوسط من القسمين المذكورين، وهو كل حظ في العاجل يعين على أعمال الآخرة كقدرة الحاجة من المأكل والمشرب والملبس والمنكح، فهذا من القسم الأول المحمود، وهو معدود من الآخرة أيضاً لأنه يعين عليها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فعلى هذا إذا أكل الرجل في نصف بطنه يكون قد التذ بالطعام وأرضى مولاه، فيجوز على حظ الدنيا وحظ الآخرة، ولذلك قال ﷺ: «البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة» إذا هذا عرفت أن الدنيا هي كل ما يشغل عن الله عز وجل وكل شيء يعينك على التوجه إليه فهو آخرة وإن كان من حيث الظاهر معدوداً في الدنيا لأنه وجد فيها في هذا العالم، وقد بين الله تعالى حقيقة الدنيا بقوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد:٢٠]، ومنبع هذه الخبائث في سبعة أشياء ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران:١٤] فهذه السبعة بها تكون للخبائث والقبائح، وليست هي في نفسها أموراً مذمومة بل تكون معينة على الآخرة إذا صرفت في محالها، قال ﷺ مادحاً للمال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله سبحانه مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار». وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب العبد الغني

الخفي» قالوا لما ورد في الأحاديث الشريفة من الذم فهو في حق الـدنيا الملعونة التي هي بعيدة عن الله ورسوله ﷺ، وهي اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وغير ذلك مما يلهي القلب عن حضرة الرب سـبحانه. قال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد». وقال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا لا تصفو لمـؤمن، كيـف وهـي سـجنه وبلاؤه؟» وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحب دنياه آضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

وقال ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وقال ﷺ: «يا عجبا كـل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور» وقال عليه السلام: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله استخلفكم فيها لينظر كيـف تعلمـون» وإن بني إسرائيل لما مهدت لهم وبسطت تـاهوا فـي الحيلـة والفسـاد والطيب والثبات، وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخـذكم عبيداً، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه؛ فإن كل صـاحب كنـز الـدنيا يخاف عليه الآفة، فصاحب كنز الله لا يخاف عليـه الآفـة. وقـال ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والـدنيا والآخرة حرام على أهل الله» وقال ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس لـه يـوم القيامة إلا النار» وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبـي ﷺ قال: «إنما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهـرة الـدنيا وزينتها، فقال رجل: يارسول الله أوَ يأتي الخير بالشر؟ - يعنـي: إنمـا

يفتح علينا من الغنى والأموال خير، وهل يأتي الخير بالشر؟ - فسكت حتى ظننا أنه ينزل عليه - يعني الوحي - فمسح النبي ﷺ العرق وقال: أين السائل؟ وكأنه حمده وقال: **إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم آكلة الخضر أكلت حتى امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت، ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هي، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة**». أ هـ. الحبط بالحاء المهملة أن تأكل الدابة حتى تنتفخ بطنها وتهلك من كثرة الأكل، وقوله: أو يلم، أي يقرب من الهلاك، ثلطت "بالمثلثة" أي: تغوطت غائطاً رقيقاً، فحاصل هذا الحديث الشريف أن المال قد يكون سبباً لدمار صاحبه وهلاكه في الآخرة وذلك إذا صرفه في المعاصي وتوصل به إلى الشهوات النفسانية، فمع أن المال خير فينبغي أن يُتَوَصَّل به إلى مرضاة الله عز وجل، قوله: وإن مما ينبت الربيع يعني: مثل كثرة المال كمثال ما ينبت فصل الربيع؛ فإن بعض النبات حلو في بطن الدابة وهي حريصة على أكله، ولكن ربما تأكل كثيراً فيحصل لها داء من كثرة الأكل فتموت أو تقرب من الموت، وإن لم تأكل إلا بقدر ما يطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى تهضم ما أكلت فلا يضرها الأكل، فكذلك من حصل له مال كثير فإن توصل به إلى كثرة الأكل والشرب والتجمل بين الناس قسا قلبه وكبرت نفسه ورأى نفسه أفضل من غيره فحقره وتعاظم عليه، ومن قسا قلبه منع ما أوجب الله عليه من الزكاة وأداء الكفارات وغير ذلك، ومن كانت هذه صفاته كان

المال شراً له، ولا شك أنه يبعده من الجنة ويقربه مـن النـار، وإن أدى حقوق المال بحيث لم تفته طاعة من الطاعات ويحسن إلى الناس فيه كان المال خيراً له، كما قال ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» فعلم مما تقرر أن المال في نفسه خير وأن من صرفه فـي الشـركان شـراً لـه والحاصل أن للمحذر منه والمأمور بتركه هم الهالكون بالدنيا الصائرون عبيداً لها الذين لا تنفع فيهم الموعظة عنها، قال ﷺ: «**تعس عبد الـدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصـة**» وهذا دعاء منه ﷺ على من ترك عمـل الآخرة واشتغل بجمع المال والتلذذ بـالملابس الحسـنة لأن الخميصـة الملبوس الحسن، قال ﷺ: «**حجبت النار بالشـهوات، وحجبـت الجنـة بالمكاره**» قوله: حجبت، أي سترت، والمعنى أن من اتبع الشهوات وقـع في النار بفعله وهو لا يبصرها، بل يبصر مشتهاه، ومن تحمل المشـاق الدينية والمكاره الإسلامية فقد دخل الجنة وهو لا ينظر إليهـا بـل إلـى المكاره، فبان لك يا أخي من هذا أنك لما صرت محذراً من تقريب هـذه الأصناف الهالكة كلها ومأموراً بتركها وتبعيدها علمت أنه ما بقـي لـك ممن تصاحبه إلا أقل قليل، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَـرَ مَـن فِـي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام:١١٦] وقال الشاعر:

ما في زمانك هذا من تصـاحبه ... ولا صديق إذا خان الزمان وفـى

فعش فريداً ولا تركن إلـى أحـد ... فقد نصحتك نصحاً بالغـاً وكفـى

والأصحاب ثلاثة وعليكم بإكرامهم والألفة معهم: صاحب لـدنياك فلا تراع فيه إلا حسن خلقه، وصاحب لآخرتك فلا تـراع فيـه إلا الله

تعالى واقبله كيف كان على ما كان عليه من حسن أو قبح، وصاحب للتأنس به فلا نزاع فيه إلا السلامة من شره (والجواب) عن مسألتك الثالثة، وهو قولك: ما أراده ربي التي أريد فهو أن تعلم أن إرادة الله تعالى من خلقه على نوعين: نوع شاءه وهو الذي توافقه القدرة وواقع لا محالة، قال ﷺ: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» والنوع الثاني: الطلب، وهو والمراد في النظم، تقول: أردت منك كذا بمعنى طلبته منك والذي أراده الله تعالى من عباده هو فعل المأمورات واجتناب المنهيات الذي يحصل به التقى للذي طلب منا تعالى بقوله: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] (واعلم) أن التقوى جماع الخيرات، وحقيقتها أن يجتنب هواه ومناه في الحال ليصل إلى راحته في المآل (ضابط) يدل على تقوى الإنسان ثلاثة أحوال: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما نال، وحسن الصبر فيما فات، وينشأ من التقوى والورع، قال ﷺ: «الورع من الأعمال بمنزلة الرامي من الجسد» والورع: البعد من الشبهات مخافة الوقوع في المحظورات كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وينشأ منه الزهد وهو على ثلاثة مراتب: زهد العوام وهو ترك الحرام، والخواص وهو ترك الفضول، وزهد خواص الخواص وهو ترك ما سوى الله (واعلم) أن الإرادة عند القوم عبارة عن انجماع العبد بكليته على إرادة الوصلة بربه مقتدياً في جميع ذلك بقدرته وبنبيه، فكما أن أول قدم في السلوك النبوى التحنث باعتزال الخلق ناحية تعبداً لله تعالى وتفرغاً إليه بغار حراء، كذلك أول مراحل يضعه المريد في السلوك خروجه عن أبناء جنسه وهجره مألوفات نفسه بالتوبة النصوح التي هي

أول مرحلة من مراحل السائرين وأول قدم يضعه السالك في طريق السالكين، وهي: الرجوع عن المعاصي إلى الطاعات، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] ثم منها إلى الرجوع من الغفلة إلى استصحاب الذكر، ثم منها إلى توبة الرجوع من الأوهام إلى الحقائق. فالرحلة الأولى من مقام الإسلام، والثانية من مقام الإيمان والثالثة من مقام الإحسان، (وحقيقة) التوبة الرجوع عن المذموم الشرعي إلى ممدوحه، وشرطها الندم والترك والعزم على عدم العود، فإن قيل: قال ﷺ: «الندم توبة» قلنا: أي أعظم أركانها فعبر بالأعظم منها ليدخل تحته الأصغر، كما قال في الحديث الآخر: «الحج عرفة» فافهم. تاب بعض المريدين، ثم وقعت له هفوة فحزن وصار ويفكر في حكم الرجوع، فسمع هاتفاً يقول: يا فلان لما أطعتنا شكرناك، ثم تركتنا أهملناك، وإن عدت إلينا قبلناك. واعلم أن للتوبة مراد الله من المؤمنين قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] قال صاحب "رسالة قوانين حكم الإشراق، إلى كل الصوفية بجميع الآفاق": شروط التوبة عند الجماعة بالإجماع دون أهل الزيغ والابتداع: الندم على ما فعله العبد من المخالفات، والإقلاع في الوقت فوراً بلا توان ولا التفات، والعزم أن لا يعود لفعله فيما استقبله من الأوقات، ورد ما أخذه من الأعراض، والاستحلال من الوقوع في الأعراض، وقال: إنما أمرك بالتوبة ليطهرك من التدنيس ويكسوك من أوصاف التقديس، وقال: إياك وترك التوبة، فعلامة الفلاح اتباع طريقة النجاح، وقال: من لم تحصل له التوبة حقيقة، لم يتطهر عند أصحاب

الطريقة، فتطهر وكن من التائبين، يخلع عليك خلعه إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقال: توبة العوام من السيئات، وتوبة الخواص من العادات، وتوبة خواص الخواص من السوى والأغيار والركون إلى المقامات والأنوار، وقال: إياك أن تتوب في الظاهر وأنت مصر على قبائحك في الباطن فتكون كالمنافقين الذين قنعوا برضا المخلوقين وأسخطوا عليهم رب العالمين، وقال: شرط القوم في التوبة الهجران لإخوان العصيان، فاهجر قبل ذلك لأخلاقك فهو أرضى لخلاقك، ومن فوائد التوبة أنها تنجي صاحبها من مهامه المهالك، وتقربه بعد بعده من الرب المالك. ويقال: من تاب إثر ما أذنب كالمغتسل إثر ما أجنب، وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» أيضاً: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه» وقال أيضاً: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»، وقال: «التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه» وقال: «التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك وتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبداً» أخرج هذا الأحاديث الخمسة راوو الأحاديث، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [التحريم:٨] قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: التوبة النصوح أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أن لا يعود، وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود. وقال بن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ الآية. وقال سعيد بن جبير هي توبة مقبولة، ولا تقبل

إلا أن يكون فيها ثلاث: خوف أن لا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات. وقال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. وقال الفضيل بن عياض: هي أن يكون الذنب بين عينيه ولا يزال كأنه ينظر إليه، وقال أبو بكر الوراق: هي أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كتوبة الثلاثة للذين خلفوا. وقال ذو النون: علامتها ثلاث: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، وقال فتح الموصلي: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى، وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ، ونصوحاً من قولهم: عسل ناصح، إذا خلص من الشمع، ويجوز أن تكون مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة، وفي أخذها منها قولان: أحدهما لأنها توبة قد أحكمت طاعة وأوثقت كما يحكم الخياط الثوب لخياطته ويوثقه، الثاني: أنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم، كما يجمع الخياط الثوب بخياطته ويلصق بعضه ببعض، والناصح: الخياط، وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها في أرض فلاة عليها زاده وسقاؤه**». فقم أيها الطالب للإرادة بالتوبة النصوح كي تنال القبول والمحبة والفتوح. ومن الإرادة تعرف بالمريد، فالمريد من فنيت حظوظه النفسانية وخمدت شهوته البشرية، المريد من قام برسم الأداب بعد تصحيح المتاب، المريد ميت في حضرة أستاذه منفذ لما يأمر به من مراده، المريد في مقام التجريد قائم بالتشديد، المريد ميت شهيد لا يخرج من التحديد. ومن جنس المريد التلميذ، وقيل: من نوعه، وقيل: هما واحد، ومن تعريفهم إياه: التلميذ من طلب الإفادة وهو باق مع العادة، التلميذ يحضر ويغيب ويخطئ ويصيب

التلميذ حصلت له النسبة ولو بالرواية وإن لم يحصل له تحقيق الدراية التلميذ واقف على الباب وواحد من جملة الأحباب، التلميذ له فضل الانتماء والترداد ولو حصل له ذلك في بعض المواسم والأعياد، التلميذ النحرير من قصد التحرير، التلميذ الطيب من يحرص على التقرب التلميذ بين النجباء من يفوق الأولياء. واعلم أني ما رأيت تعريفاً للمريد أحسن من تعريف شيخنا له في "مطية المجد"، وهو قوله:

ومن أراد للذي منه يراد ذاك المريد قد سما بين العباد
يفعل ما شاء وسر ونفع وضر لإتباع ما الشرع وضع
مع سكونه بلا اضطراب تحت مجار قدر الوهاب
وقد صرف همته إليه وترك النفس اتكل عليه
وطمعا قطع عن خلائق لنسبة المنع العطا من خالق
لذاك كان الله في رضاه على حسب مرضاته مولاه
طريق المريد قل من سلك الثقل حمل النفس في هذا الفلك
وقل من يصلح فيه الظاهرا كيف بمن يراقب الخواطرا

ومن معرفة المريد تتشوق أن تعرف بالمراد، والمراد هو المربي وهو الشيخ وهو الأستاذ. المربي من كشف له طريق النجاة فسلك عليها ثم أذن بالتسليك والدعاء إليها. للمربي خلقه واسع وعلمه أبدا نافع مخصوص بحسن البشارة وعلم الإشارة. المربي يكشف له عن القلوب ويجيبه الرب لجميع القلوب. الشيخ من علمك بِقَاله وأنهضك بحاله. الشيخ من أفاد الطالب وفتح المطالب. الشيخ من كمل في ذاته، وكمل في

صفاته. الشيخ من إذا حللت حماه وجدت به الغنى عما سواه. الشيخ من يفيدك في الشهادة والغيب ويطهر سرك بسره من العيب. الشيخ من إذا طلبت همته لهم وجدتها سبقت، لا من إذا دعوتها أدركت ولحقت . الشيخ من تلمذ له المشايخ، وكان له القدم الراسخ. الشيخ من يحفظ المريد بكلاءته ويريحه من العنا بعنايته. الشيخ سر الله المحجب بحجاب البشرية غيره على خاصة الخصوصية. شيخ الأمير كيل كبير شيخ السلطان[1]. الأستاذ من وهب المواهب وأراح من تعب المكاسب. الأستاذ أكمل من الشيخ في الأحوال، وأعلى منه بالمعارف والأقوال. الأستاذ من جمع دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، وافتقر لغنائه الملك والصعلوك. الأستاذ له تصريف التمكين، وإيضاح التبيين. الأستاذ من كمل الدوائر وانطوى في نشره الأوائل والأواخر. الأستاذ عالم مطلق وسند محقق. الأستاذ فتى الأخلاق يجيب الخلاق. وهذه كلها صفات للواصل؛ لأن الواصل هو صاحب الاتصال في حضرة الوصال، الذي خدمته المقامات وطاوعته الحالات، فأصبح من الملوك الفاخرة، في الدنيا والآخرة، كما قال بعضهم: ملوك على التحقيق، ليس لغيرهم من الملوك إلا اسمه وعقابه، واعلم أن هذا كله لا ينال إلا بالتقوى للذي أراد الله منا في غير ما آية وغير ما حديث، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] وقال: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس

---

(١) هكذا بالأصل، وواضح أن فيه نقصاً. اهـ. مصححة.

بخلق حسن» وقال ﷺ: «ائت الله وإذا كنت في مجلس وقمت عنه فسمعتهم يقولون ما يعجبك فأته، وإذا سمعتهم يقولون ما تكره فلا تأته»، وقال ﷺ: «اتق الله وأقم الصلاة وآت الزكاة وحج البيت واعتمر وبر والديك وصل رحمك وأقر الضيف وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وزل مع الحق حيث زال» وقال عليه السلام: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإنه كثرة الضحك تميت القلب» وقال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله في هذه البهائم العجمة فاركبوها صالحة» وقال عليه السلام: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» وقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم» وقال عليه السلام: «اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، اتقوا الله في الضعيفين المرأة الأرملة والصبي اليتيم»، وقال عليه السلام: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» وقال عليه السلام: «اتقوا المظالم ما استطعتم؛ فإن الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى أنها ستنجيه، فما يزال عند ذلك يقول: إن لفلان قبلك مظلمة، فيقال: امحوا حسناته، فما يبقى له حسنة، ومثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا للنار وأنضجوا ما أوردوا، وكذلك للذنوب»، وقال: «اتقوا الحجر الحرام في

البنيان فإنه أساس للخراب»، وقال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، وقال: «اتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن إبليس طلاع رصاد، وما هو بشيء من فخوخه بأوثق كصيده في الأتقياء من فخوخه في النساء» وقال: «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم» وقال: «اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت» وقال: «اتقوا الملاعن الثلاث في الموارد وقارعة الطريق والظل»، وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»، وقال: «اتقوا أبواب السلاطين وحواشيها؛ فإن أقرب الناس منها أبعدهم من الله، ومن آثر سلطاناً على الله جعل الله الفتنة في قلبه ظاهرة باطنة، وأذهب عنه الورع وتركه حيران»، وقال: «اتقوا أذى المجاهد في سبيل الله؛ فإن الله يغضب لهم كما يغضب للرسل ويستجيب لهم كما يستجيب لهم»، وقال: «اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته»، وقال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، وقال: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام ويقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»، وقال: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار»، وقال: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونه حجاب»، وقال: «اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي

ثلاثًا وثلاثين، وكبري أربعة وثلاثين، فتلك مائة فهو خير من خادم»
وحاصل التقوى اجتناب وامتثال كما هو مقرر، فالامتثال يدخل فيه كل المأمورات، من ذلك الإيمان، قال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦] الخ، وقال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ومن ذلك إقامة الدين وعدم التفرقة فيه، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، ومن ذلك الذكر قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الجمعة:١٠]، ومن ذلك الطهارة كبرى وصغرى وتيمم بدلهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة:٦] ومن ذلك الصلاة والزكاة قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣] والصوم، قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] والحج، قال تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] وغير ذلك من كل المأمورات، والاجتناب يدخل فيه كل المنهيات، كالإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والزنى واللواط وعقوق الوالدين وقطع الرحم والقذف وشرب الخمر وكل مسكر ونكاح المحرمات وغير ذلك

من كل ما نهى الله ورسوله عنه. واعلم أني لو تتبعت لك هذا لاحتجت إلى مجلدات، وكثير من الأوقات، بل لو شئت لأتيت بالقرآن كله والحديث كله وما فيهما وغيرهما من أمر ونهي، لكني فتحت الباب لأولي الألباب، والسلام على الأوّاب (الإعراب) رق فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً، قال ابن مالك:

ومن ضمير الرفع ما يستتر كافعل أو افق نغتبط إذ تشكر

ومفعوله محذوف أيضاً تقديره نفسك، قال ابن مالك: **وحذف فضلة أجز.** ودع فعل أمر أيضاً، وفاعله مستتر، وأزواج مفعوله، وأراد مضاف إليه ما قبله، وإن حرف، وهنا بمعنى قد، وذلك أن "إن" تكون بمعنى قد. قيل: ومنه: ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى:٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧] ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧] وغير ذلك مما الفعل فيه محقق أو كل ذلك مؤول، ردى: فعل ماض فاعله ضمير يرجع إلى راد، ورد فعل أمر، وإرادة مفعوله ورعوف مضاف إليه، وأوردا فعل أمر وألفه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، قال ابن مالك:

وأبدلنها بعد فتح وقفاً كما تقول في قفن قفا

ثم قلت:

ذلك رواه آل دل أدرى ورب زادٍ زادَ ردٌ وزرى

(اللغة) ذا اسم الإشارة، والكاف دالة على البعد، وتقدم الكلام عليها في البيت الثاني الذي هو: وراغ وراء ذاك، رواه: روى الحديث يرويه رواية وترواه بمعنى، وهو روية للمبالغة أي أخذه عن غيره، آل أي أهل، وآل الرجل أهله وأتباعه وأولياؤه، ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً، يقال: آل الإسكاف وهو النجار وكل صانع بالحديد، كما يقال أهله، وفي الحديث: **«آل محمد كل تقي»** وفيه: **«آل القرآن آل الله»** خرجهما "الجامع الصغير"، وأصل آل: أهل، أبدلت الهاء همزة فصارت أأل، توالت همزتان فأبدلت الثانية ألفاً، وتصغيره: أويل، وأهيل، دل: أي: وقار وحسن منظر ودل المرأة ودلالها ودالولاؤها: تدللها على زوجها تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف، وقد دلت تدل، والدل كالهدى، وهما من السكينة والوقار وحسن المنظر وهو المراد في النظم، وأدل عليه: انبسط، كتدلل وأوثق بمحبته فأفرط عليه، وعلى أقرانه: أخذهم من فوق، وكذا البازي على صيده والذئب جرب، وضوى الدالة ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة "ويثلث" ودلولة فاندل سوده إليه أدرى دريته وبه أدرى دريا ودرية ويكسران ودريانا "بالكسر ويحرك"، ودراية "بالكسر" ودريا كحلي: علمته، أو بضرب من الحلية وأدراه به: أعلمه والصيد دريا ختله كتداره وأداره، و"رب" حرف خافض لا يقع إلا على نكرة أو اسم، وقيل: كلمة تقليل أو تكثير أو لهما أو في موضع المباهاة للتكثير أو لم توضع لتقليل ولا تكثير بل يستفادان من سياق الكلام، ولغاتها: رب وربت ربما وربتما بضمهن مشددات ومخففات، وبفتحهن كذلك ورب بضمتين مخففة ورب كذا. اهـ، ويقال

لجمادى الأول ربى ورب والأخرة ربى وربة وذي القعدة ربة بضمهن والرابة امرأة الأب، والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها زاد: الزاد ما به البلاغ إلى للموضع الموعود، والمزود تأسيس الزاد وكمنبر وعاؤه، وأزدته: زودته فتزود، ورقاب المزلود لقب العجم، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧] زاد: لنمى والزيد بالفتح والكسر والتحريك والزيادة والمزيد والزيدان بمعنى النمو وزاده الله خيراً وزيده فزاد وازداد، واستزاده لستقصره وطلب منه الزيادة، والتزيد: الغلاء والكذب وسير فوق العنف وتكلف الزيادة في الكلام وغيره كالتزايد، والمزادة الرواية، ولا تكون إلا من جلدين تفأم بثالث بينهما لتتسع، جمعه مزاد ومزايد، رد: أي: صرف، رده رداً أو مرداً أو مردوداً ورديدى صرفه، والاسم كسحاب وكتاب وعليه لم يقبله وخطأه، والمرد: المرجع، قال تعالى: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦] أي: ما يرد إليه ويرجع، ﴿فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد:١١] أي ليس فيه رجوع لعمل ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر:٤٣] ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم:٤٣] ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤] ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا﴾ [البقرة:١٠٩] وقيل: معنى يردونكم: يصيرونكم، ومنه ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٦] وقال الشاعر:

رمى الحدثان نسوة آل سعد	بمقدار سمون له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً	ورد وجوههن البيض سودا

وزر: الوزر "بالكسر" الإثم والثقل والسلاح والحمل الثقيل، جمعه أوزار، وزره كوعده وزراً بالكسر: حمله، ووزير يوزر، ووزر يزور وزراً ووزراً بالكسر وزرة كعدة: أثم، فهو موزور، وقوله ﷺ: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» للازدواج، ولو أفرد لقال "موزورات"، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١] ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤] ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥] ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً﴾ [طه:١٠٠] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح:٢] وقال الشاعر:

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

وهذا كله على الاستعارة، وأصل الوزر: الثقل، قال تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد:٤] أي: أثقالها من السلاح وغيرها، وقال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً وكورا

الكور: الكثير من الإبل، وقال غيلان:

وإن وضعت أوزارها الحرب كنتم مصير الندى والمترعين المقاريا

المترعين: المالئين، والمقاريا: جمع مقرى وهو الحوض، والوزر بالتحريك: الملجأ، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة:١١] قال الشاعر:

والناس إلب علينا فيك ليس لنا إلا الرماح وأطراف القنا وزر

إلب أي: مجتمعون بالظلم، والقنا: الرماح، والوزير: المعين القائم بوزر الأمور وهو ثقلها، قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ [طه:٢٩] ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان:٣٥]، المعنى: قوله: ذاك رواه إلى آخر الشطر الأول يعني أن ذاك الأول الذي هو التوكل رواه أهل منظر حسن أدري ذلك وأعرفه، وهذا حث منه أيضا على التوكل لأن التابع للحسن فاعل للحسن، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:١٧-١٨] وقال ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» قوله: ورب زاد إلخ، يعني أنه ربما يكون زاد والمراد به مال زاد حسنات صاحبه حتى زاده رد الوزر أي الذنوب، وزاد تكون لازمة نحو زاد المال بمعنى نما، ومتعدية لمفعول واحد نحو زدت زيداً ومتعدية لمفعولين نحو زدت زيداً عطاءً، وهي في النظم متعدية لمفعول واحد واعلم أنه تكلم لك في هذا البيت على شيئين، أحدهما: الحث على التوكل بكونه رواه أهل المنظر الحسن قولاً وفعلاً، وهم العلماء بالله العاملون بما جاءهم به رسول الله، ثانيهما: الحث على التدبر والتكسب على الوجه الذي ينبغي، وهذا ثاني الأمرين الموضوع النظم فيها، وأما الوجه الأول الذي هو التوكل فقد تقدم فيه ما يشفي ويكفي، وفي "مشكاة المصابيح" عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» وعنه: قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط

والنبي وليس معه أحد، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن يكون أمتي، قيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً قدامهم يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «سبقك بها عكاشة». متفق عليه، وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» وتقدم قوله ﷺ من رواية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» ومما يعين على التوكل تذكر قوله ﷺ من رواية ابن مسعود: «أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه وإن الروح الأمين - وفي

رواية: وإن روح القدس - نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا يُدْرَكُ ما عند الله إلا بطاعته» وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون مما في يديك أوثق بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك» وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» وعن سعد قال: قال ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له» وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله» وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «قال ربكم عز وجل: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد» وعن أنس: كان أَخَوان علي عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال: «لعلك ترزق به» وعن عمرو بن العاص

قال: قال رسول الله ﷺ «إن قلب ابن آدم بكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد أهلكه، ومن توكل على الله كفاه الشعب» وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾» [الطلاق:٢-٣] ذكر أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابناً له فذكر ذلك للنبي عليه السلام وشكا إليه الفاقة. فقال له: «اتق واصبر وأكثرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه، فجعل رسول الله تلك الأغنام له، وقيل: جاء بإبل أصابها من العدو إلى أبيه، وقيل: إنه أصاب إبلا ومتاعاً وكانت الإبل خمسين، وقيل: مائة، وكانت الغنم أربعة آلاف شاة، وفي معنى الآية للمفسرين تسعة أقوال، أحدها: ومن يتق الله ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس، والثاني: المخرج علمه، فإن ما أصابه من عطاء أو منع من قِبَل الله، وأن الله رازقه وهو معطيه ومانعه، قاله ابن مسعود ومسروق، والثالث: يجعل له مخرجاً من كل شيء ضاق على الناس، قاله الربيع، والرابع: مخرجاً عما نهاه الله عنه، قاله الحسن، والخامس: ومن يتق الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجاً من العقوبة، ويرزقه الثواب حيث لا يحتسب، قاله الحسين ابن الفضل، والسادس: ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجاً من عقوبة أهل البدعة، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب، قاله سهل، وقال الصادق: يبارك له فيما آتاه، والسابع: ومن يتق الله عند حدود الله

ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة، قاله عمر بن عثمان الصرفي، والثامن: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب، والتاسع - وهو الصحيح - أنه عام، فإن الله يجعل للمتقي مخرجاً من كل ما يضيق على غير المتقين في كل شدة، وقال عليه السلام: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب**»، قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق:٣] أي: ومن وثق به فيما نابه كفاه الله ما أهمه، روى عن عمر بن الحصين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن تقطع إلى الدنيا وكله الله إليها**» وقيل: من اتقى الله فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا؛ لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل، حكاه القشيري، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ [الطلاق:٣] أي: يبلغ ما يريد لا يفوته مراده ولا يعجزه مطلوبه، قوله تعالى: ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق:٣] فيه أربعة أقوال، أحدها: أجلاً ومنتهى ينتهي إليه، قدر الله ذلك كله فلا يقدم ولا يؤخر، والثاني: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقدر متى يكون هذا الغني فقيراً، وهذا الفقير غنياً، قاله مقاتل، والثالث: أنه حد في كل شيء حداً وبين أحكامه للعباد، حكاه القشيري، والرابع: أن لكل شيء حداً توكلتم أو لم تتوكلوا، ولكن توكلوا على كل حال لتستحقوا الثواب، قاله مسروق حكاه الثعلبي والقشيري والماوردي، وقال الربيع: إن الله قضى على نفسه

أنه من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب دعاه؛ وتصديق ذلك في كتابه: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣] ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن:١٧] ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] قال عبد الرحمن بن رافع: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣] قال أصحاب رسول الله: حسبنا إذا توكلنا عليه فنحن نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:٣] يعني فيكم وعليكم، قاله في "تنجيز البيان" (فائدة) اعلم أن الحق سبحانه وتعالى إذا أراد أن يقوي عبداً على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعمته، فتنزلت الأقدار وقد سبقت إليه الأنوار إلى الأقدار، فكان بربه لا بنفسه، فقوي لأعبائها وصبر لبلائها وإنما يعينهم على حمل الأقدار ورود الأنوار، وإن شئت قلت: وإنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الإلهام، وإن شئت قلت: وإنما يعنيهم على حمل البلايا واردات العطايا وإن شئت قلت: وإنما يقويهم على حمل أقداره حسن اختياره، وإن شئت قلت: وإنما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه، وإن شئت قلت: وإنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله، وإن شئت قلت: إنما صبرهم على القضا علمهم بأن الصبر يورث الرضا، وإن شئت قلت: وإنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار، وإن شئت

قلت: إنما قواهم على حمل أثقال التكليف وورود أسرار التعريف، وإن شئت قلت: إنما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره، وإن شئت قلت: إنما صبرهم على ما جرى علمهم بأنه يرى فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لأحكام سيده، وبذلك يقوى اعتماده ويحسن توكله واستمداده، ولابد أن آتيك ببعض الكلام على كل قسم من الأقسام العشرة السابقة لتكمل بذلك الفائدة، وتحصل الجدوى والفائدة، فأما الأول فلأن الأنوار إذا وردت كُشِفَ للعبد عن قرب الحق سبحانه منه، وأن هذه الأحكام إنما هي من سيده لم تكن إلا عنه، فكان علمه بأن الأحكام منه سلوة وسبب لوجود صبره، ألم تسمع ما قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨] أي ليس حكم غيره فيشق عليك، وأنشدوا:

وخفف عني ما ألاقي من العنا   بأنك أنت المبتلي والمقدر

وما لامرئ عما قضى الله معدل   وليس للذي منه الذي يتخير

الثاني: إذا أورد الله على عبده حكماً وفتح له باب الفهم في ذلك الحكم فاعلم أنه أراد سبحانه أن يحمله عنه، وذلك أن الفهم يرجعك إلى الله سبحانه وتعالى ويحبسك إليه ويجعلك متوكلاً عليه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه وواقيه وناصره على الأغيار وراعيه، ولأن الفهم عن الله يكشف لك عن سر العبودية فيك، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦] وكل هذه الوجوه العشرة مرجعها إلى الفهم عنه، وإنما هي

أنواع فيه، الثالث: لأن واردات للعطايا السابقة من الله إليك تذكر لألهما مما يعينك على أحكام الله تعالى، إذ كما قضى لك بما تحب اصبر له على ما يحب فيك، ألم تسمع قوله تعالى: **﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾** [آل عمران:١٦٥] فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا، الرابع: لأن العبد إذا شهد حسن اختيار الله له علم أن الحق لا يقصد ألم عبده لأنه به رحيم **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [الأحزاب:٤٣] وقد رأى رسول الله ﷺ امرأة معها ولدها فقال: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟** قالوا: لا يا رسول الله قال ﷺ: **الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها**» غير أنه يقضي عليك بالآلام لما يترتب عليها من الفضل والإنعام، ألم تسمع قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر:١٠] ولو وكل الله سبحانه وتعالى العباد إلى اختيارهم لحرموا وجود منته، ومنعوا الدخول في جنته، فله الحمد على حسن الاختيار، ألم تسمع قوله تعالى: **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:٢١٦] وانظر إلى الوالد والطبيب الناصح يقابلان بالدواء الشديد، وما ذلك إلا ليوقعان في السديد، الخامس: لأنه إذا علم أن الله تعالى مطلع عليه فيما به أبلاه يخفف ذلك عنه أعباء البلاء ألم تسمع قوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾** [الطور:٤٨] أي ما تلقاه يا محمد من كفار قريش من المعاندة والتكذيب فليس بخاف علينا والحكاية المشهورة أن إنساناً ضرب تسعة وتسعين سوطاً ولم يتأوه، فلما ضرب السوط الذي هو تمام المائة تأوه، فقيل له في ذلك فقال: كان الذي

ضربت من أجله حقه في التسعة والتسعين، فلما ولي عني أحسست الألم السادس: لأن الحق سبحانه إذا تجلى على عبده في حين ملاقاته بمؤلم البلايا حمل مرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلي، وربما غيبهم ذلك عن الإحساس بالألم ويكفيك في ذلك: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٣١]، السابع: لأن من صبر على أحكام الله تعالى أورثه ذلك الرضا من الله فتحملوا مرارتها طلباً في رضاه كما يتحسى الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء، الثامن: لأن الحق تعالى إذا أراد أن يحمل على عبده ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فأراه قربه منه فغيبه أنس القرب عن إدراك المؤلمات، ولو أنه تعالى تجلى بجماله وكماله لأهل النار لغيبهم ذلك عن إدراك العذاب، كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم، فالعذاب إنما هو وجود الحجاب، وأنواع العذاب مظاهره، والنعيم إنما هو بالظهور والتجلي وأنواع النعيم مظاهره، التاسع: لأن التكاليف شاقة على العباد، ويدخل في ذلك امتثال الأوامر والانكفاف عن الزواجر، والصبر على الأحكام والشكر على وجود الإنعام، فهي إذاً أربعة: طاعة ومعصية ونعمة وبلية وهي أربعة لا خامس لها، ولله عليك في كل واحدة من هذه الأربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية، فحقه عليه في الطاعة شهود المنة منه عليك فيها، وحقه عليك في المعصية الاستغفار مما صنعت فيه وحقه عليك في البلية الصبر معه عليها، وحقه عليك في النعمة وجود الشكر منك فيها، ويخفف عليك حمل أعباء ذلك كله الفهم، فإذا فهمت أن الطاعة فائدتها راجعة إليك صبَّرك ذلك على القيام بها، وإذا فهمت أن

المعصية والدخول فيها عقوبة ذلك راجعة عليك عاجلا بانكساف أنوار الإيمان، وآجلا بالعقوبة إن لم يغفر الله ويسارع العبد بالتوبة[١]، وإذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته وتنعطف عليك بركته سارعت إليه وعولت عليه، وإذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] كان ذلك سبباً لمثابرتك عليه ونهوضك إليه، العاشر: لأن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الألطاف، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] وقوله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» وفي البلايا والأسقام والفاقات من أسرار اللطف ما لا يعلمه إلا أولو البصائر، ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتزيلها وتدهشها عن مطلب حظوظها، ويقع مع البلايا وجود الذلة، ومع الذلة تكون النصرة ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣] وبسط القول في ذلك يخرجنا عن الكتاب وإن شئته مستوفى فعليك 'بالتنوير' لابن عطاء الله

واعلم أن التوكل مَنْشَؤُه اليقين، وذلك بأن يتيقن العبد أن ما قدره الله عليه فيه لا محالة من خير وشر فبسبب ذلك يعتمد على الله في أخذ الخير ودفع الضير ويكون متمسكاً بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] وبقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧] وأمثال ذلك. ومقامات اليقين تسعة: وهي التوبة والزهد

---

(١) في الكلام سقط، ولعله: صبرك ذلك على الامتناع عنها. اهـ مصححه.

والشكر والصبر والخوف والرجاء والتوكل والمحبة والرضا، ولا يصلح واحد من هذه المقامات إلا بإسقاط التدبير مع الله تعالى والاختيار. وذلك لا يصلح إلا بالتوكل عليه، فالتوبة هي الرجوع إلى الله من كل شيء لا يرضاه، والتدبير لا يرضاه لك لأنه شرط للربوبية وكفر بنعمة العقل ولا يرضى لعباده الكفر، والزهد زهدان: زهد ظاهر جلي، وزهد باطن خفي فالظاهر الجلي: الزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك، والزهد الخفي: الزهد في الرياسة وحب الظهور، ومنه الزهد في التدبير مع الله، والشكر هو صرف العبد ما أعطاه الله فيما يرضاه وهو ضد الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧] والصبر هو: حبس النفس على ما يحبه الله سواء أحبته النفس أم كرهته، وهو على أقسام: صبر على المحرمات، وصبر على المأمورات، وصبر على المصيبات، وصبر على النعم الظاهرات والباطنات، وصبر التدبيرات والاختيارات، وكذلك لا يصح الشكر الحقيقي إلا لعبد ترك التدبير مع الله؛ لأن الشكر - كما قال الجنيد - أن لا يعصى الله بنعمه، ويناقض أيضا مقام الخوف والرجاء؛ إذ الخوف إذا توجهت سطواته إلى القلب منعتها أن تستروح إلى وجود التدبير. والرجاء أيضاً كذلك؛ إذ الراجي قد امتلأ قلبه فرحاً بالله ووقته مشغول بمعاملة الله، فأي وقت يسعه التدبير مع الله، ويناقض أيضا مقام التوكل؛ لأن المتوكل على الله من ألقى قياده إليه، واعتمد في كل أموره عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير، والاستسلام لجريان المقادير، وتعلق إسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات، ويناقض

أيضا مقام المحبة؛ إذ المحب مستغرق في محبوبه، وترك الإرادات معه هي عين مطلوبه، وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله تعالى؛ لأنه قد شغله عن ذلك حبه لله، ولذلك قال بعضهم: من ذاق شيئاً من خالص محبة الله ألهاه ذلك عما سواه، حتى إنه لو أراد أن يرد طرفه نحو غيره لم يصح كما قال:

وأصرف طرفي نحو غيرك عامداً على أنه بالرغم نحوك راجع

وذلك لأن القلب صار بالمحبة عن الأشباح والأشباح تابعة للأرواح كما قيل:

ومازال بي شوق إليك يقودني يذلل مني كل ممتنع صعب

إذا كان قلبي سائراً بزمامه فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب

ويناقض أيضا مقام الرضا لأن الراضي قد اكتفى بتدبير الله فيه فكيف يدبر معه وهو قد رضي بتدبيره؟ ألم تعلم أن نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير؟ فالراضي عن الله بسطه نور الرضا لأحكام الله فليس له تدبير مع الله، وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له فافهم (فائدة أخرى) اعلم أن التوكل على الله والرضا بأحكامه لم يزل سيرة الأنبياء والرسل والأولياء، وكثرته في القرآن والأحاديث وأخبار الأولياء والعلماء يغني عن بسط القول فيه، ولذلك قال في النظم: ذاك رواه آل لأن الأنبياء والرسل والأولياء والعلماء هم أهل المنظر الحسن ذاتاً وفعلاً وصفات، ثم إنه قال لك: ورب زاد زاد رد وزرى إشارة فيه إلى بعض أهل التدبير ربما يكون تدبيرهم وتسببهم سبباً لغفران ذنوبهم لما يكتسبونه

من محامد الصدقات وأداء الحقوق بالعطيات، إلا أن المتسبب إن لم يكن بانياً أسبابه على أسس التوكل كان كالباني على غير قرار، والعاقل لا يبني بناء على غير قرار، فمتى يتم مبانيك والأقدار تهدمها وعن التمام تصدرها كما قيل:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت قد تبني وغيرك يهدم

ولذلك اختار أكثر كُمّلهم ترك التدبير رأساً؛ لأنه إذا كان التدبير منك والقدر يجري على خلاف ما تُدَبِّر فما فائدة تدبير لا تنصره الأقدار؟ وإنما ينبغي أن يكون التدبير لمن بيده أزمة المقادير، ولذلك قيل:

لما رأيت القضا جارياً بلا شك فيه ولا مرية

توكلت حقاً على خالقي وألقيت نفسي مع الجرية

(حكاية) دخل ابن عطاء الله يوما على شيخه أبي العباس المرسي رحمهما الله - فشكا إليه بعض أمره فقال له: إن كانت نفسك لك فاصنع بها ماشئت، ولن تستطيع ذلك أبداً، وإن كانت لبارئها سلمها له يصنع بها ما يشاء، ثم قال: الراحة في الاستسلام إلى الله وترك التدبير معه وهو العبودية (حكاية أخرى) قال إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - نمت ليلةً عن وردي فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض فلما استيقظت سمعت هاتفاً يقول: كل شي لك مغفور سوى الإعراض عنا، وقد غفرنا لك ما فات، وبقي ما فاتك هنا، ثم قيل لي: يا إبراهيم كن عبد الله، فكنت عبد الله، فاسترحت (حكاية أخرى) قيل للشيخ أبي مدين - رحمه الله: يا سيدي مالنا نرى المشايخ يدخلون في الأسباب

وأنت لا تدخل فيها؟ قال: يا أخي أنصفونا، الدنيا دار الله ونحن فيها ضيوف، وقد قال عليه السلام: الضيافة ثلاثة أيام فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة إقامتنا في الدنيا منها وهو يكمل ذلك بفضله في الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم، وأما إن كان المتسبب صاحب التدبير بانياً أساسه على طريق الله وسنة رسول الله فهو المطلوب الذي عند الله محبوب؛ لأن القرآن والسنة محشوان بإثبات الأسباب، ولقد أحسن القائل في ذلك المعنى:

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجزع تساقط الرطب

ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها إليها ولكن كل رزق له سبب

أشار إلى قوله سبحانه: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥] وظاهر ﷺ بين درعين يوم أحد، ومعنى ظاهر النبي.(١) ومنه: كان يظاهر بين العمامة السوداء والبيضاء، وأكل ﷺ القثاء بالرطب وقال: هذا يدفع ضر هذا، وذلك كثير؛ لأن التدبير على قسمين: تدبير محمود، وتدبير مذموم، فالتدبير المذموم هو كل تدبير يعطف على نفسك بوجود حظها لأنه قيام بحقها، كالتدبير في تحصيل معصية، أو في حظ بوجود غفلة، أو في طاعة بوجود رياء وسمعة ونحوها، وذلك كله مذموم لأنه إما موجبٌ عقاباً أو موجبٌ حجاباً ومن

---

(١) هكذا بالأصل. وفي اللغة: معنى ظاهر بين الثوبين أو الدرعين: طابق بينهما ولبس أحدهما على الآخر. اهـ. مصححه.

عرف نعمة العقل استحيا من الله أن يصرف عقله إلى تدبير مالا يوصله إلى قربه، ولا يكون سبباً لوجود حبه، فلا تصرف عقلك الذي مَنّ به عليك في تدبير الدنيا التي كما أخبر عنها رسول الله ﷺ: «الدنيا جيفة قذرة» وكما قال ﷺ للضحاك: «ما طعامك؟ قال: اللحم واللبن يا رسول الله، قال: ثم تعود إلى ماذا؟ قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا» وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» ومثل من صرف عقله في تدبير الدنيا التي هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفاً عظيماً قدرُه مفخماً أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقاتل به من أعدائه ويتزين بحمله، فعمد أخذ هذا السيف إلى الجيف فجعل يضربها به حتى ضيعه، فجدير إذا اطلع الملك على مثل هذه الحالة من هذا الرجل أن يأخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله، وأن يمنعه من وجود إقباله، فكذلك العقل كما أخبر به عدة من الصحابة عنه ﷺ «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: اقعد فقعد، ثم قال له: انطق فنطق، ثم قال له: اصمت فصمت، ثم قال له: ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكرم، بك أُعرف، وبك أُحمَد، وبك أُطاع، وبك آخذ، وبك أعطي، وإياك أعاتب ولك الثواب. وعليك العقاب، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر» فإذا عمل صاحب العقل عقله في التدبير المذموم فقد ضيعه وصير نفسه كالحيوانات، بل هو أخس؛ لأنها لا عقل عندها توصف بتضييعه أو العكس، وهو بخلاف ذلك، والتدبير المحمود الذي منه التكسب المقصود

هو ما كان تدبيراً لما يقربك إلى الله، كالتدبير في براءة الذمم من حقوق المخلوقين إما وفاء، وإما استحلال، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي إلى قمع الهوى المُرْدي والشيطان المغوي، وكل ذلك محمود لا شك، ولأجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «**فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة**» والتدبير للدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا، وتدبير الدنيا للآخرة، فتدبير الدنيا للدنيا هو أن يجعل يدبر في أسباب جمعها افتخاراً بها واستكباراً، وكلما زيد فيها شيئاً ازداد غفلة واغتراراً، فأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه إلى المخالفة، وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالاً ولينعم منها على ذوي الفاقة أفضالاً وليصون بها وجهه عن الناس جمالاً، وأمارة من طلب الدنيا لله عدم الاستكبار والادخار والإسعاف منها والإيثار، وللزهد في الدنيا علامتان: علامة في فقدها، وعلامة في وجدها، فالعلامة التي في وجدها الإيثار منها، والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها، فالإيثار شكر لنعمة الوجدان، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان، وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان؛ لأن الحق سبحانه كما قد يُنعم بوجودها كذلك قد يُنعم بصرفها، بل ربما تكون نعمته في صرفها أتم، ولذلك قال سفيان الثوري: لنعمة الله عليّ فيما زوى عني من الدنيا أتم من نعمته فيما أعطاني منها وقال الشيخ أبو الحسن - رضي الله عنه: رأيت الصديق - رضي الله عنه - في المنام فقال: أتدري ما علامة خروج الدنيا من القلب؟ قلت: لا أدري، قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود، ووجود الراحة منها عند الفقر، فقد بين من هذا أن ليس كل طالب للدنيا

مذموم، بل المذموم منها طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لآخرته، فالناس إذا على قسمين: عبد طلب الدنيا للدنيا، وعبد طلب لدنيا للأخرى وقال ابن عطاء الله: سمعت شيخنا أبا العباس - رضي الله عنه - يقول: العارف لا دنيا له ولا آخرة؛ لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة - رضي الله عنهم - والسلف الصالحين كلما دخلوا في أسباب الدنيا فهُمْ بذلك إلى الله متقربون، وإلى رضاه متسببون لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذتها، وبذلك وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] وقال في الآية الآخرى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٦-٣٧] وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] ونظائر هذه الآيات، وماظنك بقوم اختارهم الله تعالى لصحبة رسول ﷺ ولمواجهة خطابه في تنزيله؟ فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منة لا تحصى، وأياد لا تنسى؛ لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن رسول الله ﷺ الحكمة والأحكام، وبينوا الحلال والحرام، وفهموا الخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد، وقد قال رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد

وصفهم في الآية الأولى بأوصاف إلى أن قال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٩] دل من قوله سبحانه أنهم ما ابتغوا بما حاولوه من الدنيا إلا وجهه الكريم وفضله العميم، وقد قال سبحانه فيهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨] فقد أخبر سبحانه أنهم لا يريدون سواه ولا يقصدون إلا إياه، وقال في الآية الأخرى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:٣٦-٣٧] إشارة إلى أنه طهر أسرارهم وكمل أنوارهم ولذلك لا تأخذ الدنيا من قلوبهم، ولا تخدش وجه إيمانهم وكيف تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه، وأشرق فيها قربه، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء:٦٥] فلو كان للدنيا عليهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا؛ إذ المعنى: ليس لك ولا لشيء من الأكوان على قلوبهم سلطان؛ لأن سلطان عظمتي في قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دوني، وأثبت الحق لهم التجارة بقوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ [النور:٣٧] من فحوى الخطاب: ألم تسمع قوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧] وقد قال الصحابة: الحمد لله الذي لم يقل لم يتجروا، فلو نهاهم عن الغنى لنهاهم عن السبب المؤدي إليه وهو التجارة والبيع، ألا ترى أنه قال: ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧] فإيجاب الزكاة عليهم دليل على أن منهم أغنياء ولا تخرجهم مدحة غناهم إذ قاموا فيها بحقوق مولاهم، قال عبد الله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - عند خازنه يوم قتل مائة ألف وخمسون ألف دينار، وألف ألف درهم، وخلف ضياعه ببئر أريس وخيبر

وواد القرى ما قيمته مائة ألف دينار، وبلغ ثمن مال الزبير خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس وألف مملوك، وخلف عمرو بن العاص ثلاثمائة ألف دينار، وأموال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أشهر من أن تذكر، وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم، صبروا عليهم حين فُقدت وشكروا الله حين وُجدت، وإنما ابتلاهم الحق بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم، فبذلها لهم حينئذ؛ لأنهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم، فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا فيها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧] ويدلك على كونها في أيديهم لا في قلوبهم خروجهم عنها وإيثارهم بها، وهم الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩] حتى إنه أهدي لواحد منهم رأس شاة فقال: فلان أحق بها مني، ثم قال كذلك الآخر فمازالت تدور بينهم إلى أن عادت إلى الذي أهداها أولاً بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم، ويكفيك في ذلك خروج عمر - رضي الله عنه - عن نصف ماله، وخروج أبي بكر عن ماله كله، وخروج عبد الرحمن بن عوف عن سبعمائة بعير موفورة الأحمال وتجهيز عثمان - رضي الله عنه - جيش العسرة، إلى غير ذلك من أفعالهم وسَنِيِّ أحوالهم، وقد تبين من هذا أن تدبير الدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين، وتدبير الدنيا للآخرة كما هو حال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين، ويدلك على ذلك قول عمر - رضي الله عنه: إني لأجهز الجيش وأنا في الصلاة؛ لأن تدبير

عمر - رضي الله عنه - على المعاينة والمواجهة، فهو إذاً تدبير الله فلذلك لم يكن قاطعاً للصلاة ولا منقصاً من كمالها (فائدة) اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه، فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله، وصدك عن معاملة الله، والتدبير المحمود هو ما ليس كذلك مما يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله. وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الإطلاق، ولا تمدح كذلك، وإنما المذموم ما شغلك عن مولاك، ومنعك عن الاستعداد لأخراك، ولذلك قال بعض العارفين: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم. والممدوح ما أعانك على طاعته وأنهضك إلى خدمته، وبالجملة ما وقع المدح به فهو ممدوح في نفسه، وما وقع الذم به فهو مذموم في نفسه، وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**الدنيا جيفة قذرة**» وتشبيهه مما يقتضي ذمها، وجاء عنه ﷺ: «**لا تسبوا الدنيا، فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر**» فالمذموم والملعون من الدنيا والمشابه لما يخرج من الإنسان هي الدنيا الشاغلة عن الله والممدوح ما ليس كذلك، وهي التي توصل إلى طاعة الله ومرضاته، ولذلك قال ﷺ: «**فنعمت مطية المؤمن**» فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث أنها دار اغترار ووجود أوزار، وإذا علمت هذا فقد علمت أن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الإنسان ضيعة ويكون كلاً على الناس فيحمل حكمة الله في إثبات الأسباب وارتباط الوسائط، وتلك حكمة لا تعطل ومقاصد لا تبطل، كما قيل:

سبحان من سخر الأقوام بعضهم للبعض حتى استوى التدبير واطردا
فصار يخدم هذا ذاك من جهـــة وذاك من جهة هذا وإن بعــــدا

وقد جاء عن عيسى عليه السلام أنه مر بمتعبد فقال له: من أيــن تأكل؟ فقال أخي يطعمني، قال: أخوك أعبد منك، أي: أخوك وإن كان في سوقه أعبد منك؛ لأنه هو الذي أعانك على الطاعة وفرغك لها، وكيــف يمكن أن ينكر الدخول في الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّـهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥] ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقـرة:٢٨٢] وقوله عليه السلام: «**أحل ما أكل المؤمن من كسب يمينه، وإن داود نبي الله عليه السلام كان يأكل من كسب يمينه**» وقوله عليه السلام: «**الكسب عمل الصانع بيده إذا صحح**» وقال عليــه الســلام: «**التــاجر الأمــين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة**» وكيف يمكن لأحد بعد هذا أن يذم الأسباب؟ لكن المذموم منها ما شغلك عن الله وصدك عــن معاملتــه ولو تركت الأسباب وغفلت عن الله في التجريد كنــت مــذموماً أيضــاً (فائدة) ينبغي للمتسببين أن يلتزموا أموراً، الأول: ربط العــزائم مــع الله قبل الخروج من المنزل على العفو عن المتســببين، إذ الأســواق محــل المخاصمة والمقاومة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا خرج من بيته يقول: اللهــم إنــي قــد تصــدقت بعرضي على المسلمين**»، الثاني: يستحسن له أن يتوضأ ويصلي ركعتين قبل خروجه ويسأل الله السلامة من مخرجه ذلك، فإنه لا يــدري بمــاذا يقتضي عليه، ولأن الخارج إلى الأسواق كالخارج إلى المضائق فينبغــي

للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله والتوكل على الله دروعاً ضافية تقيه سهام الأعداء، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، الثالث: ينبغي له أن يستودع الله أهله ومسكنه وما فيه؛ فإنه حري أن يحفظ عليه ذلك وليذكر قوله سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤] وقوله عليه السلام: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل» فإنه إذا استودعهم الله فحري أن يرجع فيجدهم كما يحب ويحبون (حكاية) سافر بعضهم وكانت زوجته حاملاً، فحين سافر قال: اللهم إني أستودعك ما في بطنها، فتوفيت زوجته في غيبته فلما قدم من سفره سأل عنها، فقيل: توفيت وهي حامل فلما كان الليل خرج إلى المقابر فرأى نوراً في المقابر، فتبعه فإذا هو في قبرها، وإذا بالصبي يرضع في ثديها فهتف به هاتف: يا هذا إنك استودعتنا الولد فوجدته، أما لو استودعتنا أمه لوجدتهما جميعاً، الرابع: يستحب له إذا خرج من منزله أن يقول: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن ذلك مؤيس للشيطان، الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليجعل ذلك شكراً لنعمة القوة والتقوى اللذين وهبهما، وليذكر قول الله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١] فمن أمكنه الأمر بالمعروف من حيث لا يصل إليه الأذى في نفسه أو عرضه أو ماله فهو ممكن في الأرض، والوجوب متعلق به، وإن كان لا يصل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بأذى قبل ذلك؛ أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعده سقط عنه الوجوب

والإنكار حينئذ ، السادس أن يكون مشيه بالسكينة والوقار؛ لقوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] وليس ذلك خاصاً بالمشي بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة ويلزمها التثبيت، السابع: أن يذكر الله في سوقه؛ فإنه قد جاء عنه عليه السلام: «ذاكر الله في السوق كالحي بين الموتى» وكان بعض السلف يركب بغلته ويأتي السوق فيذكر الله ثم يرجع، لا يخرجه إلا ذلك الثامن: أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض إلى الصلاة في أوقاتها جماعة؛ لأنه إن ضيعها اشتغالاً بسببه استوجب المقت من ربه ورفعت البركة من كسبه وليستحي أن يراه الحق سبحانه مشغولاً بحظ نفسه عن حقوق ربه، وقد كان بعض السلف يكون في صنعته فربما رفع المطرقة فيسمع المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلاً بعد أن دعي لربه، وليذكر إذا سمع قوله سبحانه: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف:٣١] وقوله سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] وقوله سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾ [الشورى:٤٧] وقالت عائشة – رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكون في بيته يخصف النعل ويعين الخادم حتى إذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا. التاسع: ترك الحلف والإطراء لسلعته؛ فقد جاء في ذلك الوعيد الشديد، وقد قال عليه السلام: «التجار هم الفجار إلا من بر وصدق» العاشر: كف لسانه عن الغيبة، وليذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢] وليعلم أن السامع للغيبة أحد المغتابين، فإن اغتيب بحضرته فلينكر، فإن

لم يُسمَع منه فليقم ولا يمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق فالله أحق أن يُستحيا منه وأن يرضى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢]، وقد جاء عنه عليه السلام: «إن الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية في الإسلام» ومما قيل في التحذير من سماعها وقبيح مثلها:

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

وقد تقدم أن المتوكل والمتسبب لا يستويان ولو فعل المتسبب ما فعل، وكيف يتساوى من تجرد لعبادة الله وخدمته مع من انخرط في سلك الدنيا وشهواته؟ واعلم أن الله تعالى اختبر الأغنياء بوجدان أهل الفاقة كما اختبر أهل الفاقة بوجود الأغنياء ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]، ووجود أهل الفاقة نعمة من الله على ذوي الغنى إذا وجدوا من يحمل عنهم أزوادهم إلى الدار إلى الآخرة وإذا وجدوا من إذا أخذ منك أخذ الله منه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ [محمد:٣٨] ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] فلو لم يخلق الفقراء فكيف كان يقبل منك صدقاتك؟ ومن كنت تجد يأخذ هباتك؟ ولذلك قال صلوات الله عليه وسلامه: **«من تصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - كان كأنما يضعها في كف الرحمن يربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى أن اللقمة لتعود مثل جبل أحد»** ولذلك كان من أشراط الساعة أن لا يجد الرجل من يقبل صدقته. وقال الشيخ

أبو الحسن - رضي الله عنه: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبئوا به ولو كان أعلم البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة ومواساة ذوي الفاقة، وملازمة الخمس في الجماعة. وصدق - رضي الله عنه - فإن بمجانبة الظلمة وإيثار أهل الآخرة تقع السلامة في الدين؛ لأن صحبة الظَّلَمَة تكسف نور الإيمان، وبمجانبتهم تكون أيضا النجاة من عقوبة الله لقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾** [هود:١١٣] ولأن العبد بقدر إيثاره لأهل الله وتردده إليهم تنزل عليه الرحمة بواسطتهم ويقتبس النور من نفحاتهم، ولأن مواساة أهل الفاقة تدل على كون العبد شاكراً لربه ومصدقاً لوعده بقلبه، قال تعالى: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم:٧] وقال: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** [سبأ:٣٩] ولأن ملازمته الخمس تكون سبباً لتجديد الأنوار، وموجباً لوجود الاستبصار، وقد قال عليه السلام: «**تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة**» وفي الحديث الآخر: «**بسبعة وعشرين جزءاً**» ولو شرع للعباد أن يصلي كل واحد منهم في حانوته أو داره لتعطلت المساجد التي قال الله: **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾** [النور:٣٦ ٣٧]، ولأن في ملازمة الصلاة في جماعة اجتماع القلوب وتناصرها والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم، وقد قال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**» ولأن الجماعة إذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم، وامتدت أنوارهم لمن شهدهم، وكان اجتماعهم وتضامنهم كالجيش إذا اجتمع وتضام كان ذلك سبباً في وجود نصرته، وهو أحد التأويلين في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]
(استلحاق) وعليك أيها المؤمن متوكلاً كنت أو مكتسباً بغض بصرك، لا
سيما أيها المتكسب في حين خروجك إلى سبيلك إلى حين ترجع، ولتذكر
قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] وليعلم أن بصره نعمة من الله، فلا يكون لنعم
الله كفوراً وأمانة من الله عنده فلا يكون لها خائناً، وليذكر قوله تعالى:
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ
يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:١٤] وإذا أردت أن ترى فاعلم بأن الله يرى
وليعلم أنه إذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاءً وفاقاً، فمن ضيق على
نفسه في دائرة الشهادة وسع الله عليه في دائرة الغيب. وقال بعضهم: ما
غض أحد بصره عن محارم الله إلا أوجد الله نوراً في قلبه يجد حلاوة
ذلك النور، قاله في "التنوير"، وفي قوانين ابن جزي مسألة: اختلف الناس
في المفاضلة بين الفقر والغنى فذهب أكثر الفقهاء إلى أن الغنى أفضل
واستدلوا بأن الغني يقدر على أعمال صالحة لا يقدر عليها الفقير
كالصدقة والعتق وبناء المساجد، وذهب أكثر الصوفية إلى أن الفقير
أفضل واستدلوا بنصوص في هذا المعنى، ولا يصح التفضيل إلا بعد
تفصيل، وهو أن من كان يقوم بحقوق الله في الغنى ولا يقوم بحقوقه في
الفقر فالغنى أفضل له اتفاقاً، ومن كان بالعكس فالفقر أفضل له اتفاقاً
وإنما محل الخلاف من كان يقوم بحقوق الله في الحالتين، والحقوق في
الغنى هي أداء الواجبات والتطوع بالمندوبات والشكر لله وعدم الطغيان
بالمال، والحقوق في الفقر هي الصبر عليه والقناعة وعدم التشوف

للزيادة واليأس مما في أيدي الناس، ولله در غني شاكر وفقيـر صـابر وقليل ما هم (تنبيه) اعلم أنه مما ينبغي لصاحب التكسب وغيره الـورع قال ﷺ: «**الورع سيد العمل فمن لم يكن له ورع يرده عن معصـية الله إذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً فذلك مخافـة الله فـي السـر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والعدل عند الرضا والسخط. ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه يرضى للناس ما يرضى لنفسـه**»، وقـال عليه السلام: «**الورع الذي يقف عند الشـبهة**» والـورع علـى ثـلاث درجات: ورع عن المحارم وهو واجب، وورع عن الشبهات، وهو متأكد وإن لم يجب، وورع عن الحلال مخافة الوقوع في الحرام، وهو فضـيلة وهو مالا بأس به حذراً مما به البأس، والأصل في هذا الباب قولـه ﷺ: «**الحلال بيِّن والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير مـن الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقـع فـي الشبهات فهو كالراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملـك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صـلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلـب**» ولـذلك قيل: إن هذا الحديث ربع العلم، وقيل: ثلثه (الإعراب) ذاك: مبتـدأ اسـم إشارة مبني لا يظهر فيه الإعراب، رواه: فعل ماض ومفعوله، آل فاعل دل: مضاف إليه، أدر: فعل أمر، وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت، ورب زاد: جار ومجرور، زاد: فعل ماض، وفاعله ضمير يرجع إلى زاد، رد: مفعول به لزاد، وزري، مضاف إليه ما قبله، ثم قلت:

ورد ذا وداد ذلك ولود إدا وآده ودوده ورد

(اللغة) ود، أي: حب أو تمنى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البقرة:١٠٩] ومنه: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٦٩] ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦] ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٥] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة:٢٦٦] ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠] ذا اسم إشارة وتقدم الكلام عليه، وداد، أي: حب، ويثلث كالود وكالودادة والمودة والمودودة ووددته وودته أوده فيهما، والود أيضا ويثلث كالوديد والكثير الحب كالودود، والمود المحبوب كالأودة والأوداء والوداد وللوديد والأود بكسر الواو وضمها وود ضم ويضم، والود: الوتد وجبل، وتودده اجتلب وده، وإليه: تحبب، والتواد: التحاب، ومودة: امرأة، والمودة: الكتاب، وبه فسر: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١] أي بالكتاب، ذاك اسم إشارة أيضا، وتقدم الكلام عليه، وأود كفرح يأود أودا: اعوج، والنعت: أود وأوداء وأدته فانآد وأودته فتأود عطفته فانعطف إدا: عجبا، والإد والإدة بكسرهما: العجب، والأمر الفظيع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم:٨٩] والداهية والمنكر كالأد بالفتح، جمعه أداد وإداد، والأد والأد والآد: الغلبة والقوة، وأد البعير: هدر، وللناقة: أحنت، وأد الشيء: مده وفي الأرض: ذهب، وأدته الداهية تؤده وتئده وتأدته: دهته، والتأدد: التشدد، وأدد كعمر مصروفا وبضمتين: أبو قبيلة، وآداه أي بلغ منه المجهود، وتأوده الأمر، وتآده: ثقل عليه، والمآود: للدواهي، وآد: مال

ورجع، وأويد القوم: أزيزهم وحسهم، وأده الأمر يؤده: أثقله قال تعالى: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥] وقال حسان:

ومثلى أطاق ولكنني أكلف نفسي الذي أدها

وقال آخر:

ألا تلك سلمى اليوم بث حديثها وضنت وما كان النوال يؤودها

وقال آخر:

يعطي المنين ولا يؤوده حملها محض الضرائب ماجد الأخلاق

ودوده أي: محبه، ورد ككرم أي جره، أو صار وصفه بين وصفين، والورد من الخيل بين الكميت والأشقر، جمعه وردودار وأوراد وفعله ككرم والجرىء كالوارد والزعفران والأسد (الإعراب) ود فعل ماض، ذا: فاعله، وداد: مفعوله، ذاك: مضاف إليه، أود: فعل ماض فاعله ضمير يرجع إلى ذا، إدا: مفعول مطلق، أو من أجله، وآده: فعل ماض ومفعوله، ودوده: فاعله، وورد: فعل ماض، وفاعله ضمير يرجع إلى ذا، وحذف منه واو العطف للضرورة (المعنى) يعنى أن هذا الأخير الذي هو صاحب التكسب أحب وتمنى محبوب ذاك الأول الذي هو صاحب التوكل واعوج وانعطف عنه لأجل الثقل الذي هو فيه من مكابدة الأمر الفظيع الذي ناله بسبب الكسب، ولأجل ذلك آده ثقل عليه ودوده أي: محبوبه، فمعنى ما أحبه مما وجد فيه صاحب التوكل وورد أي ومع ذلك ورد، أي: جزء على ما هو فيه من التكسب أو صار وصفه بين وصفى المتوكل والمتكسب؛ لأنه بالمحبة من صفة المتوكل و بالعمل من

صفة المتكسب، فصار كالوصف الذي لم يخلص لوصف عن وصف قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ [النساء:١٤٣] لأن وصفهم لم يخلص إلى المؤمنين بالكلية ولا إلى الكافرين. واعلم أن المرء لا يتمنى الشيء إلا إذا أحبه، والتمني قد يكون محموداً، وقد يكون مذموماً، فالمحمود منه مثلما قال ﷺ: «وددت أن لقيت إخواني» قالوا: يارسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواني قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي لم يروني، ثم قال: يا أبا بكر ألا تحب قوماً بلغهم أنك تحبني فأحبوك بحبك إياي فأحبهم الله؟» وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا» وقال: «ما من عبد يموت وله عند الله عز وجل خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وإن للدنيا له وما فيها إلا الشهيد لما يرى من الكرامة» وقد ترجح بهذا تمنى الشهادة لما فيه من الكرامة والتنعيم. وقال تعالى حاكيا عن بعض الصحابة: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ [آل عمران:١٤٣] مع أن هذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت، وهم محمودون من جهة تمني نيل كرامة الشهداء والتوبيخ على تمنى الموت والانهزام عنه، وكما روي عن المبشرين بالجنة وكان كل واحد من العشرة يحب للموت ويحن إليه يروى أن علياً كرم الله وجهه كان يطوف بين الصفين في غلالة، فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين، فقال: يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت. وعن حذيفة - رضي الله عنه - أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم

- يعني: على التمني - وقال عمار بصفين: الآن ألاقي الأحبة، محمداً وحزبه، والمذموم من التمني ما كان على جهة الاعتراض على المقادير مع كثرته من صاحبه، وهو من عيوب النفس كما قال شيخنا - رضي الله عنه - في "مطية المجد" وهو قوله - مرجعاً للضمير على النفس:

من عيبها كثرتها التمني ... به اعتراضها على ذا المن

فيما به قضى وما قد قدرا ... دواء ذا التسليم والرضا جرى

لأنه أعلم بالعواقب ... عسى عسى تنفع في العواقب

يعني أن من عيب النفس كثرة التمني، وأن بذلك اعتراضها على ذي المن - أي العاطي وهو الله تعالى - تعترض عليه فيما قضى وما قد قدر على خلقه، ثم ذكر - رضي الله عنه - دواء ذلك العيب بقوله: دواء إلخ، يعني أن دواء هذا العيب التسليم لله والرضا بأحكامه لأنه تعالى أعلم بعواقب الأمور، وربما كان الأمر مكروهاً عند المرء وعاقبته محمودة له وربما كان محبوباً عنده وعاقبته مكروهة له، ثم نبه - رضي الله عنه - على شاهد على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] ، وقد نهى ﷺ عن بعض التمني كقوله: **«لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني إن كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إن كانت الوفاة خيراً لي»** وكقوله: **«لا تمنوا الموت؛ فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة»**، (تنبيه) اعلم أن التمني يطلق على الإرادة والسؤال، ومنه عند بعض المفسرين: ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ﴾

[البقرة:٩٤] أي: أريدوه واسألوه، كما في "الثعالبي" أن المراد بقوله: تمنوا الموت أي: أريدوه بقولكم واسألوه، وقال ابن عباس: المراد به السؤال فقط وإن لم يكن بالقلب، والأماني: جمع أمنية وهي التلاوة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج:٥٢] أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، قال الشاعر:

تمنى كتاب الله يوم مماته   تمنى داوود الزبور المحبرا

وقال آخر:

تمنى كتاب الله أول ليلة   وآخره لاقى حمام المقادر

والأماني: الأكاذيب أيضاً، ومنه قول عثمان - رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت، أي: ما كذبت، ومنه قول بعض العرب لشخص سمعه يحدث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيته؟ ويقال أيضاً للفعل، وقيل أيضا: هذا الشيء سمعته أم شيء تمنيته؟ أي: فعلته، والأماني أيضاً: ما يتمناه الإنسان ويشتهيه، قاله محمد بن عزيز في تفسير غريب القرآن (فائدة) اعلم أن الناس قد كثر كلامهم في وصف الود أي الحب ونعت العشق فسلك كل منهم مذهباً أداه إليه نظره واجتهاده، وسأختصر من أقوالهم قدراً يسيراً كافياً، قال عبد الرحمن بن نصر: إن أهل الطب يجعلون العشق مرضاً يتولد من النظر والسماع، ويجعلون له عاجلاً كسائر الأمراض البدنية، وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض، فأول مرتبة منه تسمى الاستحسان، وهي المتولدة عن النظر والسماع، ثم تقوى هذه المرتبة فتصير محبة، والمحبة هي الإئتلاف الروحاني، فإذا قويت

هذه المرتبة صارت خُلَّة، والخلة بين الآدميين هي تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى تسقط بينهما السرائر والخلة والخليل قال الشاعر:

ألا قبح الله الوشاة وقولهم فلانة أضحت خلة لفلان

فإذا قويت هذه المرتبة صارت هوى، والهوى هو أن المحب لا يخالطه في محبة محبوبه تغير، ولا يداخله تلون، ثم يزيد الحال فيصير عشقاً، والعشق هو إفراط المحبة حتى لا يخلو المعشوق من تخيل العاشق وفكره وذكره، ولا يغيب عن خاطره وذهنه؛ فعند ذلك تشتغل النفس عن تنبه القوى الشهوانية، فتمتنع عن الطعام والشراب لاشتغال النفس عن القوى الشهوانية، ويمتنع من الفكر والذكر والتخيل والنوم لاستضرار الدماغ، فإذا قوي العشق صار مقيماً في هذه الحالة لايجد فضلاً لغير صورة المعشوق ولا ترضى نفسه هواها، فإذا تزايد الحال صار ولهاً ويصير موسوساً لا يدري ما يقول ولا أين يذهب، فحينئذ يعجز الأطباء عن مداواته، وتقصر آراؤهم عن معالجته لخروجه عن الجد الضابط ولقد أجاد القائل حيث قال:

يقول أناس لو نَعَتَّ لنا الهوى ووالله ما أدري لهم كيف أنعت

فليس لشيء منه حدٌّ أحدُّه وليس لشيء منه وقت موقت

إذا اشتد مابي كان آخر حيلتي له وضع كفي فوق خدي وأصمت

وأنضح وجه الأرض طوراً بعبرتي وأقرعها طوراً بظفري وأنكت

وقد زعم الواشون أني نسيتها فمالي أراها من بعيد فأبهت

قال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاثة مساكن: التخيل في مقدمه، والفكر في وسطه، والذكر في مؤخره، فلا يكون أحد عاشقاً حتى إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله وفكره وذكره؛ فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال القلب وكبده، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر للمعشوق ولتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، ومتى لم يكن كذلك لم يكن عاشقاً، فإذا ألهي العاشق خلت هذه المساكن فرجع إلى حال الاعتدال. قال أبو علي الدقاق: العشق: تجاوز الحد في المحبة، لهذا لا يوصف الحق بالعشق؛ لأنه لا يوصف بأنه تجاوز الحد في محبة العبد، وإنما يوصف بالمحبة. كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] فمحبة الله تعالى للعبد هي إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته إرادته الإنعام، وقال قوم: محبة الله للعبد مدحه وثناؤه عليه، وقيل: محبة الله للعبد صفة من صفات فعله، فهي إحسان مخصوص يليق بالعبد، أما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم له وإيثار رضاه وقلة الصبر والاحتياج اليه والاستئناس بذكره جل وعلا، وقد اختلف في اشتقاق المحبة والعشق، فقال بعضهم: الحب اسم لصفاء المودة؛ يقال لصفاء بياض الإنسان ونضارتها: حبب، وقيل: مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، وسمي بذلك لأن المحبة تعظيم ما في القلوب من المهمات، وقيل: اشتقاقها من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير إذا برك فلم يقم، فكأن المحب لا ينزل قلبه عن ذكر محبوبه، وأما العشق فاشتقاقه من العشقة، وهي نبات ما تنف بأصول الشجر التي

يفاربها في منبتها فلا يكاد يتخلص منه إلا بالموت، وقيل: إن العشقة نبات أصفر متغير الأوراق، فسمي العاشق به لاصفراره وتغيير حاله وقيل: أعم علامات الحب وأشهرها وأعظم صفات الهوى وأظهرها ثلاثة أوصاف ملازمة لا يستطيعون دفعها، وهي: التحول والسقم والذبول. تمت الفائدة من "حياة الحيوان" عند كلامه على "الفاختة" وهي طائر يعمر كثيراً ويضرب به المثل في الكذب، يقال: "أكذب من فاختة"، قال الشاعر:

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب   والطلع لم يبدلها هذا أوان الرطب

ويحكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه نفسها، فقال لها: ما الذي يمنعك عني ولو أردت أن أقلب لك ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلت ذلك؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وقال: ما حملك على هذا؟ قال: يا نبي الله أنا محب والمحب لا يلام وكلام العشاق يطوى ولا يحكى، قال الشاعر:

أريد وصالها وتريد هجري   فأترك ما أريد لما تريد

واعلم أنه لا أشأم من الحب في غير الله لقوله تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف:٦٧] ولا بركة أعظم من الحب في الله، قال ﷺ: «**المتحابون في الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، يوضع لهم كراسي من نور، يغبطهم بمجلسهم من الرب النبيون والصديقون والشهداء**» وقال: «**المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون**

والصديقون» وقال: «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش» وقال: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام» وقال: «المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وادون وإن افترقت منازلهم وأبدانهم، والفجرة بعضهم لبعض غششة يتجادلون وإن اجتمعت منازلهم وأبدانهم» وقال: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجالس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه» قاله في "راموز الحديث" واعلم أنه لا جالب للحب كالأعمال الصالحات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦] والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوبهم من أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانتهم، وروي أن النبي ﷺ قال لعلي - رضي الله عنه: «يا علي قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله هذه الآية، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - يعني: يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه، وعن رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا جبريل قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له المحبة في أهل الأرض» وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد

إليه. قاله في "الكشاف"، وفيه عند (يحبهم ويحبونه): محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وألا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم، وفي "الثعالبي" قال "الفخر": وقدم الله سبحانه محبته لهم على محبتهم له؛ إذ لولا حبه لهم لما وفقهم أن صاروا محبين له، وفي كتاب "القصد إلى الله سبحانه" للمحاسبي: قلت للشيخ: فهل يلحق المحبين له عز وجل خوف؟ قال: نعم، الخوف لازم لهم كما لزمهم الإيمان، لا يزول إلا بزواله، وهذا هو خوف عذاب التقصير في بدايتهم، حتى إذا صاروا إلى خوف للفوت صاروا إلى الخوف الذي يكون في أعلى حال فكان الخوف الأول يطرقهم خطرات، وصار خوف الفوت وطاب[1] قلت: فما الحالة التي تكشف عن قلوبهم شديد الخوف والحزن؟ قال: الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم سعة فضل الله عز وجل، وأملهم منه أن يظفروا بمرادهم إذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لقطعت أنفسهم حسرات وماتوا كمداً، قلت: أي شيء أكثر شغلهم؟ وما الغالب على قلوبهم في جميع أحوالهم؟ قال: كثرة الذكر بمحبوبهم على طريق الدوام والاستقامة، لا يملون ولا يفترون، وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، ثم قال ذو النون: ما ولع أحد بذكر الله إلا أفاد منه حب الله. اهـ. (فائدة أخرى) اعلم أن من علامة المحبة اتباع المحبوب بل من شرطها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

---

(١) هكذا بالأصل، والظاهر كونه مصحفاً.

اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وذلك لأنه لما كان عليه الصلاة والسلام حبيبه فكل من يدعي المحبة لزمه اتباعه؛ لأن محبوب المحبوب محبوب، فتجب محبة النبي، ومحبته إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرة وعقيدةً، ولا تمشي دعوة المحبة إلا بهذا! فإنه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة، فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب، وإذا تابعه حق المتابعة يناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه، وهو مظهر المحبة، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا المتابع قسط من محبة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله تعالى محبته عليه ويسري من باطن روح النبي نور تلك المحبة إليه، فيكون محبوباً لله محباً له ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبي، فبعد عن وصف المحبوبية وزالت المحبية من قلبه أسرع ما يكون؛ إذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن محباً له، قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] كما غفر لحبيبه حيث قال: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] فكذا ذنوب المتابعين، كما قال تعالى على لسان نبيه الصادق: «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بنوافل الخير حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» قال الشيخ العارف بالله بن أبي جمرة - رضي الله عنه: من علامة السعادة للشخص أن يكون معتنياً بمعرفة السنة في جميع تصرفاته والذي يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته، وهذا هو طريق أهل الفضل، حتى حكي عن بعضهم أنه لم يأكل البطيخ سنين لما

لم يبلغه كيفية السنة في أكله، والاتباعية الكاملة إنما تصح بأن تكون عامة في كل الأشياء، يعني: إلا ما خصصه به الدليل - جعلنا الله من أهليا في الدارين - قال الحسن بن أبي الحسن وابن جريج: إن قوماً على عهد رسول الله ﷺ قالوا: يا محمد إنا نحب ربنا، فنزلت الآية - يعني: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [آل عمران:٣١] الآية، قال عياض: اعلم أن من أحب شيئا آثره، ومن آثره آثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً، فالصادق في حبه النبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واتباع سنته، واتباع أقواله وأفعاله، والتأدب بأدبه في عسره ويسره، وقال عياض: روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه: «**من استمسك بحديثي وفهمه جاء مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة**» وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد**» وقال أبي بن كعب: "عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها" الحديث، قال عياض: من علامات محبته ﷺ زهد مدعيها في الدنيا، وإيثاره الفقر، واتصافه به. وفي حديث أبي سعيد: إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي والجبل إلى أسفله. وفي حديث عبد الله بن مغفل: قال رجل للنبي ﷺ: إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك "ثلاث مرات"، قال: «**إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً**» ثم ذكر نحو حديث

أبي سعيد بمعناه، قال في القاموس: التجفاف بالكسر آلة الحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب، وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة. وقال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله، ومن علامة حبه للنبي ﷺ شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان النبي ﷺ بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، وقال ابن عطية في تفسيره: والمحبة إرادة يقترن بها إقبال من النفس وميل بالمعتقد، وقد تكون الإرادة المجردة فيما يكره المريد والله تعالى لا يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها أنه لابد أن يطيعه، ومحبة الله تعالى أمارة للمتأمل أن يرى مهدياً مسدداً ذا قبول في الأرض، فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته إياه هي ثمرة محبته، وبهذا النظر يتفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عز وجل، قاله الثعلبي، وقد عقد صاحب "مشكاة المصابيح" للحب في الله باباً فيه ثلاثة فصول لابد من الإتيان بهما - إن شاء الله - لمسيس الحاجة إليها، وهو الشيخ ولي الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي - رحمه الله تعالى -.

(الفصل الأول) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»** وعن أبي

هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» وعنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخا له في قرية أخرى فأرصد له على مدرجه ملكاً فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال: هل لك عليه من نعمة تربها قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك، فإن الله قد أحبك كما أحببته فيه» روى هذه الثلاثة مسلم، وعن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب» متفق عليه، وعن أنس أن رجلاً قال: يارسول الله متى الساعة؟ قال: «ويلك، ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله قال: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها. متفق عليه، وتقدم وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك

وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» متفق عليه.

(الفصل الثاني) عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ» رواه مالك، وفي رواية الترمذي قال: «يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، رواه أبو داود، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، أي عرى الإيمان أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله» رواه البيهقي، في "شعب الإيمان" وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً» وعن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» وعن أنس قال: مر رجل بالنبي ﷺ وعنده ناس، فقال رجل ممن عنده: إني لأحب هذا لله، فقال النبي ﷺ:

أعلمته؟ قال: لا، قال: قم إليه فأعلمه، فقام إليه فأعلمه، فقال: أحبك الذي أحببتني له، قال: ثم رجع فسأله النبي ﷺ فأخبره بما قال، فقال النبي ﷺ: أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت» رواه البيهقي في "شعب الإيمان" وفي رواية الترمذي: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب» وعن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه الترمذي وأبو داود، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أحمد والترمذي، وعن زيد بن نعامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو؛ فإنه أوصل للمودة» رواه الترمذي.

(الفصل الثالث) عن أبي ذر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال قائل: الصلاة والزكاة وقال قائل: الجهاد، قال النبي ﷺ: إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله والبغض في الله» وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرمه ربه عز وجل» رواهما أحمد، وعن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: خياركم الذين إذا رُءُوا ذُكِرَ الله» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن عبدين تحابا في الله عز وجل واحد في المشرق وآخر في المغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول: هذا الذي كنت تحبه فيّ» وعن أبي رزين أنه قال له رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على

ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر، وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحب في الله وأبغض في الله، يا أبا رزين هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه شيعه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه ويقولون: ربنا إنه وصلَ فيك فصلْهُ، فإن استطعت أن تُعمل جسدك في ذلك فافعل» وعن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرى، فقالوا: يا رسول الله من يسكنها؟ قال: المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله» روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في "شعب الإيمان". اهـ. ما في "مشكاة المصابيح" قال البوني في "شمس المعارف": المحبة صفاء المودة، وقيل: الميل الدائم بالقلب الهائم، ولها أربعة ألقاب، الأول: الحب، الثاني: الود الثالث: العشق - وهو إفراط المحبة - الرابع: الشغف - وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به - وفي "نزهة المجالس" عرفها بعضهم بقوله: هي ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذاً عنده، وقال الشبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبة، وقال غيره: المحبة كالحبة، إذا وقعت في أرض طيبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، فالحبة إذا حصلت في قلب طيب تفرق منها سنابل الطاعات. قال "الفخر": واعلم أن الأمة وإن اتفقوا في إطلاق هذه اللفظية لكنهم اختلفوا في معناها، فقال جمهور المتكلمين: إن المحبة نوع من الإرادة، والإرادة لا تعلق لها إلا بالجائزات، فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى

وصفاته، فإذا قلنا: "نحب الله"، فمعناه: نحب طاعة الله وخدمته، أو نحب ثوابه وإحسانه، وأما العارفون فقد قالوا: العبد قد يحب الله لذاته، وأما حب خدمته أوحب ثوابه فدرجه نازلة، واحتجوا بأن قالوا: إنا وجدنا أن اللذة محبوبة لذاتها، والكمال أيضا محبوب لذاته، أما اللذة فإنه إذا قيل لنا لم تكتسبون؟ قلنا: لنجد المال، فإذا قيل: ولم تطلبون المال؟ قلنا: لنجد به المأكول والمشروب، فإذا قالوا: لم تطلبون المأكول والمشروب؟ قلنا: لتحصل اللذة ويندفع الألم، فإذا قيل لنا: ولم تطلبون اللذة وتكرهون الألم؟ قلنا: هذا غير معلل؛ فإنه لو كان كل شيء إنما كان مطلوباً لأجل شيء آخر لزم إما التسلسل وإما الدور، وهما محالان، فلا بد من الانتهاء إلى ما يكون مطلوبا لذاته، وإذا ثبت ذلك فنحن نعلم أن اللذة مطلوبة الحصول لذاتها، والألم مطلوب الدفع لذاته لا لسبب آخر، وأما الكمال فلأنا نحب الأنبياء والأولياء لمجرد كونهم موصوفين بصفات الكمال، وإذا سمعنا حكاية بعض الشجعان مثل رستم وأسفندريا واطلعنا على كيفية شجاعتهم مالت قلوبنا إليهم حتى إنه قد يبلغ ذلك الميل إلى إنفاق المال العظيم في تقدير تعظيمه، وقد ينتهي ذلك إلى المخاطرة بالروح، وكون اللذة محبوبة لذاتها لا ينافي كون الكمال محبوباً لذاته، إذا ثبت هذا فنقول: الذين حملوا محبة الله تعالى على محبة طاعته أو على محبة ثوابه فهؤلاء هم الذين عرفوا أن اللذة محبوبة لذاتها ولم يعرفوا أن الكمال محبوب لذاته، أما العارفون الذين قالوا إنه تعالى محبوب في ذاته، ولذاته فهم الذين انكشف لهم أن الكمال محبوب لذاته وذلك أن أكمل الكاملين هو الحق سبحانه وتعالى، فإنه لوجوب وجوده غني عن كل ما عداه، وكمال كل شيء فهو

مستفاد منه، وإنه سبحانه وتعالى أكمل الكاملين في العلم والقدرة، فإذا كنا نحب الرجل العالم لكماله في علمه والرجل الشجاع لكماله في الشجاعة والرجل الزاهد لبراءته عما لا ينبغي من الأفعال فكيف لا نحب الله وجميع العلوم بالنسبة إلى علمه كالعدم، وجميع القدرة بالنسبة إلى قدرته كالعدم، وجميع ما للخلق من البراءة عن النقائص بالنسبة إلى ما للحق من ذلك كالعدم؟ فلزم القطع بأن المحبوب الحق هو الله تعالى; وأنه محبوب في ذاته سواء أحبه غيره أو ما أحبه غيره، واعلم أنك لما وقفت على النكتة في هذا الباب فنقول: العبد لا سبيل له إلى الاطلاع على كمال الله سبحانه ابتداء، بل ما لم ينظر في مملوكاته لا يمكنه الوصول إلى ذلك المقام، فلا جرم كل من كان إطلاعه على دقائق حكمة الله تعالى وقدرته في المخلوقات ثم كان علمه بكماله أتم فكان حبه له أتم، ولما كان لا نهاية لمراتب وقوف العبد على دقائق حكمة الله تعالى فلا جرم لا نهاية لمراتب محبة العباد لجلال حضرة الله، ثم تحدث هناك حالة أخرى وهي أن العبد إذا كثرت مطالعته لدقائق حكمة الله تعالى كثر ترقيه في مقام محبة الله، فإذا كثر ذلك صار ذلك سبباً لاستيلاء حب الله تعالى على قلب العبد وغوصه فيه، على مثال القطرات النازلة من الماء على الصخرة الصماء، فإنها مع لطافتها تثقب الحجارة الصلدة، فإذا غاصت محبة الله في القلب تكيف القلب بكيفيتها واشتد إلفه بها، وكلما كان ذلك الإلف أشد كانت النفرة عما سواه أشد؛ لأن الالتفات إلى ما عداه يشغله عن الالتفات إليه، والمانع عن حضور المحبوب مكروه، فلا تزال تتعاقب محبة الله ونفرته عما سواه عن القلب ويشتد كل واحد منهما بالآخر إلى

أن يصير القلب نفوراً عما سوى الله تعالى، والنفرة توجد الإعراض عما سوى الله والإعراض يوجب الغنى عما سوى الله تعالى، فيصير ذلك القلب مستنيراً بأنوار القدس مستضيئاً بأضواء عالم العظمة فانياً عن الحظوظ المتعلقة بعالم الحدوث وهذا المقام أعلى الدرجات، وليس له هذا العالم مثال إلا العشق الشديد على أي شيء كان، فإنك ترى من التجار المشغوفين بتوصيل المال من نسي جوعه وطعامه وشرابه عند استغراقه في حفظ المال، فإذا اعتقل ذلك في ذلك المقام الخسيس فكيف يستبعد ذلك عند مطالعة جلال الحضرة الصمدية؟ (فرع) في معنى الشوق إلى الله تعالى: اعلم أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، فأما الذي لم يدرك أصلاً فلا يشتاق إليه، فإن لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لم يتصور أن يشتاق إليه، ولو أدرك كماله لاشتاق إليه، ثم إن الشوق إلى المعشوق من وجهين، أحدهما أنه إذا رآه ثم غاب عنه اشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا سائر محاسنه، فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين؛ فإن الذي اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح مشوب بشوائب الخيالات، فإن الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن المحاكاة والتمثيلات، وهي مدركات للمعارف الروحانية، ولا يحصل تمام التجلي إلا في الأخرة، وهذا يقتضي حصول الشوق لا محالة في الدنيا، والثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها، وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعض، وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة، فإذا

علم العارف أن ما غاب من عقله أكثر مما حضر فإنه لا يزال يكون مشتاقاً إلى معرفتها، والشوق بالتفسير الأول ينتهي في دار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، ولا يتصور أن يكون في الدنيا، وأما الشوق بالتفسير الثاني فيشبه ألا يكون له نهاية؛ إذ نهايته أن يكشف للعبد في الآخرة جلال الله صفاته وحكمته في أفعاله، وهي غير متناهية والاطلاع على غير المتناهي على سبيل التفصيل محال، وقد عرفت حقيقة الشوق إلى الله تعالى.

واعلم أن ذلك الشوق لذيذ؛ لأن العبد إذا كان في الترقي حصل بسبب تعاقب الوجدان والحرمان والوصول والصد آلام مخلوطة بلذات واللذات وإذا كانت محفوفة بالحرمان والفقدان كانت أقوى، فيشبه أن يكون هذا النوع من اللذات مما لا يحصل إلا للبشر؛ فإن الملائكة كمالاتهم حاضرة بالفعل، وللبهائم لا تستعد لها، أما البشر فهم المترددون بين جهتي السفالة والعلو، ولذلك صار صاحب التكسب يحب ويتمنى حالة صاحب التوكل لعلوه عنه وانسفاله هو عن صاحب التوكل لأجل انعطافه واعوجاجه عن أفعاله كما قال في النظم: وود ذا وِدَاد ذاك وأود

ومن شواهد الوداد أنه الحب والود قول الشاعر في ثالث هذه الأبيات وقد أتيت بها كلاً لفائدتها:

وذي غيلة سالمته فقهرته ولوقرته مني بعبء التجمل

ومن لا يدافع سيئات عدوه بإحسانه لم يأخذ الطول من عل

ولم أر في الأشياء أسرع مسلكاً لضغن عدو من وداد معجل

ثم إن الناظم تعجب من حالة المتسبب الواقع فيها بقوله: إذا، أي: عجباً لهذا المرء الذي يتمنى حالةً ليس له منها مانع، ومع ذلك لا يفعلها لأن المرء إذا أعجبته حالة في امرئ وفعل فعل صاحبها نال ما له.

قال الشاعر:

إذا أعجبتك خصال لامرئ فكنها يكن منك ما يعجبك

فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك

وتقدم ذكر هذين البيتين عند قوله: وراغ... البيت، ولم يزل التعجب من الأمور الغريبة من شأن العقلاء، وهو من غيرها لا يمدح قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٣] الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم، قاله "الكشاف"، وفي "للثعالبي": الاستفهام هنا على جهة التقرير والتوبيخ وقوله: عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ قيل: على بمعنى مع، وقيل: على حذف مضاف تقديره: على لسان رجل، ويحتمل أن يكون معناه: منزل على رجل منكم، إذ كل ما يأتي من الله فله حكم النزول، وقوله: لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ أي: وليحذركم عاقبة الكفر، وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار، وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تَرَجٍّ بحسب حال نوح عليه السلام ومعتقده أي: ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم، وفي الحديث: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» وفيه: «عجبت

من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته» وفيه: «عجبت للمؤمن وجزعه من السقم، لو كان يعلم ماله في السقم لأحب أن يكون سقيماً حتى يلقى ربه عز وجل» وفيه: «عجباً لغافل ولا يُغفل عنه، وعجباً لطالب الدنيا والموت يطلبه، وعجبا لضاحك ملء فيه لا يدرى أرضى ربه أم أسخطه» وفيه: «ليس إيمان من رآني يعجب، بل كل العجب لقوم رأوا أوراقا فيها سواد فآمنوا به أوله وآخره» وفيه: «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم للصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة» وفيه: «يعجب الرب من عبده إذا قال رب اغفر لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري» خرج هذه الأحاديث السبعة "راموز الحديث"، والعجب من الله: الرضا، وفي "الجامع الصغير" عن النبي عليه السلام: «عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون» وفيه: «عجبت لمن يشترى المماليك بماله ثم يعتقهم، كيف لا يشترى الأحرار بمعروفه فهو أعظم ثوابا؟»، قوله: وآده وئوده، يعني أن صاحب التكسب ثقل عليه ما أعجبه من عمل صاحب التوكل، وذلك لأجل ماهو فيه من مخالطة الدنيا ومحبتها ومجالسة أهل الدنيا وصحبتها حتى مات القلب وثقلت الجوارح وكسلت عن الطاعات، والقلب لا يخلو من ثلاثة أحوال: إما أن يكون حياً يقظاناً، وإما أن يكون مريضاً حيرانا أو يكون ميّتاً جماداً. ولحياة القلب وموته علامات كثيرة، وسأذكر لك

منها شيئاً تستدل بعلاماته على غيره، فمن علامات موت القلب: إيثار الدنيا على الآخرة، واقتحام ما تجب منه العقوبة بعد العلم بذلك، وعلامة حياته ضد ذلك، وهو: إيثار الآخرة على الدنيا، وترك ما تجب منه العقوبة بعد العلم به، ومن علامات موت القلب: الاشتغال بسد ما خرب من الدنيا، والبحث عن جمع المال خوفاً من شدائدها مع قلة الاهتمام بالدين وتضييع مصالح الآخرة، ومن علامات حياته ضد ذلك، وهو: عدم الاشتغال بسد ما خرب من الدنيا لأجل تخفيض خرابها جميعاً، وعدم البحث عن جمع المال لتحقق أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وكثرة الاهتمام بالدين وإصلاح ما يصلح الآخرة لكون العاقبة إليها، ومن علامات موت القلب: الحزن على ما احتيج إليه من الدنيا، وتضييع الأوقات بالتأسف عليه، وتسخير اللسان بذكره، ومن علامات حياته ضد ذلك، وهو: عدم الحزن على ما احتيج إليه من الدنيا وعدم تضييع الأوقات بالتأسف عليه، وعدم ذكره باللسان، ومن علامات موت القلب: التزين بطريق العلم، وإظهار الخشوع على الجوارح ومواجهة الجلساء بزي السكنية والتواضع والعادة في السر بخلاف ذلك ومن علامات حياته ضد ذلك، وهو: أن يكون المرء في السر آخذاً بطريق العلم، ويكون خشوعه في قلبه وتواضعه كذلك، ومن علامات موت القلب: تسخير اللسان بكثرة اللغو والكلام، والصمت عن شيء يشغله عن الفكرة التي تورثه التعظيم لجلال الله، وانصراف الوقت عن العبد بلا عمل يقدم عليه، ومن علامات حياته ضد ذلك، وهو: تسخير اللسان بالصمت إلا عن الذكر، أو ذكره لشيء لا يشغله عن الفكرة التي

تورثه التعظيم لجلال الله، وعدم ترك الوقت ينصرف إلا بعمل يقدم المرء على نفعه في آخرته، قلت: والضابط في حياة القلب النشاط إلى الأعمال الصالحات، وموته بالعكس، وسبب موت القلب الاهتمام بالدنيا وكيف يكون القلب حياً إذا كان مهتماً بما فرغ منه كما قالت امرأة من المتعبدات لبعلها لما رأته مهموماً: إن كان همك للدنيا فقد فرغ منها، وإن كان للآخرة زادك الله هماً. واعلم - رحمك الله - أن للعبد طعامين: طعام للنفس، وطعام للقلب، فطعام النفس الطعام والشراب، وطعام القلب العلم والحكمة، فمتى اعتلت النفس دفعت الطعام والشراب وتغير مذاقها وعسر عليها تسويغها، وكذلك القلب إذا اعتل دفع العلم والحكمة ولم يخشع بهما ولا يجد لهما عذوبة، ومتى اعتلّ الجسم بالحمى وما سواها من الأمراض تغير لون الطعام وتغير لون الوجه وضعفت الجوارح عن الأعمال التي جرت بها عوائدها في حين الصحة، وإن تفاحش المرض في الجسم لازم العبد الفراش ولم تكن له بالخروج عنه استطاعة، وكذلك القلب إذا تفاحش فيه حب الدنيا لازم فراش الغفلة ولم يستطع الخروج عنها وأعيت الجوارح من أعمال البر، فيكون شغل الدنيا وإن كان صعباً عسيراً أهون عليه من ركعتين يركعهما في يومه بخشوعهما ، فالعبد إذا أحب آخرته أضر بدنياه، وسبب ذلك أن القلب إذا أحياه الله عز وجل بحب الآخرة يتيسر عليه العمل عليها بطيب نفس منه دون صعوبة وتثقل عليه أشغال الدنيا التي لم يتعلق حبه بها حتى يتعطل عليه أقل أشغالها من انصراف القلب عنها، ومن أحب دنياه أضر بآخرته، وسبب ذلك أيضا أن القلب إذا انصرفت همته إلى الدنيا تصاعبت عليه أعمال

الأخرة، حتى يصير أصعب شغل من أشغال الدنيا أخف عليه من أقل شغل من أشغال الآخرة، وهذا بيِّن في النفس موجود لا خفاء به لذوي تمييز، قاله في "شمس القلوب"، واعلم أن حب للدنيا والاهتمام بها هو المذموم، ويرجع إلى أصلين لا غيرهما، أحدهما: التأسف على شيء منها فات العبد حتى شغل بالتأسف به عن ذكر الله، ثانيهما: الفرح بشيء منها أوتيه المرء حتى شغل بفرح وجدانه عن ذكر الله أيضا، قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] قال في الكتاب: فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ألا يحزن ولا يفرح، قلت: المراد: الحزن المُخْرِج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغي الملهي عن الشكر، فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتماد بها مع الشكر فلا بأس بها واعلم أن من علم أن كل شيء مكتوب عند الله قل تأسفه على الفائت وفرحه على الآتي؛ لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده؛ لأنه وطّن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وبسبب ذلك لم يتجرأ على التسخط عند فقد المفقود ولم يتجرأ على البخل عند إيجاد الموجود حتى سلم من الوصف الذي في النظم آخر البيت وهو قوله: ورد، أي جزء على ما هو عليه التكسب مع علمه بحسب ما عليه صاحب التوكل، وسلم أيضاً من تردده بين صفتين، إحداهما محمودة والأخرى مذمومة (تنبيهان) أحدهما: اعلم أن الجراءة التي هي الشجاعة

وصف محمود ممدوح مدحه الله ورسوله وسائر المخلوقات عرباً وعجماً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤] ، وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أُحُد دبرهم، وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد ولم يقووا فنزلت، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩] والشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من خلقه، وكذلك الجبن، كما ورد: الجبن والجراءة غريزتان يضعهما الله فيما يشاء، وورد عن النبي ﷺ «الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية» وحدها قالوا هي سعة الصدور بالأقدام عند الأمور المتلفة، وقال بعض أهل التجارب: للرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل، فالفارس: الذي يشد إذا شدوا، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولوا، والعرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات: تقول: رجل شجاع، فإذا كان فوق ذلك قالوا: بطل، فإن كان فوق ذلك قالوا بهمة - وهو الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتي - فإذا كان فوق ذلك قالوا كيس، وهو الظريف الذي له الغلبة بالمكياسة، فمن عرف من الأكابر بالبأس والنجدة وكان لقومه عند الهيجاء معقلاً وحده رسول الله ﷺ، قال عياض: وكان رسول الله ﷺ في الشجاعة والنجدة بالمكان الذي لا يجهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفَرَّ

الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح، مقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وأخرج بسنده عن ابن إسحاق سمع من البراء وسأله رجل: أفررتم يوم أحد عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب، وزاد غيره: أنا ابن عبد المطلب، قيل: فما رئي أحد يومئذ كان أشد منه، وقال غيره: ونزل النبي ﷺ عن بغلته، وذكر مسلم عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق النبي ﷺ يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركابها، ثم نادى: يا للمسلمين... "الحديث"، وقيل: كان رسول الله ﷺ إذا غضب لا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء، وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجوب ولا أرضى من رسول الله ﷺ، وقال: إنا كنا إذا حمي الناس – ويروى: إذا اشتد البأس واحمرت الحدق – اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نعوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً، وقيل: كان الشجاع منا هو الذي يقرب منه ﷺ إذا دنا العدو لقربه منه، وعن أنس: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس من قبل الصوت فتلقاهم رسول ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول: «لن تراعوا» وقال عمران بن حصين: ما لقي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب، ولما رآه أبي بن

خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، وقد كان يقـول للنبي ﷺ حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقاً مـن ذرة أقتلك عليها، فقال النبي ﷺ: «أنا أقتلك إن شاء الله»، فلما رآه يوم أحـد شد أبيّ على فرسه على رسول الله ﷺ، فاعترضه رجال من المسـلمين فقال لهم النبي ﷺ: هكذا، أي خلوا طريقه وتناول الحربة من يد الحارث ابن الصمت فانتقض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهور البعير إذا انتقض، ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منهـا عن فرسه مراراً، وقيل: بل كسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع إلى قـريش يقول: قتلني محمد، وهم يقولون: لا بأس بك، فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك؟ والله لو بصق عليّ لقتلني، فمـات بسرف في قفولهم إلى مكة ولله الحمد على ذلـك. اهـــ؛ مـن "الشـفا" وعرف فيه الشجاعة والنجدة بقوله: الشـجاعة فضـيلة قـوة الغضـب وانقيادها للعقل، والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف، ومما اعتُرِفَ فيه لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بقوة الجأش في المواطن الكريهة يوم مات رسول الله ﷺ، فإن عمر - رضي الله عنه - كذَّب بموته وقال: ما مات، وليرجعنـه الله فلـيقطعن أيدي المنافقين وأرجلهم، يسومون النبي وإنما واعده ربه كما واعد موسى وهو يأتيكم، وأما عثمان - رضي الله عنه - فكان لا يكلم أحداً يؤخذ بيده فيقتاد، وأما عليّ - كرم الله وجهه - فقعد في بيته ولم يبرح في البيـت فدخل أبو بكر وهو ثابت العقل رابط الجأش حديد القلب، فأكـب عليـه وكشف عن وجهه الكريم، وقبل عينيه وبكى، ثم خرج والناس في أمـر

مريج - أي: مختلط - قد ضلت أفئدتهم في تيه الحزن، وزلت أقدام صبرهم في مزالق الشجن، فصعد المنبر وقال في كلام طويل: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤] وقال عمر: والله لكأني لم أسمع بها قط في كتاب الله تعالى قبل ما نزل بنا، قلت: وهذه الشجاعة في هذا الموطن مشوبة بقوة الإيمان وكثرته، ولولا ذلك لما وقع ما هنالك، قال ﷺ: «لو وُزِنَ إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر» ولم يظهر مصداق ذلك الحديث إلا في ذلك اليوم، وكان عمر - رضي الله عنه - موسوماً بالشدة والشجاعة كان يضع يده اليمنى على أذنه اليسرى ثم يجمع جراميزه - أي: بدنه - ويثب على فرسة فكأنما خلق على متنه، وكان علي - رضي الله عنه - شجاعاً بطلاً، ذكر عنه أنه قتل ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثة وخمسين رجلاً وكان إذا ضرب لا يثني وقيل له: إنك مطلوب فلو اتخذت طرفاً سابقاً فقال: إني لا أفر عمن كر، ولا أكر على من فر، وقال: والله لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط عليّ، ومن الشجعان الزبير بن العوام قالوا: لم يكن في عصر النبي ﷺ فارس أشجع من الزبير، ولا راجل أشجع من علي، وفي الزبير تقول عاتكة بنت زيد تخاطب عمرو بن جرموز لما قتله غدراً:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكـان غيـر معـدد
ياعمرو لـو نبهتـه لوجدتـه لا طائشاً رعش الجنان ولا اليـد

ومن الشجعان بنو قيلة، وهم الأنصار، وصفهم مادح فقال: كـانوا يحبون الموت كما يحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما يرغبون في الدنيا، وقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع**» يريد أنهم يريدون بقتالهم وجه الله تعالى والدار الآخرة فلا تميل نفوسهم إلى ما يقسم من الفيء رغبة فيما هم بصدده من إعلاء كلمة الإسلام وإخفاء ما ظهر من شرك عبادة الأصنام، فهم يكثرون إذا دُعُوا للقتال، ويقلون عند اقتسام الأنفال. ولم يكن في الجاهلية ولا في الإسلام أشجع من خالد بن الوليد، فإنه لم يهزم في جاهلية ولا في إسلام، وكان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شجاعاً، ذكر عنه أنه كان يثب ثلاث وثبات كل وثبة اثنا عشر ذراعا حتى يصل إلى قرنه فيقتله وقيل لعبد الملك بن مروان: من أشجع الناس؟ فقال: العباس بن مرداس الذي يقول - وأنشد:

أكـر علـى الكتيبـة لا أبـالي أحتفي كان فيهـا أم سـواها

وقيس بن الخطيم حيث يقول:

وإني في الحرب العوان موكـل بتقديم نفـس لا أريـد بقاءهـا

قاله في "غرر الخصائص الواضحة"، وفيه: ومما يعد من شدة الشجعان الأبطال التواني بالمناجزة ودفع المطال، قالوا: الحزم: انتهاز الفرصة

عند تمكن القدرة، وترك التواني فيما يخاف فيه الفوات، وقالوا: للعزم: التأهب قبل الأمر. والحزم: المضيّ فيه، قال الشاعر:

ليست تكون عزيمة مالم يكن　　معها من الحزم المشيد رافع

وقالوا: من لم يقدمه عزمه أخره عجزه، وقالوا: للحرب كالنار إن تداركْتَ أولها خمد ضرامها، وإن استحكم أمرها صعب مرامها.

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة　　فإن فساد الأمر أن تترددا

ولا تمهل الأعداء يوماً بقدرة　　وغادرهم أن يهلكوا مثلها غدا

وقال آخر:

ما العزم أن تشتهي شيئاً وتتركه　　حقيقة العزم منك الجد والطلب

كم موقف خدع الآمال ذا أرب　　حتى قضى ثم لم يقض لها أرب

وقالوا: من تفكر في العواقب تشجع في النوائب، واعلم أن الأشياء تعرف بأضدادها ولذلك لما علمنا أن الشجاعة محمودة علمنا أن الجبن مذموم وهو كذلك لأنه لا ينتج إلا العجز وهو الحرمان، وهو ينتج الفقر ومنشؤه من حب السلامة، وذلك يثني هم صاحبه عن المعالي، كما قال الطغرائي:

حب السلامة يثني عزم صاحبه　　عن المعالي ويغرى المرء بالكسل

ووجد على سيف مكتوب: أيها المقاتل احمل تغنم، ولا تفكر في العواقب تهزم.

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزة　　فليس حر على عجز بمعذور

لن يبلغ المرء بالإحجام همته حتى يباشرها منه بتغرير

وقال آخر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فاته الأمر عاتب القدرا

ويقال: العجز مفتاح البؤس، قال أبو دلف العجلي:

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفا على الأقداح
ماللرجال وللتنعم إنما خلقوا ليوم كريهة وكفاح

وقالوا :

تزوج العجز بالتواني فأنتج بينهما الحرمان

وقيل:

وإن التواني أنكح العجز نفسه وساق إليها حين أنكحها مهرا
فراشاً وطياً ثم قال أن امسكي قصارا كما لاشك أن تلدا فقرا

وقالت الحكماء: الحزم طبع الحياة، والعجز طبع الموت، والنفس لا تحب أن تموت، فلذلك يجب أن يحيا واجد الشيء بالحزم لا بالعجز قال المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

وما من شيء إلا ونحمد عليه الشجاعة إلا المعاصي، وذلك أن العبد لا يتشجع على معصية سيده إلا وأراه ما يكره إن لم يحلم عنه أو يتب العبد ويقبل السيد توبته، وارتكاب معاصي الله كأنه شجاعة عليه وتلك شجاعة مذمومة أحسن منها الخوف، ولذلك كان رسول الله ﷺ أشد الناس خوفاً من الله، وتتلوه الرسل فالأنبياء فالأولياء فالأمثل فالأمثل؛ لأن

الخوف والطاعة بقدر العلم بالرب، قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وفي رواية عن أبي ذر عنه ﷺ: «إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله، لوددت أني شجرة تعضد» روي هذا الكلام "وددت أني شجرة تعضد" من قول أبي ذر نفسه، وهو أصح، وفي حديث المغيرة: صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه وفي رواية: كان يصلي حتى تورم قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ونحوه عن أم سلمة وأبي هريرة، وقالت عائشة – رضي الله عنها – كان عمل رسول الله ﷺ ديمة، وأيكم يطيق ما كان يطيق؟ وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس، وقالت: كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً، إلا رأيته مصلياً ولا نائماً إلا رأيته نائماً، وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول: سبحان الله ذا الجبروت والملكوت والعظمة، ثم سجد وقال مثل ذلك، قرأ آل عمران ثم سورة سورة سورة ففعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدتين نحواً منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.

وعن عائشة: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشخير: أتيت رسول الله ﷺ ولجوفه أزيز كأزير المرجل. قال ابن أبي هالة: كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، وقال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وروى: «سبعين مرة» وعن علي قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة» وفي حديث آخر: «وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي» قاله في "الشفا". التنبيه الثاني: اعلم أن تردد صاحب التسبب بين صفتي التوكل والتكسب ليس بمحمود، وذلك أنه يذم التكسب وهو متلبس به، ويمدح التوكل وهو فارٌّ منه مع قدرته على فعله وعدم مانع له منه وهو يتردد في قلبه في أيهما يفعل، وهذا لو وجد أحداً لقال له كما قال بعض الملوك لمن سمع أنه يتردد الدخول في بيته: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فاعتمد على أيهما شئت واحذره من صفة المنافقين الذين يظهرون الإسلام وحبه والانخراط في سلك أهله وهم مع ذلك مقيمون على ما هم عليه من حيث الطوية، ونافَقَ في الدين: ستر كفره وأظهر إيمانه، فهو بين هؤلاء وهؤلاء، قال تعالى في صفتهم: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ [النساء:١٤٣] واعلم أن صفات المنافقين في القرآن كثيرة، ومنها ما في هذه الآية وهي قوله: ﴿إِنَّ

المُنافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣] وفي المهداوي: الكسل: التثاقل عن الشيء ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢] قال الحسن: قلّ لأنه لغير الله، وقيل: معناه: لا يذكرونه إلا ذكراً يسيراً كالتكبير وشبهه مما يظهرونه ولا يصلون، مذبذبين بين ذلك، قال قتادة: ليسوا مخلصين بالإيمان ولا مصرحين بالكفر، وأقل التذبذب: الاضطراب والتحرك. وفي "الكشاف" يخادعون الله: يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢] وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم، والخادع: اسم فاعل من خادعته إذا غلبته وكنت أخدع منه، وقيل: يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون، فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون: انظرونا نقتبس من نوركم ﴿كُسَالَى﴾ قرئ بضم الكاف وفتحها، جمع كسلان، كسكارى في سكران أي: يقومون متثاقلين متقاعسين كما نرى من يفعل شيئاً على كره لا عن طيب نفس ورغبة ﴿ يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾: ولا يصلون إلا قليلاً؛ لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به، وما يجاهرون به قليل أيضاً؛ لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه

أو: ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكراً قليلاً في الندرة، وهكذا نرى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام ولو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة: العدم ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ قال في "الكشاف" إما حال، نحو قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾ عن واو يراءون أي: يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم، ومعنى مذبذبين: ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم مترددون بينهما متحيرون، وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين، أي: يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد، كما قيل: فلان يرمي بين الرحَوَيْن، إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جنب ذُبَّ عنه، وقرأ ابن عباس: مذبذبين "بكسر الذال" بمعنى: يذبذبون قلوبهم أودينهم أو رأيهم، أو بمعنى: يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى، وفي مصحف عبد الله: متذبذبين، وعن أبي جعفر: مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى: أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة، فليسوا بماضين على دبة واحدة، والدبة: الطريقة، ومنها: دبة قريش وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان ﴿لَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ﴾ لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ﴿وَلَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ﴾ أي ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين، ومعنى (الدرك الأسفل): الأسفل المطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة بعضها فوق بعض، وقرئ بسكون الراء والوجه: التحريك لقولهم: أدراك جهنم، قال الكشاف: فإن قلت: لم كان المنافق أشد عذاباً من الكافر؟ قلت: لأنه مثله في الكفر، وضم إلى كفره

الاستهزاء بالإسلام وأهله. وفي الثعالبي: ومخادعة المنافقين هي لأولياء الله، ففي الكلام حذف مضاف، إذ لا يقصد أحد من البشر مخادعة الله سبحانه، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ عبارة ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] بقي المنافق، فذكره في الآية، وشرح صفاته وأفعاله، والغرض بكل ذلك أن يبعث العباد على الطريقة الحسنة فيما يتصل بانفعال القلوب والجوارح، وأن يعلموا أن المعبود لا يمكن إخفاء الأمور عنه، ولنقدم على الكلام على الآية كلمات ذكرها قبل، وهي قوله - عفا الله عنه: واعلم أن مراتب السعادات عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج والحسن والسري وغيرهم من المقدرين أن هذا الخداع هو أن الله تعالى يعطي لهذه الأمة نوراً يوم القيامة، نوراً لكل إنسان مؤمن أو منافق، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاءوا إلى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المؤمنون، فذلك قول المنافقين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣] فذلك للخداع الذي يجري على المنافقين، ثم ذكر تعالى كسلهم في الصلاة وتلك حال كل من يعمل كارهاً غير معتقد في العمل للصواب، بل تقية أو مصانعة، وقال ابن العربي في "أحكامه": قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢] روى الأئمة عن مالك وغيره عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «تلك صلاة المنافقين يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان نقرها[1] ربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»، قال

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل فيه تصحيفاً.

ابن العربي في "أحكامه": قد بين الله تعالى صلاة المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢] ومن خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل، اهـ. و(مذبذبين) معناه: مضطربين لا يثبتون على حال، والتذبذب: الاضطراب، فهؤلاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما قال ﷺ: «**مثل المنافقين كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين**» والإشارة بذلك إلى حالتي الكفر والإيمان، اهـ. كلام الثعالبي، ومن أوصاف المنافقين ما في آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦] قال الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان: كافر، وهو الذي يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وهو الذي يقول ربنا ثلاثة، روحانية وبدنية وخارجية، أما الروحانية فاثنان: تكميل القوة النظرية بالعلم، وتكميل القوة العملية بالأخلاق الفاضلة، وأما البدنية فاثنان:الصحة والجمال، وأما الخارجية فاثنان: المال والجاه، آتنا في الدنيا يتناول كل هذه الأقسام؛ فإن العلم إذا كان يراد للتزين به في الدنيا والترفع به على الأقران كان من الدنيا والأخلاق الفاضلة إذا كانت تراد للرياسة في الدنيا وضبط مصلحها كانت من الدنيا، وإلا فالكل من الآخرة، وكل من لا يؤمن بالبعث والمعاد فإنه لا يطلب فضيلة لا روحانية ولا جسمانية إلا لأجل الدنيا، ثم قال تعالى

فى حق هذا الفريق: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقــرة:٢٠٠] أى ليس له نصيب فى نعيم الآخرة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَن كَـانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الـدُّنْيَا نُؤتِـهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠] أمــا قولــه تعــالى: ﴿وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَـنَةً وَقِنَـا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، فالمفسرون ذكروا فيها وجوهاً، أحــدها: أن الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفايــة والولــد الصــالح والزوجة الصالحة والنصرة على الأعداء، وقد سمى الله تعالى للخصــب والسعة فى الرزق وما أشبه حسنة، فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَـنَةٌ تَسُـؤْهُمْ﴾ [التوبة:٥٠]، وقيل فى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُـونَ بِنَـا إِلاَّ إِحْـدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة:٥٢]، أنهما الظفر والنصرة والشهادة، وأما الحسنة فى الأخرة فهى الفوز بالثواب، والخلاص من العقاب، وبالجملة فقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١] كلمة جامعة لجميع مطالب الدنيا والآخرة، وثانيها: أن المراد بالحسنة فى الدنيا العمل النافع وهى الإيمان والطاعة، والحسنة فــى الآخــرة اللــذة الدائمة والتعظيم والتنعيم بذكر الله وبالأنس به وبمحبته وبرؤيتــه، وهــذا متأكد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَــا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]، وتلك القرة هى أن يشاهدوا أولادهم وأزواجهم مطيعين مؤمنين مواظبين على العبودية، وثالثها: قال قتادة: الحسنة فــى الدنيا وفى الآخرة: طلب العافية فى الدارين، وعن الحسن: الحسنة فــى الدنيا: فهم كتاب الله تعالى، وفى الآخرة: الجنة. ولنرجع إلى الكلام على

آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤]، أي: يروقك ويعظم في قلبك ومنه: الشيء العجيب: الذي يعظم في النفس، وهو الأخنس بن شريق كان رجلاً حلو المنطق إذا لقي رسول الله ﷺ ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه أسلم، وقال: يعلم الله أني صادق، وقيل: هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم، وقلوبهم أمر من الصبر، وقال قتادة وجماعة: نزلت هذه الآية في كل مبطن كفر أو نفاق أو كذب أو إضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك، فهي عامة والألد: الشديد الخصومة الذي يلقي الحجج في كل جنب، وعنه ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» و'تولى' و'سعى' يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكونا فعل قلب فيجيء تولى بمعنى ضل وغضب وأنف في نفسه فسعى بحيلته وإرادته الدوائر في الإسلام، والمعنى الثاني: أن يكونا فعل شخص فيجيء تولى بمعنى أدبر ونهض وسعى – أي بقدميه – فقطع الطريق وأفسدها، وقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة:٢٠٥] قال الطبري: المراد الأخنس في إحراقه الزرع وقتله الحمر، وظاهر الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد، وقيل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ [البقرة:٢٠٥] أي: كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر، فيهلك الحرث والنسل ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥] معناه: لا يحبه من أهل الصلاح، ولا يحبه ديناً، وإلا فلا يقع إلا ما يحب الله وقوعه، والفساد واقع، وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون من أن الحب بمعنى الإرادة، وللحب على

الإرادة مزية إيثار؛ إذ الحب من الله إنما هو لما حسن من جميع جهاته
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦]
من قولك: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه، أي حملته العزة التي
فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا
يخلي عنه ضراراً ولجاجاً أو على رد قول الواعظ، وهذه صفة الكافر
والمنافق والذاهب بنفسه زهواً ويحذر المؤمن أن يوقعه الحرج في نحو
هذا، وقال بعض العلماء: كفى بالمرء إثماً أن يقول له أخوه: اتق الله
فيقول له: عليك بنفسك. وعن بن مسعود: من أكبر الذنوب أن يقال
للرجل: اتق الله، فيقول له، عليك بنفسك، أنت تأمرني، انته أنت. والعزة
هنا المنعة وشدة النفس، أي اعتز في نفسه فأوقعته العزة في الإثم
ويحتمل المعنى: أخذته العزة مع الإثم وحسبه أي: كافيه جهنم، أي جزاءً
له وعذاباً، والمهاد: ما مُهِّد للرجل لنفسه كأنه الفراش، اهـ. من الثعالبي
و"الكشاف". وفي "الفخر" أنه تعالى حكى عن هذا المنافق جملة من
الأفعال المذمومة، أولها: اشتغاله بالكلام الحسن في طلب الدنيا، وثانيها:
الشهادة بالله كذباً وبهتاناً، وثالثها: لجاجة في إبطال الحق وإثبات الباطل
ورابعها: سعة في الفساد، وخامسها: سعة في إهلاك الحرث والنسل
وكل ذلك فعل منكر قبيح، وظاهر قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾
[البقرة:٢٠٦] فليس بأن ينصرف إلى بعض هذه الأمور أولى من بعض
فوجب أن يحمل على الكل، فكأنه قيل: اتق الله في إهلاك الحرث
والنسل، وفي السعي بالفساد، وفي اللجاج الباطل، وفي الاستشهاد بالله

كذباً، وفي الحرص على طلب الدنيا، فإنه ليس رجوع النهي إلى البعض أولى من بعض، وليكن هذا آخر الكلام على قولنا:

ورد ذا وداد ذاك وأود إذا وأده ودوده ورد

ولنشرع في الكلام على ما يليه إن شاء الله وهو قوله:

وزان رق رق لزوال ودار ران ولوزار نوى ذل أدار

(اللغة) زان حسن، والزين ضد الشين، جمعه أزيان، وزانه وأزانه وزينه وأزينه فتزين هو، وازدان وازين وازلين، وزين اسم رجل وكذلك زيان كشداد والزانة التخمة، وقمر زيان كسحاب حسن، وامرأة زاين ميزينة، والزينة بالكسر ما يتزين به كالزيان ككتاب وواد، ويوم الزينة: العيد، كسر الخليج بمصر، وقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [طه:٩٥] قيل: يوم القيامة، وقوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] أي: لباسكم عند كل صلاة، وقوله: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] وسوس إليهم أنهم لا يغلبون، وقوله: ﴿وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ [يونس:٢٤] أي: تزخرفت بأنواع النبات. (رق) بالفتح وبكسر: جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق والصحيفة البيضاء قال تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور:٣] يعني الصحائف التي تخرج يوم القيامة إلى بني آدم (رق) بالكسر: الملك والرقيق: المملوك بيّن الرق بالكسر للواحد والجمع، وقد يجمع على رقاق، ونبات شائك ورق الشجر أو ما سهل على الماشية من الأغصان، وبالضم: الماء الرقيق في البحر أو الوادي ويفتح، وأرقه ضد غلظه كرققه، ورق المملوك وأرقه

ملكه كاسترقه ورق فلان: ساءت حاله، والرقة بالكسر للرحمة، ورققت له أرق والاستحياء والرقة (أزوال) جمع زوال: الخفيف الظريف الفطن وهي بها وتزول: تناهى ظرفه، والزول أيضاً للعجب، والصقر، وهو كل شيء يصيد من البزاة وفرج الرجل، وللشجاع وموضع باليمين، والجواد والشخص، والبلاء وإزالة، وانزال عنه: فارقه، والزائلة: كل ذي روح أو كل متحرك، والزوال: الذهاب والاستحالة، وزال النهار: ارتفع والشمس: مالت عن كبد السماء، والخيل بركبانها: نهضت، والزوائل: الصيد والنساء والنجوم، وزال يزول ويزال قليلة، وأزلته وزلته بالكسر أزاله وأزيله وزلت عن مكاني بالضم وما زلت أفعله: ما برحت مضارعه أزال وأزيل فهي وللتامة مختلفان في المادة، تلك مركبة من زول، وهذه من زيل، أو الناقصة مغيرة من التامة تنويهاً على فعل بكسر العين بعد أن كانت مفتوحة، أو هي من زاله يزيله إذا مازه (ودار) أي محل، والدار: المحل يجمع البناء والعرصة كالدارة، وقد تذكر، جمعها أدؤر وأدور، وأدر، وديارة، وديران، ودوران، ودورات، وديارات وأدوار، وأدورة، والبلد ومدينة النبي ﷺ، وموضع، والقبيلة كالدارة وبهاء: كل أرض واسعة بين جبال، وما أحاط بالشيء كالدائرة، ومن الرمل: ما استدار منه كالديرة والتدورة، جمعه دارات ودور، وهالة القمر، ودارات العرب تنيف على مائة وعشر لم تجتمع لغير صاحب "القاموس" مع بحث العلماء وتنقيرهم عنها، وهي في كتابه، ودار السلام: الجنة، والسلام: الله عز وجل، أضافها إلى اسمه تعظيماً لها، وقيل: دار السلام، أي: دار السلامة؛ لأن أهلها سالمون من كل مكروه، وقيل: لفشو

السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦](ران) يحتمل أن يكون بالراء المهملة وهو المشهور ويحتمل أن يكون بالزاي المعجمة، أما الأول فهو من ران ذنبه على قلبه ريناً وريوناً: غلب، وكل ما غلبك رانك وبك وعليك، والنفس: خبثت وغثت، وأرانوا: هلكت ماشيتهم وهم مرينون ورين به بالكسر: وقع فيما يستطيع الخروج منه، والرين: الطبع، والدنس، وفي "عجالة الراكب": ران على قلبه ريناً: غلب وغطى، ومنه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] أي:غلب على قلوبهم كسبهم الذنوب كما ترين الخمر على عقل السكران، ويقال ران عليه النعاس، وران به، أي: غلب عليه وأما إن كان بالزاي المعجمة فهو اسم فاعل من زنى أي: وطئ من ليست له زوجة ولا أمة، وفي القاموس: زنى يزني زناً وزناء "بكسرهما": فجر وزانا مزاناة وزنا بمعناه، وفلاناً: نسبه إلى الزنا، وهو ابن زنية، وقد يكسر ابن زنى، وبنو زنية "بالكسر": حي، والزنية آخر ولدك (وأوزار) جمع وزر أي إثم، وقوله: ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه:١٠٠] أي حملاً ثقيلاً من الإثم وتقدم الكلام عليه عند قوله: ورب زاد زاد رد وزري. الوزر "محركة": الجبل المنيع، وكل معقل، والملجأ والمعتصم وللوزير: حبا الملك، والحبا "محركة": جليس الملك وخاصته كأن الوزير يحمل ثقل الملك ويعينه برأيه، وقد استوزره فتوزر له ووازره وحاله الوزارة "بالكسر ويفتح"، جمعه أوزار على وزن ما في النظم، ووزره: أحرزه وذهب به كاستوزره وجعل له وزراً وأوثقه وخبأه واتزر وركب الوزر ووزر كعني رمي بوزر (نوي) "تنبيه" ذي التي

معناها صاحب، هي كلمة صيغت لتوصل بها إلى الوصف بالأجناس جمعه ذوون، وهي ذات، وهما ذاتان، جمعهـا ذوات، وذات بينكم أي: حقيقة وصلكم، أو: ذات البين: الحال التي بها يجتمع المسلمون، وقد تقدم هذا عند أول بيت، وهذا ذو زيد، أي: هذا صاحب هذا الاسم، وجاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه، أي: طيِّعاً في شرح "القاموس" أن "طيّعاً" هذه كذا في النسخ وصوابه أي: مطيعاً بتشديد الياء كسيد، ويكون ذو بمعنى الذي، تصاغ ليتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل فتكون ناقصة لا يظهر فيها إعراب كما في الذي ولا تثنى ولا تجمع، تقول: أتاني ذو قال ذلك، ولا أفعل ذلك بذي تعلم وبذي تسلمان والمعنى: لا وسلامتك أو لا والذي يسلمك (ذل) ذل يذل ذلا وذلالة بضمها وذلالة بالكسر ومذلة وذلالة هان فهو ذليل، جمعه ذلال وأذلاء وأذلة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١] أي: لم يتخذ ولياً يعاونه ويخاضعه لذلة به وهو عادة العرب وأذله هو واستذله: ذلله، واستذله: رآه ذليلاً، والبعير الصعب نزع القراد عنه ليستذل فيأنس به، وأذل: صار أصحابه أذلاء وفلاناً: وجده ذليلاً، والذل "بالضم ويكسر" ضد الصعوبة ذل يذل ذلا فهو ذلول، جمعه ذلل، وقوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [النحل:٦٩] أي منقادة بالتسخير، وقال تعالى: ﴿لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١] وذلل الكرم "بالضم": ذلت عناقيده أرسيت[1] قال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان:١٤] وذل الطريق بالكسر محجته والرفق والرحمة

(١) لعلها (أنزلت) أو (أرسلت).

ويضم بهما قرئ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء:٢٤] أو الكسر على أنه مصدر (أدار) من الدوران دار دوراً ودوراناً واستدار وأدرته ودورته وبه وأدرت استدرت وداوره مداورة ودواراً: دار معه، والدهر دورا به ودوارى دائر، والدوار "بالضم والفتح" شبه الدوران يأخذ في الرأس، ودير به وعليه وأدير به: أخذه ودوارة الرأس "كرمانة ويفتح: طائفة منه مستديرة، ومن البطن: ما تحوى من أمعاء الشاة، والدوار ككتان و"يضم: الكعبة، وصنم "ويخفف"، ودوار "بالضم": مستدار رمل يدور حوله الوحش، والدوائر ما يدور به الدهر، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢] أي: ما يدور الدهر علينا من جدب أو غلبة، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة:٩٨] "بالضم والفتح": دائر ودائرات، قال تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة:٩٨] قال الشاعر:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وقوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦] أي: نازلاً داراً، أي: أحداً والأصل: دَيْوَاراً من الدوران، أي: مَنْ يجيء ويذهب، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقال غيلان:

إلى كل ديار تعرفن شخصه من القفر حتى تقشعر ذوائبه

(الإعراب) وزان: فعل ماضٍ، رق "بفتح الراء": فاعله، ورق "بكسر الراء": مضاف إليه ما قبله، أزوال" مضاف إليه أيضاً، ودار: مبتدأ، وران: مضاف إليه، وأوزار عطف على ران، ذوي: يحتمل أن يكون بدلا منهما، وأن يكون نعتاً وهو مراد الناظم وأن يكون حالاً من

فاعل أدار آخر البيت، وذل: مضاف إليه، وأدار فعل ماض وفاعله ضمير يرجع إلى دار، والجملة خبر المبتدأ، وهنا احتمالات أخر ضربنا عنها للاختصار (المعنى) يعني بقوله: وزان رق رق أزوال أنه حسن على المرء كتب كونه رقاً للرؤساء الظرفاء، وبآخر البيت لن دار أهل الدنس والذنوب أصحاب الذل بسبب معاصيهم دائرة على ذلك الذل والهوان، نبه بهذا البيت على مسألتين هما قصده، إحداهما مرغبة والأخرى مرهبة، أما المسألة الأولى: اعلم أن الناظم رغبك في اتباع الرؤساء، وأن تكون لهم عبداً لما شاع من أن شرف التابع من شرف المتبوع، ولما شاع من كتبهم خديم فلان أو تابع فلان، ومنه مثلاً: المالكي والحنفي مذهباً، والأشعري اعتقاداً، والجنيدي طريقة، وشبهه مما يقول كل تابع للمتبوع أو رأس الرؤساء وأشرفهم وأظرف الظرفاء وأفضلهم رسول الله ﷺ، وهو أول مقصود بالحث على اتباعه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] أمر الله تعالى بطاعته عز وجل وهي في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأمر بطاعة رسوله ﷺ، وهي في اتباع سنته بعد موته، وأمر بطاعة أولي الأمر، قال جابر وجماعة: أولى الأمر: أهل القرآن والعلم، وقال أكثر التابعين هم العلماء واختاره مالك والطبري والصحيح عنده أنهم الأمراء والعلماء، أما الأمراء فلأن الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم امتثال فتواهم واجب، ويدخل فيه تأمر للزوج على الزوجة لأنه حاكم عليها، قاله الثعالبي، ولنذكر جملة صالحة ممن يجب اتباعه وطاعته

وبروره. فأحق من يطاع الله ربنا الذي خلقنا ورزقنا وأحسن إلينا من قبل النشأة بالنشأة ومن بعد النشأة بكل ما يحسن في النشأة، وطاعة الله بعبادته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] نادى سبحانه بالناس ليشمل المؤمنين والكافرين، فالمراد بعبادة المؤمنين وإن كانوا عابدين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها، وأما عبادة الكافر فمشروط ما لا بد لها منه، وهو الإقرار بالشهادتين، كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر، حيث لم ينفع إلا به وكان من لوازمه، وقال: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء:٣٦] والعبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير، وهو مأخوذ من قولهم: "طريق معبد" أي: مذلل وعبارة أيضاً عن نهاية التعظيم، وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الإنعام، وأعظم وجوه الإنعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع، وخلق المنتفع به، فالمرتبة الأولى وهي للحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع إليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم:٩] وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] وبقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:٢١]. والمرتبة الثانية: وهي: خلق المنتفع به، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة:٢٩] وبقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾

[البقرة:٢٢] إلخ، فثبت بما ذكرنا أن كل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى فوجب ألا تحسن العبادة إلا لله تعالى (فائدة) اعلم أنه تعالى سمى نفسه في الفاتحة بخمسة أسماء: الله والرب والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين، وللعبد أحوال ثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، أما الماضي فقد كان معدوماً محضاً كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩] وكان ميتاً فأحياه الله تعالى كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] وكان جاهلاً فعلمه الله كما قال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل:٧٨] والعبد إنما انتقل من العدم إلى الوجود ومن الموت إلى الحياة ومن العجز إلى القدرة ومن الجهل إلى العلم لأجل أن الله تعالى كان قديماً أزليا، فبقدرته الأولية وعلمه الأزلي أحدثه ونقله من العدم إلى الوجود، فهو إله لهذا المعنى، لأن الإله هو هو الله، ومعناه مخرج الأشياء من العدم، فهو إله بهذا المعنى، وأما الحال الحاضرة للعبد فحاجته شديدة؛ لأنه كلما كان معدوماً كان محتاجا إلى الرب الرحمن الرحيم، أما لما دخل في الوجود انفتحت عليه أبواب الحاجات وحصلت عنده أسباب الضرورات فقال الله تعالى: أنا إله لأجل أني أخرجتك من العدم إلى الوجود، أما بعد أن صرت موجوداً فقد كثرت حاجاتك إليَّ فأنا رب رحمن رحيم، وأما الحال المستقبلة للعبد فهي حال ما بعد الموت والصفة المتعلقة بتلك الحالة هي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] فصارت هذه الصفات الخمس من صفات الله تعالى متعلقة بهذه الأحوال الثلاثة للعبد، فظهر أن جميع مصالح العبد في الماضي والحاضر

والمستقبل لا يتم ولا يكمل إلا بالله وفضله وإحسانه، فلما كان الأمر كذلك وجب ألا يشتغل بعبادة شئ إلا بعبادة الله تعالى، واعلم أن العبودية ذلة ومهانة إلا أنه كلما كان المولى أشرف وأعلى كانت العبودية أهنأ وأمرأ ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها كانت عبوديته أولى من عبودية غيره، وأيضاً قدرة الله تعالى أعلى من قدرة غيره، وعلمه أكمل من علم غيره، و وجوده أفضل من وجود غيره، فوجب القطع بأن عبوديته أولى من عبودية غيره، فلهذا السبب قال في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نخصك بالعبادة وطلب الاستعانة، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يدل على أنه لا معبود إلا الله، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على التوحيد المحض الذي لا تكون العبودية فيه إلا لله وحده حتى ينال العبد بها زين الدنيا والآخرة ولذلك قال في النظم: وزان رق رق أزوال، واعلم أن العبودية لا تكون إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم، ونحوه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً، قال ابن مسعود: حق تقاته: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وروي مرفوعاً وقيل: هو ألا يخاف في الله لومة لائم، ويقول بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه، وقيل: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وعنه ﷺ: «**اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر، وإذا عملت سيئة فاعمل**

بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية» وقال ﷺ: «اعبـد الله ولا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكـاة المفروضـة، وحـج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله. وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه» وقال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإياك ودعوات المظلوم فـإنهن مجابـات، وعليـك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما، لو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً» وقال ﷺ: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وزل مـع القـرآن أينما زال، واقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغيضاً بعيداً واردد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيبـاً قريباً» وقال ﷺ: «اعبدوا الرحمن، وأطعموا الطعام، وأفشـوا السـلام تدخلوا الجنة بسلام» وقال ﷺ: «أعبَدُ الناس أكثـرهم تـلاوةً للقـرآن وأفضل العبادة الدعاء» وقال ﷺ: «أفضل العبادة الفقه وأفضـل الـدين الورع» وقال ﷺ: «أفضل العبادة قراءة القـرآن» وقـال ﷺ: «أفضـل العبادة انتظار الفرج» وقال ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ» يعنـي بالهرج: القتل والفساد واختلاط الأمـور، وقـال ﷺ: «العبـادة عشـرة أجزاء: تسعة منها في الصمت والعاشر كسب اليد من الحـلال» وقـال ﷺ: «خير العبادة أخفها» وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: يا ابن آدم إنـك ماذكرتني شكرتني وما نسيتني كفرتني» وقال ﷺ: «قال الله عز وجـل: أحب ما تعبد به عبدي إليّ النصح لي» هذه الأحاديث كلها بين "الجـامع الصغير" و"رموز الحديث".

وممن تجب طاعته وامتثال أمره رسول الله ﷺ، بل لا مخلوق توازي طاعته وامتثال أمره رسول الله ﷺ كائناً من كان لا أباً ولا أماً ولا غيرهما؛ لأن طاعة الرسول هي طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] المعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يأمر وينهى بيانا وتبليغا عن الله، قاله الثعالبي، وفي "الكشاف": لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي أنه قال: «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله» فقال المنافقون: ألا تسمعون ما يقول هذا الرجل؟ لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله، ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلت، ولما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] أكده تأكيدا على طريق التخيل فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] يريد الله أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، إنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما، وقال تعالى حاثاً على اتباع النبي ﷺ في كل ما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤] ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء وجاب[1] بإذن الله تعالى إذ يسوغ لهم الاجتهاد وما يستند إليه كله وحياً لانطقاً عن الهوى، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) هكذا بالأصل ولعل فيه تصحيفاً.

الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال:٢٠] وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢] وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤] وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢] ومعنى أطيعوا الله والرسول: أطيعوا رسول الله لقوله تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ [النساء:٨٠] وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [النساء:٦٩] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [النساء:٦٤] فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه، قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سننه، والتسليم لما جاء به، وقالوا: وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا: من يطع الرسول في سننه يطع الله في فرائضه، وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال: وما أتاكم الرسول فخذوه، وقال السمرقندي: يقال: أطيعوا الله الشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة، وما أخرج عياض بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**» فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له، وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦] فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني

وقال ﷺ: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوا، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» وفي حديث أبي هريرة عنه ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» وفي الحديث الآخر الصحيح عنه ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاة، فأطاعته طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق» وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فالدار: الجنة، والداعي: محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فأمر مجمع عليه كتاباً وسنة وإجماعاً فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقال: ﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] وقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] أي ينقادون لحكمك، يقال: سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] وقال محمد بن على الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل، وقال سهل في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] قال: بمتابعة السنة، فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم، قاله في "الشفا"، وفي "الفخر": الصراط المستقيم هو أن يكون الإنسان مُعْرِضاً عما سوى الله مقبلاً بكلية قلبه وفكره وذكره على الله، فقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] المراد: أن يهديه إلى الصراط المستقيم الموصوف بالصفة المذكورة، مثاله أن يصير بحيث لو أُمر بذبح ولده لأطاع كما فعله إبراهيم عليه السلام، ولو أمر بأن ينقاد ليذبحه غيره لأطاع كما فعله إسماعيل عليه السلام، ولو أمر أن يرمي نفسه في البحر لأطاع كما فعل يونس عليه السلام، ولو أمر بأن يتلمذ لمن هو أعلم منه بعد بلوغه في المنصب أعلى الغايات لأطاع كما فعل موسى مع الخضر عليهما السلام، ولو أمر بأن يصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القتل والتفريق نصفين لأطاع كما فعله يحيى بن زكريا عليهما السلام، فالمراد بقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء، ولا شك أن هذا مقام شديد هائل؛ لأن أكثر الخلق لا طاقة لهم به إلا أنا نقول: أيها الناس لا تخافوا ولا تحزنوا؛ فإنه لا يضيق أمر في دين الله إلا اتسع؛ لأن في هذه الآية ما يدل على اليسر والسهولة؛ لأنه تعالى لم يقل: صراط الذين ضربوا وقتلوا، بل قال ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ

أنعمتَ عليهمْ﴾ فلتكن نيتك عند قراءة هذه الآية أن تقول: يـا إلهـي إن بعض من تقدمني ارتكب الكبائر كما ارتكبتها، وأقدم على المعاصي كما أقدمت عليها، ثم قبل موته تاب وأناب فحكمت له بالنجاة من النار والفوز بالجنة، فهو ممن أنعمت عليه بأن وفقته للتوبة ثم أنعمت عليه بأن قبلـت توبته، فأنا أقول: اهدنا إلى ذلك مثل الصراط المسـتقيم طلبـا لمرتبـة التائبين، فإذا وجدتها فاطلب الاقتداء بدرجات الأنبياء عليهم السلام فهـذا تفسير قوله ﴿اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ في "الفخر الرازي"، وفيـه: قـال بعضهم: الصراط المستقيم: الإسلام، وقال بعضهم: القرآن، وهذا لا يصح لأن قوله صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم: وإذا كان كذلك كان التقدير: اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقـدمين ومـن تقدمنا من الأمم ما كان لهم القرآن والإسلام، وإذا بطـل ذلـك ثبـت أن المراد: اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة. (فائدتان) الأولى: في حد النعمة، وقد اختلف فيها، فمنهم من قال: إنها عبارة عن المنفعة المفعولـة على جهة الإحسان إلى الغير، ومنهم من يقول: المنفعة الحسنة المفعولـة على جهة الإحسان إلى الغير، قالوا: وإنما زدنا هـذا القيـد لأن النعمـة يستحق بها الشكر، وإذا كانت قبيحـة لا يسـتحق بهـا الشـكر، وفـي "القاموس": النعمة بالكسر: المسرة واليد البيضاء الصالحة (الثانية) قوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ يدل علـى إمامـة أبي بكر - رضي الله عنه - لأنا ذكرنا أن تقدير الآية: اهـدنا صـراط الذين أنعمت عليهم، والله تعالى قد بين في آية أخرى أن الذين أنعـم الله عليهم من هم فقال: ﴿فَأُولَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّـنَ النَّبِيِّـينَ

﴿وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء:٦٩] ولاشك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فكان معنى الآية أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين، ولو كان أبو بكر ظالما لما جاز الاقتداء به، فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر - رضي الله عنه - قال الفخر: بخ بخ، ولنرجع إلى بقية كلام عياض في اتباع النبي عليه السلام قال في "الشفا": ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه ﷺ وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه، وروي عن الحسن أن قوماً قالوا: يا رسول الله إنا نحب الله، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ﴾ [آل عمران:٣١] وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حباً لله، فأنزل الله الآية، وقال الزجاج: معناه: إن كنتم تحبون الله تقصدون طاعته فافعلوا ما أمركم، إذ محبة العبد لله وللرسول طاعته لهما، ورضاه بما أمر، و محبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته، ويقال: الحب من الله عصمة وتوفيق، ومن العباد طاعة كما قال القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد تقدم، ويقال: محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه، ومحبة الله له: رحمته وإرادته الجميل له، وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه، قال

القشيري: فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات، وتقدم قبل في ذكر المحبة غير هذا، وعن العرباض بن سارية في حديثه موعظة النبي ﷺ أنه قال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة - وفي حديث جابر معناه - وكل ضلالة في النار» وفي حديث أبي رافع عنه ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» وفي حديث عائشة - رضي الله عنها -: صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله ثم قال: «ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وروي عنه ﷺ أنه قال: «القرآن صعب مستصعب على من كرهه، وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة، أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي، فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن، إن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]» وقال ﷺ: «من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني». وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها» وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: «ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة» وعن الحسن بن أبي الحسن

قال عليه السلام: «**عمل قليل في سُنَّة خير من عمل كثير في بدعة**» وقال ﷺ: «**إن الله يدخل العبد الجنة بالسُّنَّة تمسك بها**» وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد**» وقال ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة: قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذي أنا عليه اليوم وأصحابي**» وعن أنس قال ﷺ: «**من أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي**» وعن عمرو ابن عوف المزني أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً**» (فرع) وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فمن ذلك أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر، فقال ابن عمر: يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل. وقال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا نظر في رأي من خالفها. من اقتدى بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. وقال الحسن بن أبي الحسن: عمل قليل في سنة

خير من عمل كثير في بدعة، وتقدم عنه أنه مرفوع، وقال ابن شهاب: بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنة نجاة، وكتب عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - بتعلم السنة والفرائض واللحن - أي اللغة - وقال: إن ناساً يجادلونكم - يعني بالقرآن - فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال: أصنع كما رأيت رسول الله ﷺ يصنع، وعن علي - رضي الله عنه - حين قرن، فقال له عثمان - رضي الله عنه: ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله؟ قال: لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس، وعنه: ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت. وكان ابن مسعود يقول: والقصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. وقال ابن عمر: صلاة السفر ركعتان، من خالف السنة كفر. وقال أبي بن كعب: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم. وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت

به السنة؟ فكتب إليه عمر: خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله. وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] أي: إلى كتاب الله وسنة رسول الله، وقال الثعالبي: ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها، وقال عمر - ونظر إلى الحجر الأسود: إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، ثم قبله، ورُئي عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - يربد ناقته في مكان - أي يحبسها - فسئل، فقال: لا أدري، إلا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله ففعلته، وقال أبو عثمان الحيري من أمَّرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّرَ الهوى على نفسه نطق بالبدعة. وقال سهل التستري: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠] أنه الاقتداء برسول الله ﷺ (وحكي) أن أحمد ابن حنبل قال: كنت يوماً مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء، واستعملت الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: يا أحمد أبشر، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماماً يُقتَدَى بك، قلت: من أنت؟ قال: جبريل (فرع آخر) ومخالفة أمره وتبدل سنته ضلال وبدعة متوعَّد من الله عليها بالخذلان والعذاب، قال الله العظيم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

نُوَلِّه ما تَوَلَّى﴾ [النساء:١١٥] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خـــرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وقال: «فليــذادن رجـــال عـــن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم، ألا هلم، ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا، فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا» وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني» وقال ﷺ: «من أدخل في أمرنـــا مـــا ليس منه فهو رد » وروى بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري بما أمـــرت بـــه أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعنـــاه» زاد فـــي حديث المقدام: «ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» وقال ﷺ: «وجيء بكتاب في كتف، كفى بقوم حمقاً أو قال: ضلالاً - أن يرغبـــوا عما جاء به نبيهم أو غير كتابهم، فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْـــكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١] الآية وقال ﷺ: «هلك المتنطعـــون» وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به أن أخشى إن تركت شيئاً من أمـــره أن أزيـــغ. قاله عياض في "الشفا" وفي ابن شامة أن أفعال العباد تنقسم إلى المعاصي والطاعات والمباحات، فما كان في نفسه معصية فلا يصير عبادة بالنيـــة أصلا، وأما الطاعات فلا يصير أصلها طاعة إلا بالنية، قال ﷺ: «إنمـــا الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» وأما المباحات فإنها تصـــير عبادة بحسن النية، فينبغي الاعتناء بهذا الفن، إذ به تصير جميع الحركات والسكنات عبادة.

وممن تجب طاعته وبروزه الوالدان، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّـهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦] وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤] قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أي: أمر أمراً مقطوعاً به، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، أو: بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لايكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة، قاله في "الكشاف" وقال: فإن قلت: ما معنى "عندك"؟ قلت: هو أن يكبرا ويعجزا أو كانا كلاً على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبراً، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مئونتهما، لا يقول لهما أف، وهو صوت يدل على تضجر فضلاً عما يزيد عليه، وقرئ "أف" بالحركات الثلاثة منوناً وغير منون، وقوله: ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر أخوان، وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولاً كريماً جميلاً كما يقتضيه حسن الأدب

والنزول على المروءة، وقيل: وهو أن يقول: يا أبتاه يا أماه كما قال إبراهيم لأبيه: يا أبت مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما؛ فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار أي الفساق والخبثاء، قالوا: ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة - رضي الله عنها: نحلني أبو بكر كذا قوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وقرئ بضم الذال وكسرها، وجناح الذل فيه وجهان، أحدهما أن يكون المعنى لخفض لهما جناحك كما قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول، وتقدم أن الذل يقال للرفق وللرحمة، والثاني: أن تجعل لهما نفسك بمنزلة الذليل المقهور إكراما لهما، الأول من الكشاف والثاني من الميراوي وقوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمها رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاءً لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ يجوز أن يكون التقدير: ارحمها مثل رحمة تربيتهما إياي صغيرا، أو يجوز أن يكون على تقدير: ارحمهما على ما ربياني، قال في "الكشاف": فإن قلت: الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين، قلت: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد، ومن الناس من قال: كان الدعاء للكفار جائزاً ثم نسخ، وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من

الاستغفار، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين، وعن النبي ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**» وروي: يفعل البار مايشاء أن يفعل فلن يدخل النار، ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة، وروى سعيد بن المسيب أن البار لا يموت ميتة سوء، وقال رجل لرسول الله ﷺ: إن أبوي بلغا من الكبر أن ألي منهما ماوليا مني في الصغر فهل قضيتهما؟ «**قال: لا؛ فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما**» وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به، فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل علي بماله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى، ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك**» وشكا إليه آخر سوء خلق أمه «**فقال: لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر**، قال: إنها سيئة الخلق، **قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين**، قال: إنها سيئة الخلق، **قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها**، قال: لقد جازيتها، **قال: ما فعلت**، قال: حججت بها علي عاتقي، **قال: ما جازيتها ولو طلقة**» وعن ابن عمر أنه رأي رجلاً في الطواف يحمل أمه ويقول:

إنـي لهـا مطيـة لا تـذعر ... إذا الركـاب نفـرت لا تنفـر

ما حملـت وأرضـعتني أكثـر ... الله ربـي ذو الجـلال الأكبـر

تظنني جزيتها يا ابن عمر ؟قال: لا ولو زفرة واحدة. وعنه عليه السلام «**إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء: إن الكبرياء لله رب العالمين**» وقال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة، وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر، ولا يأخذ الإناء منه إذا شربها، وعن أبي يوسف: إذا أمره أن يوقد تحت قدرة وفيها لحم الخنزير أوقد. وعن حنيفة أنه أستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين، فقال: دعه يليه غيرك. وسئل الفضيل ابن عياض عن بر الوالدين فقال: ألا تقوم في خدمتهما عن كسل. وسئل بعضهم فقال: ألا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزراً إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما، فعن النبي ﷺ أن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه، ثم إنه تعالى أعقب الآية المتقدمة بقوله: ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**﴾ [الإسراء:٢٥] أي: بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، وقال: ﴿**إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ**﴾ [الإسراء:٢٥] أي قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدور مالا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هبة تؤدي إلى أذاهما ثم أبتم إلى الله واستغفرتم ﴿**فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ**﴾ أي للتوابين ﴿**غَفُوراً**﴾ أي ساتر الذنوب في الدنيا غير مؤاخذ بها في الآخرة، وعن سعيد بن جبير: هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير، وعن سعيد بن المسيب: الأواب: الرجل

كلما أذنب بادر بالتوبة، ويجوز يكون هذا عاماً لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لـوروده على أثره، وعقد "كشف الغمة" فصلاً لوجوب بر الوالدين وصلتهما وبـر أصدقائهما من بعدهما، وفيه: وكان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: «قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلـى الله تعـالى؟ قـال: **الصلاة لوقتها**، قلت: ثم أي؟ **قال: بر الوالدين**، قلت: ثم أي؟ **قال: الجهاد في سبيل الله**» وكان ﷺ إذا جاءه شخص يريد الجهاد **يقول له: هل لـك والدان؟** فإن كانا موجودين **قال: فيهما فجاهد**. وجاءه رجل آخر **فقال له: ألك أم؟** قال: نعم، **قال: الزم رجل أمك فثم الجنة**، وجاء رجل فقال: مـا حق الوالدين يارسول الله؟ «**قال: هما جنتك ونارك**»، وكـان ﷺ يقـول: «**الوالدان أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذاك الباب أو احفظـه**» وكان ﷺ يقول: «**من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**» وكان ابن عمر - رضـي الله عنهمـا - يقـول: كانت تحتي امرأة أحبها، وكان عمر يكرهها، فأمرني أن أطلقها فأبيـت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**يا عبد الله طلق امرأتك وأطع أباك**» وكان ﷺ يقول: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصـيبه، ولا يـرد القضـاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**» وكان ﷺ يقول: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا عن نساء الناس تعف نسـاؤكم**» وكان ابـن عبـاس - رضي الله عنه - يقول: إنما سُمّي الأبرار أبراراً لأنهـم بـروا الآبـاء والأمهات. وكما أن لوالديك عليك حقاً فكذلك لولدك، وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رغم أنفـه، ثـم**

رغم، فقلت: يا رسول الله من هو؟ فقال: **من أدرك والديه عنده أو أحدهما ثم لم يدخل بهما الجنة**» وفي رواية «**من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار**» وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بصحابتي؟ قال: **أمك** قال: ثم من؟ قال: **أمك** قال: ثم من؟ قال: **أمك** قال: ثم من؟ قال: **أبوك**» وكان ﷺ يقول: «**رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين، وسخط الرب تبارك وتعالى في سخطهما**» وتقدم نحوه، وكان ﷺ يقول: «**ما من ولد بار بوالديه ينظر إليهما نظر رحمة إلا كتب الله تعالى له بكل نظرة رحمة حجة مبرورة** قالوا: يا رسول الله وإن نظر كل يوم مائة مرة؟ قال: **نعم الله أكثر وأطيب**» قال ابن عباس - رضي الله عنهما: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة؟ فقال: **أما لك من أم؟** قال: لا، قال: **فهل لك من خالة؟** قال: نعم، قال: **فبرها**» وجاء آخر فقال: «يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: **نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنجاز وعدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام أصدقائهما**» وكان ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: إن بر والديك أن تفعل مع أصحابهما من بعدهما ما كانا يفعلان معهم في حياتهم. وربما كان - رضي الله عنه - يقوم لبعض الأعراب ويخدمهم، فيقول له الناس: إن هؤلاء أعراب يرضون باليسير من ذلك، فيقول: إنهم كانوا يأتون إلى عمر في حياته. وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني طلبت من ولدي شيئا

فمنعني إياه، فأرسل النبي ﷺ خلف الولد فجاء فوعظه ﷺ ثم قال له: «أنت ومالك لأبيك» والله أعلم، وتقدم نحوه، وعقد أيضاً "كشف الغمة" فصلاً في عقوق الوالدين، وفيه: وكان رسول الله ﷺ يقول: «الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب» وكان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» وكان ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس، وشهادة الزور»، وكان ﷺ يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى» وفي رواية: «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا يشمون ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، العاق لوالديه والديوث والرجلة من النساء، فقال رجل: يا رسول الله ما الديوث؟ قال: الذي يقر الخبث في أهله» وكان ﷺ يقول كثيرا: «يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، والله لا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق لوالديه ولا مدمن خمر» وكان ﷺ يقول: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلا - يعني فرضاً ولا نفلا - العاق، والمنان، والكذاب بالقدر» وكان ﷺ يقول: «ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف» وكان ﷺ يقول: «وإن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله شهدت أن لا إلــه إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة أمــوالي، وصــمت رمضان، فقال رسول الله ﷺ: **من مات على ذلــك كــان مــع النبيــين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا** - ونصب أصبعيه - **مالم تعــق والديك**» وكان ﷺ يقول: «**لا تعقن والديك وإن أمــراك أن تخــرج مــن أهلك ومالك**» وكان ﷺ يقول: «**أيها الناس اتقوا الله وصلوا أرحــامكم؛ فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم، وإياكم والبغي فإن ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي، وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شــيخ زان ولا جار لإزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين والكذب فــي كلمة إثم إلا ما نفعت به مؤمناً أو دافعت به عن ديــن الله**» وكــان ﷺ يقول: «**ملعون من عق والديه**» وكان ﷺ يقول: «**كل الذنوب يــؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى يجعلــه لصاحبه في الحياة قبل الممات**» وكان العوام بن حوشب - رضــي الله عنه - يقول: جزت مرة حياً من أحياء العرب وإلى جانب ذلــك الحــي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان، فنهق ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر، فإذا عجوز تغزل شعراً وصوفاً فقالت لي لمرأة: ترى هذه العجوز؟ فقلــت: مالهــا؟ قالت: تلك أم هذا، قلت: وما كان من قصته؟ قالت: كان يشرب الخمــر فإذا راح تقول له أمه: يا بني اتق الله، إلى متى تشرب هذا الخمر؟ فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار، قالت: فمات بعد العصر، قالــت:

فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم ينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر والله أعلم، أهـ. كلام "كشف الغمة" برمته – أي بجملته.

وممن تجب طاعته وبروره العلماء؛ وذلك لأن العلماء ورثة الأنبياء وهم لله على الخلق الأمناء، قال ﷺ: «**العلماء أمناء الله عن خلقه**» وقال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة**» وقال ﷺ: «**العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم**» وقال ﷺ: «**العلماء أمناء أمتي**» وقال ﷺ: «**العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء**» وقال ﷺ: «**العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة**» وقال ﷺ: «**العلم[1] ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش به الناس، ورجل عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به غيره**» والمعنى أن الأول علِمَ وعلَّم غيره، والثاني علم فعمل الناس بعلمه، ولم يعمل بما علم، وللثالث عمل بعلمه ولم يُعلِّمه وقال ﷺ: «**إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة وذلك أنهم يزورون الله في كل جمعة، فيقول لهم: تمنوا عليّ ما شئتم، فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى على ربنا؟ فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا، فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون لهم في الدنيا**» ولكن ليتعوذ المرء من أن يكون من علماء السوء لقوله ﷺ: «**إن في جهنم**

---

(١) هكذا بالأصل.

رحى تطحن علماء السوء طحناً» وقال ﷺ: «إن في جهنم رحى تطحن جبابرة العلماء» وقال ﷺ: «إن في جهنم لرحية تدور بالعلماء، يشرف عليهم من كان عرفهم في الدنيا فيقولون: ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بأمر ونخالفكم إلى غيره». اهـ.
وذلك لأن العلماء إنما قالوا: خير الدنيا والآخرة باتباع العلم وأما إذا لم يتبعوه فهو حجة عليهم، كلام مضيع، قال الشاعر:

حياة بلا علم حياة ذميمة وعلم بلا تقوى كلام مضيع

وقال ﷺ: «العلم علمان، فعلم ثابت في القلب فذلك العلم نافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عبادة» ومما ورد في العلم: قال ﷺ: «العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله؛ فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والمعلم والمستمع والمحب لهم» وقال ﷺ: «العلم خير من العمل، وملاك الدين الورع، والعالم من يعمل بالعلم وإن كان قليلا» وقال ﷺ: «العلم أفضل من العبادة، وملاك الدين الورع» وقال ﷺ: «العلم أفضل من العمل، وخير الأعمال أوسطها ودين الله تعالى بين القاسي والغالي، والحسنة بين السيئتين لا ينالها إلا بالله، وشر السير الحقحقة» وهي السفر بالمشقة يقال: حقحق في سفر إذا كان في شدة وحب، وقيل: السير في أول الليل، وقد نهى عنه، وقال ﷺ: «العلم دين والصلاة دين فانظروا ممن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة وإنكم تُسألون يوم القيامة» وقال ﷺ: «العلم خليل المؤمن، والعقل

دليله، والعمر هيمته[1]، والعلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق والده، واللين أخوه» وقال ﷺ: «العلم حياة الإسلام وعماد الإيمان، ومن علم علماً نمى الله له أجره إلى يوم القيامة، ومن تعلم علماً فعمل به كان حقاً على الله أن يعلمه ما لم يكن يعلمه» قوله: "أنمي" من النمو بمعنى الزيادة والربح وقال ﷺ: «العلم ميراثي وميراث الأنبياء قبلي فمن كان يرثني فهو معي في الجنة» وقال ﷺ: «العلم لا يحل منعه» وقال ﷺ: «المتقون سادة العلماء والفقهاء قادة أخذ عليهم أداء مواثيق العلم، والجلوس إليهم بركة، والنظر إليهم نور» وقال ﷺ: «المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس إليهم زيادة، وعالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد» وقال ﷺ: «أفضل العبادة طلب العلم» وقال ﷺ: «يؤتى بمداد طالب العلم يوم القيامة ودم الشهداء فيوزنان ولا يفضل هذا على هذا ولا هذا على هذا» وقال ﷺ لأصحابه: «إنكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل»، وقال ﷺ: «إنكم في زمان علماؤه كثير خطباؤه قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى، وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا» وقال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتبع الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه»، وقال ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه

---

(١) هكذا بالأصل.

تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»، وقال ﷺ: «يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم»، وقال ﷺ: «لا تُوَسَّع المجالس إلا لثلاثة: لذي سن لسنه، وعلم لعلمه، ولذى سلطان لسلطانه»، وقال ﷺ: «لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله»، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧]، وقال ﷺ: «لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر، عالم فيما ينهى، عدل فيما ينهى» وقال ﷺ: «يتقارب الزمان ويقبض العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل» وقال ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم رؤساء جهال يفتون الناس فيَضلون ويُضلون»، وقال ﷺ: «يرفع الله بهذا العلم أقواماً فيجعلهم قادة يقتدى بهم في الخير ويقتص آثارهم وترمق أعمارهم وترغب الملائكة في خلقهم وبأجنحتها تمسحهم» وقال ﷺ: «عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد» وقال ﷺ: «علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده» وقال ﷺ: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا بما تعلمون» وقال ﷺ: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه» وقال ﷺ: «تعلموا العلم قبل أن يرفع؛ فإن أحدكم لا يدري متي يفتقر إلى ما عنده، وعليكم بالعلم وإياكم

والتنطع والتبدع والتعمق وعليكم بالعتيق» وقال ﷺ: «تعلموا العلم؛ فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد» وزاد بعض الروايات: «وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنيس في الوحشة والصاحب في الوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الجنة قادة» وقال ﷺ: «تعلموا العلم ما شئتم فوالله لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا» وقال ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا» (واعلم) أن أشرف العلوم وأجلها وأكثرها نفعاً وأفضلها كتاب الله القرآن العظيم، ويتلوه حديث نبيه الكريم ﷺ مع أزكى التسليم وما يعربان به، والفقه في الدين ثم ما من علم يكون وسيلة للقرب من الله إلا هو داخل في ذلك الحث على التعليم ومما ورد في الحث على القرآن قوله ﷺ: «تعلموا القرآن واتلوه فإن الله جازيكم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف» وقال ﷺ: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض، وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان من يقضي بينهما» وقال ﷺ: «تعلموا القرآن واقرءوه وارقدوا، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب

محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكئ على مسك» وقال ﷺ: «تعلموا كتاب الله اقتنوه وتعاهدوه وتغنوا به فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تقصيا من صدور الرجال من في المخاض العقل[1]» وقال ﷺ: «تعلموا القرآن وأسألوا به الجنة قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا؛ فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله» وقال ﷺ: «تعلموا القرآن واقرءوه واقرءوا منه ما تيسر فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تقصيا من الإبل المعقلة، واعلموا أن من قرأ خمسين آية في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة في ليلة لم يكتب من القانتين ومن قرأ بمائتي آية في ليلة لم يحاجه القرآن تلك الليلة، ومن قرأ بخمسمائة آية في ليلة إلى ألف آية أصبح وله قنطار من الجنة» القنطار بالكسر مائة وعشرون رطلا، وقيل: مائتان وألف أوقية وسبعون ديناراً وقال ﷺ: «تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه، وغرائبه: فرائضه وفرائضه: حدوده، وحدوده: حلال وحرام وحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، واعتبروا بأمثاله» وقال ﷺ: «تعلموا الرمي والقرآن، وخير ساعات المؤمن حين يذكر الله عز وجل» وقال ﷺ: «تعلموا اليقين كما تعلموا القرآن حتى ترفعوه فإني أتعلمه» وقال ﷺ: «القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه» وقال ﷺ: «القرآن ألف ألف حرف وعشرين ألف حرف، فمن

---

(١) هكذا في الأصل، ولعله خطأ، أهـ. مصححه.

قرأه صابرا محتسباً فله بكل حرف زوجة من الحور العين»، وقــال ﷺ: «القرآن هو الدواء» وقال ﷺ: «القرآن شافع مشفع وعال مُصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» وقال ﷺ: «القرآن كلام الله عز وجل، فليجل صاحب القــرآن ربــه عــن إتيــان محارمه» وقال ﷺ: «القرآن صعب مستصعب على من كرهــه، ميســر على من تبعه وهو الحكم، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم، فمــن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن، ومن تهاون بــالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة» وقال ﷺ: «القرآن أحــب إلــى الله مــن السموات والأرض ومن فيهن» وقال ﷺ: «القرآن يقــرأ علــى ســبعة أحرف فلا تماروا في القرآن؛ فإن المراء في القرآن كفــر» وقــال ﷺ: «القرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المســتقيم» وقال ﷺ: «القرآن عرفاء أهل الجنة» ومما ورد في مدح العالم أيضاً ما قالــه ﷺ: «العالم أمين الله في الأرض» وقال ﷺ: «العالم سلطان الله فــي الأرض فمن وقع فيه فقد هلك» وقال ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الأجــر وسائر الناس لا خير فيهم» وقال ﷺ: «العالم والعلم والعمل في الجنــة فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنــة والعــالم فــي النار» وقال ﷺ: «العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كــل شــيء، وإذا أراد به أن يكثر الكنوز هاب من كل شيء» وقال ﷺ: «العالم عالمــان: عالم طلب بعلمه الله لم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا، وعالم طلب لعلمه الدنيا واشترى به ثمنا وأخذ عليه طمعاً، بخل به على عبــاد الله

يلجمه الله يوم القيامة بلجام من نار فينادي عليه ملك من الملائكة: ألا إن هذا فلان ابن فلان آتاه الله في دار الدنيا علماً فاشترى به ثمنا وأخذ عليه طمعاً فلا يزال ينادي عليه حتى يفزع من الناس ثم يصنع الله به ما أحب» وقال ﷺ: «العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضيء للناس» أعوذ بالله، كل هذا الأحاديث المتقدمة من "راموز الحديث" و"الجامع الصغير" وفي تفسير الأصول": وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان عالم وعابد فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية: ثم قال: «إن الله تعالى وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل النبي ﷺ: «أي الناس أكرم عند الله تعالى؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» وعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل الفقيه في الدين إن احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه أغنى نفسه» وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة

لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وقال ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» وقال ﷺ: «من طلب العلم كان كفارة لما مضى» وقال ﷺ: «تعلموا العلم قبل الظانين» يعني: قبل الذين يتكلمون بالظن، وقال ﷺ: «تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فإني مقبوض - وزاد رزين - فإن مثل العالم الذي لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذي لا رأس له» وقال ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار» وقال ﷺ: «والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم» وقال ﷺ لأصحابه: «إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم استوصوا بهم خيراً» وقال ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع» نضر الله امرأ بتخفيف الضاد وتشديدها معناه: حسنه وجمله وقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، قوله: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ليس فيه إباحة الكذب في الأخبار عنهم ورفع الإثم عمن نقل عنهم، ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وإن لم يتحقق ذلك نقل الإسناد لأنه أمر تعذر ولبعد المسافة وطول المدة، واعلم أن العلم حيثما

تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] فبين أن الخشية تلازم العلم، وفهم من هذا أن العلماء إنما هم أهل الخشية وإلا فلا، وقد عقد "كشف الغمة" باباً في فضل العلم والعلماء والمتعلمين وفيه بضعة وعشرون حديثاً بعضها تقدم والبعض يكفي عنه ما تقدم لمن أراد الله به الخير، والحاصل أن العلم أفضل الأعمال. واتباع العلماء وتوقيرهم وتبجيلهم أحسن الأفعال، وممن يجب توقيره وتبجيله ولاة أمور المسلمين لاسيما السلطان، قال ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله» وقال ﷺ: «السلطان ظل الله ورمحه في الأرض، فمن نصحه ودعا له اهتدى، ومن دعا عليه ولم ينصحه ضل» وقال ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، فإذا دخل أحدكم بلداً ليس فيه سلطان فلا يقيمن به» وقال ﷺ: «السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة عمل ستين صديقاً كلهم عابد مجتهد» وقال ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت أهل الذمة أديل الكفار» الإدالة: الغلبة والقهر يقال: اللهم أدلني على فلان أي انصرني واغلبني عليه، والمعنى: صارت الدولة لهم، وقال ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه

الضعيف، وبه ينتصر المظلوم، ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة» ومعنى ظل الله أنه يرفع الأذى عن الناس كما يرفع الظل أذى حر الشمس (وأما المسألة الثانية) المرهبة التي هي إحدى مسألتي البيت التي اشتمل عليها فهي تحذيره من المعاصي وأهلها.

ودار ران وأوزار ذوي ذل أدار. يعني أن دار أهل المعاصي أنفسهم يدوران حال كونهما ذوي ذل لما يرجع إليه أهل المعاصي من خراب الديار بالفقر والغلبة وحشمة الدنيا وعذاب الآخرة، وإسناد الذل إلى الدار مجاز على حد: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي أهل القرية لأن الذل إنما هو لأهلها وينالها ما ينالهم، واعلم أن الأوزار التي هي الذنوب على قسمين: كبائر وصغائر، والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما وأعطى لعباده فضلاً منه كراء بتكفير الصغائر بسبب اجتناب الكبائر قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١] وأعطى كراء أعظم من ذلك وهو قبول التوبة ومحو السيئات بسببها، بل تبديل السيئات حسنات، فالتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد وبتوبة، والإحباط نقيضه، وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة، وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبه ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى، وقيل: يبدلهم بالشرك إيمانا، وبقتل المسلمين قتل المشركين، وبالزنى عفة وإحصانا، وعن علي – رضي الله عنه: الكبائر سبع: الشرك والقتل

والقذف والزنى وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة، وزاد ابن عمر: السحر واستحلال البيت الحرام، وعن ابن عباس أن رجلاً قال له الكبائر سبع فقال: هي إلى سبعمائة أقرب لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار – وروى: إلى سبعين – وفي 'الجامع الصغير' عن ابن عمر عنه ﷺ: **«الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»** وفي رواية عنه: **«الكبائر الإشراك بالله وقذف المحصنة وقتل النفس المؤمنة والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين وإلحاد بالبيت أحياء وأمواتا»** والإلحاد: العدول عن القصد، وقيل: الإلحاد في الحرم منع الناس عن عمارته، وفي رواية أبي سعيد: **«الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة»**، إلا أن هذا الأخير خاص بزمنه ﷺ لأنهم كانوا يعدون من رجع إلى البادية بعدما هاجر إلى المصطفى ﷺ كالمرتد لوجوب الإقامة معه لنصرته ﷺ وفي رواية ابن عباس: «الكبائر الشرك بالله والإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله» واعلم – رحمك الله – أن كل ما نهى الله عنه فاقتحامه معصية وما أُمر به فتركه معصية وما نهى عنه ﷺ فهو كما نهى الله عنه لقوله تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر:٧] وهو قد نهانا عن كثير، ولم ينهنا عن شيء قط إلا وفيه ضرر، وأمرنا بأشياء، ولم يأمرنا بشيء قط إلا وفيه نفع، وهذه أشياء من بعض ما حذرنا منه جعلتها هنا لينتفع بها الرائي والمستمع

بحول الله وقوته، قال ﷺ: «إياك والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجلا بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما وليزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» وقال ﷺ: «إياك والنظرة بعد النظرة؛ فإن الأولى لك، والثانية عليك» وقال ﷺ: «إياك والتسويف بالتوبة، وإياك والغرة بحلم الله عنك» وقال ﷺ: «إياك وصاحب السوء؛ فإنه قطعة من النار، لا ينفعك وده، ولا يفي لك بعهده» وقال ﷺ: «إياك والخيانة فإنها بئس البطانة، وإياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح فسفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم» وقال ﷺ: «إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والحرص؛ فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة، وإياكم والحسد؛ فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهو أصل كل خطيئة» وقال ﷺ: «إياكم والأفراد، يكون أحدكم أميراً أو عاملاً فتأتي الأرملة واليتيم والمسكين فيقال: اقعد حتى ينظر في حاجتك فيتركون مفردين لا تقضى لهم حاجتهم ولا يؤمروا فينفضوا، ويأتي الرجل الغني الشريف فيقعده إلى جانبه ثم يقول: ما حاجتك؟ فيقول: حاجتي كذا وكذا، فيقول اقضوا حاجته وعجلوا» قوله: الأفراد بالفتح: الأمير، وقيل: العامل، ويقال: أفرد بالرجل إذا سكت ذلاً، وفي القاموس: الإفراد بكسر الهمزة: السكوت من العجز والعي يقال: أفرد الرجل إذا سكت عياً والذل والخضوع، قوله الأرملة: يقال امرأة أرملة أي محتاجة مسكينة. وقال ﷺ: «إياك وكل أمر

يعتذر منه» وقال: «إياك وما يسوء الأذى» وقال ﷺ: «إيــاك ودعــوة المظلوم وإن كانت من كافر، فإنه ليس لها حجاب دون الله عز وجــل» وقال ﷺ: «إياك ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا بــه خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». الإنضاج: الطبخ يقال: أنضجت الأخباز إذا طبخت، وقال ﷺ: «إياكم والغيبة؛ فإن الغيبة أشد من الزنى؛ إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليــه وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر لــه صــاحبه» وقــال ﷺ: «إيــاكم والنياحة على موتاكم فإن الميت لا يزال معذباً ما نيح عليه» وقــال ﷺ: «إياكم والجلوس في الشمس فإنها تبلي الثوب وتنــتن وتظهــر الــداء الدفين» وقال ﷺ: «إياكم وسماع المعازف والغناء؛ فإنهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» المعازف والملاهي كالعود ونحوه، وقال ﷺ: «إياكم وخشوع النفاق، يخشع البدن ولا يخشع القلب» وقــال ﷺ: «إياكم والسرف في المال والنفقة، وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قــط اقتصدوا» وقال ﷺ: «إياكم والنميمة» ونقل الأحاديث وقال ﷺ: «إيــاكم والسمر بعد العشاء الآخرة، وإذا تناهقت الحمر من الليل فاستعيذوا بالله من الشيطان» السمر: الحديث والمكالمة، والمراد: حديث الدنيا ونحوهــا وقال ﷺ: «إياكم واليمين الفاجرة فإنها تذر الديار بَلاقِع والكتــاب كلــه إثم» قوله: تذر أي: تترك، وبلاقــع أي: خــراب، وقــال ﷺ: «إيــاكم والجلوس على الطرقات، فإن أبيتم فأعطوا الطريق حقه: غض البصــر

وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشـــاد السبيل» وقال ﷺ: «إياكم والطعام الحار؛ فإنه يذهب البركـــة وعلـــيكم بالبارد؛ فإنه أهنا وأعظم بركة» وقال ﷺ: «إياكم ومشارة الناس؛ فإنها تدفن الغرة وتظهر العرة» وقال ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظـــن أكـــذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافســـوا، ولا تباغضـــوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا تحاسدوا، ولا يخطب الرجل علـــى خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك» وقال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء قيل: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت» وقال ﷺ: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلـــى النـــار، وإن الرجـــل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، وعليكم بالصدق فـــإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصـــدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» وقال ﷺ: «إيـــاكم وســـوء ذات البين، فإنها الحالقة» أي: تؤدي إلى الهلاك، المـــراد بســـوء ذات البين: التسبب في المخاصمة بين اثنـــين أو قبلتـــين وقـــال ﷺ: «إيـــاكم والتعري؛ فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجـــل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم» وقال ﷺ: «إياكم والهوى؛ فإن الهوى يصمّ ويعمي» وقال ﷺ: «إياكم أن تخلطوا طاعة الله تعالى بحب ثنـــاء العباد فتحبط أعمالكم» وقال ﷺ: «إياكم والبول في المقابر؛ فإنه يـــورث البرص» وقال: «إياكم والبطنة من الطعام فإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على آخرته» البطنة بالكسر: الشبع وبمعنى التخم والامتلاء مـــن

الطعام وعدم الهضم، ويؤثر: يختار، وقال: «إياكم والبغضاء؛ فإنها الحالقة» أي: المهلكة، وقال: «إياكم والبدع، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة تصير في النار» وقال: «إياكم والمدح؛ فإنه الذبح» وقال: «إياكم والبخل، دعا قوماً فمنعوا زكاتهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم، ودعاهم فسفكوا دماءهم» وقال: «إياكم وكفر المنعمين، قيل: وما كفر المنعمين؟ قال: لعل إحداكن أن تطول أيمتها وتعنس عند أبويها، ثم يرزقهم الله زوجاً، ثم يرزقها الله ولداً، ثم تغضب الغضبة فتكره فتقول: والله ما رأيت منك خيراً قط» وقال ﷺ: «إياكم ومحادثة النساء فإنه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها» وقال ﷺ: «إياكم والزنا، فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، والخلود في النار» وقال ﷺ: «إياكم والدَّيْن فإنه همّ بالليل ومذلة بالنهار» وقال ﷺ: «إياكم والطمع؛ فإنه هو الفقر الحاضر وإياكم وما يعتذر منه» وقال ﷺ: «إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان» وقال: ﷺ: «إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله يسراً فخذوا منه ما تطيقون؛ فإن الله يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيراً» وقال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حوائجكم» وقال ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» وقال ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما

بينها وبين الله» وقال ﷺ: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه استجب⁽¹⁾ الله تعالى منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين» وقال ﷺ: «أيما امرأة خرجت بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها» وقال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وقال ﷺ: «أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثًا من الكبائر» يعني: صومها بغير إذنه، واستمرارها فيه بعد نهيه، ونشوزها عليه لعدم تمكنه، والمراد أيضًا صوم التطوع، وقال ﷺ: «المقيم على الزنى كعابد وثن» وقال ﷺ: «المقيم على الزناء كعابد وثن» وقال ﷺ: «المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع» (فائدة) اعلم أن الشح والبخل ينشآن عن ضعف اليقين وعدم الثقة، فحينئذ يكون الشح ويقع البخل، وقد ذم الله سبحانه الشح والبخل كليهما في كتابه العزيز فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] فمفهومها أن صاحب الشح لا فلاح له أي لا فوز له، والفلاح هو الفوز، قال في وصف المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأحزاب:١٩] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل فيه تحريفًا. اهـ. مصححه.

[التوبة:٧٥-٧٦] وقال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد:٣٨] والبخل والشح بمعنى، ويطلق على أقسام ثلاثة: الأول: أن تبخل بما في يدك أن تبذله في واجبات الله، والثاني: أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب عن عباد الله، والثالث: بخلك بنفسك أن تبذلها. واعلم أن ما تقدم من ترغيب وترهيب لا ينالان إلا بالصبر يقابل العبد كل وعر ومشقة ومضرة وشدة ومنحة وصعوبة وكل ما لا يوافق هوى النفس مما فيه طاعة وموافقة، فالدنيا بحر، والصبر سفينة، فمن لم يتخذ سفينة لجواز عمله غرقت أعماله، ومن صبر على دينه في البأساء والضراء وحين البأس وفي المكاره والمشاق والمضار والمحن والزلل والأهوال فقد ثبت صدقه في صبره وأعيا الشيطان في جنبه، ومن لم يصبر على دينه عند فجأة هذه البلوى لا يصلح للطاعة وليس بينه وبين الصابر نسبة، واعلم أنه ما تجرع عبد لذاذة معصية إلا وتجرع مرارة عقوبة إلا أن يعفو الله فعلى العبد أن يعمر داره بطاعة مولاه ولا يخربها باتباع هواه، ومن صبر على دينه في أيام قلائل وحفظه من الآفات صار له نجاة في مفاوز القيامة التي لا مفاوز مثلها، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه: ينبغي للمؤمن أن تكون عنده أشياء، دابة فارهة، ودار واسعة، وثوب جميل وسراج منير، فالدابة الفارهة هي العقل، والدار الواسعة هي الصبر والثوب الجميل هو الحياء، والسراج المنير هو العلم، والدنيا والآخرة متقابلتان ومتجاذبتان والرجال في خدمتها والاستعداد لشدائدهما على قدر رجحان عقولهم، فإن أردت أن تنظر استعدادك للدنيا والآخرة أيتهما أرجح عندك، فإن كانت الدنيا فذلك عقل البهائم، وإن كانت الآخرة فذلك

عقل الملائكة، وفي الحديث: «لما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: اقعد، فقعد، ثم قال له: انطلق، فانطلق ثم قال له: اصمت فصمت، ثم قال له: ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكرم بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطي وإليك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب» ومن أدلة العقل طاعة الله والتحفظ على مكارم الأخلاق، وفي الحديث: «مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في الأب، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أراد به السعادة: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافآت بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء» وفي حديث آخر: «مكارم الأخلاق عند الله ثلاثة: تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» أخرجها راموز الحديث (تنبيه) اعلم أن كل ما يؤدي للفقر فإنه يؤدي للذل والهوان وهدم الديار، فينبغي اجتنابه وفي "نوازل القصري" ما نصه: (سؤال) هل رأيتم أصلاً لقولهم كذا وكذا يؤدي للفقر؟ (جوابه) ما في حديث البركة ولفظه: ومما ينبغي اجتنابه حرق قشر البصل والثوم والنوم على الوجه، وكنس البيت في الليل، وكنسه بالخرقة وترك الكناسة في البيت، وغسل اليدين بالطين والنخامة في الإناء الذي يأكل فيه، والجلوس على العتبة - وهي التي يوطأ عليها - والاتكاء على أحد زوجي الباب والتوضؤ في المئزر، وخياطة الثوب على البدن، وتجفيف الوجه بالثوب ووضع اليد على الخاصرة، والبول عرياناً، والأكل جنباً، وإسراع

الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر، والبكور إلى السوق وإبطاء الرجوع منه وشراء كسر السائلين، وترك تخمير الأواني، وإطفاء السراج بالنفخ، ودعاء الشر على الوالدين وعلى الأولاد وعلى الولاة، والرمي بالقملة وهي حية، وغسل القدم باليمين والبول في الماء الراكد، ولبس السراويل قائماً، والتعمم قاعداً، وغسل الجنابة في موضع البول والنجاسة، والأكل بإصبعين، والمشي بين الغنم وبين امرأتين وحجمة يوم سابع الشهر، وكثرة العبث باللحية، وقرع الأسنان وتشبيك الأصابع حول الركبتين، وكثرة فرقعتها، ووضع الكعب على الأنف، وقطع الظفر بالسن، وكشف العورة في وجه الشمس والقمر، واستقبال القبلة بالبول والغائط، والبصاق على الخلاء والرماد، ووضع اليدين على الخد وأنت قاعد، ومن أعظم ذلك التهاون بالصلاة، والتهاون بما يسقط من المائدة وترك التسمية على الطعام، وكثرة الأكل، والكذب، ولبس نعل الشمال قبل اليمين، والأكل على الطبق المقلوب، وكل هذه الخصال تورث لهم الحاجة، وقد أتى بها ابن شامة هكذا مسرودة، وعن بعضهم أن في الغفلة عن الفطرة فوق أربعين يوماً ضيق المعيشة، وفي كتاب "النورين في إصلاح الدارين": ويظهر بيته من نسج العنكبوت ومن الخبث، والصبيحة تمنع الرزق وهي نوم الغداة وليغسل الإناء والفناء والتحرز من الربا والسواك يجلب الرزق وتسريح للحية بالمشط عقب الوضوء ينفي الفقر ومن امتشط قائما ركبه الدَّيْن، وسب الريح يورث الفقر، واليمين الفاجرة ومنع النار يورث العداوة، وصلة الرحم تزيد في العمر والمال، والأمانة تجر الرزق، والخيانة تجر الفقر، والربا إن كثر فمصيره إلى قل

والدعاء على الوالد والولد بالموت أو بالشر، هذه كلها تنقص الرزق وكذلك ما لا يعنيه بالقول أو الفعل، والحسد ينقص الرزق، والذنوب كلها تنقص الرزق، وقال ﷺ: «إن للرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» وسؤال للناس يورث الفقر كله، وقال أيضا: «من لم يحسن في جوار نعمة الله تغير عليه» قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] وقد نظم بعضهم بعض موجبات الفقر بقوله:

أولها إدامة الزناء ... والغسل في السبت والأربعاء

وجعله سبحته في العنق ... وغسله اليدين قبل اللعق

وغسلها بالطين والنجاسة ... مورث هم دائم وحاجة

ومثل ذا إضاعة الطعام ... والأكل مع جنابة الحرام

وجعله السروال في الرقاد ... وسادة والبول في الرماد

وخدمة الحرائر الحسان ... وقلمك الأظفار بالأسنان

ومسحك الفراش بالثياب ... وطرح قملة على التراب

ومما يورث الهم والفقر منع الماء والخمير والملح والنار، وقال ابن عباس: منع الخمير يورث الفقر، ومنع الملح يورث الداء، ومنع الماء يورث الندامة، ومنع النار يورث الشقاق والعداوة، وقال ﷺ: «خمسة أشياء لا يُمنَعْن ومن منعها منعه الله يوم القيامة خيره: الماء والملح والنار والإبرة[١]» وأما إعطاء هذه الخمسة ففيه من الأجر ما لا يوصف

---

(١) هكذا بالأصل، ولم يذكر الخامس، ولعله الخمير كما ورد في قول ابن عباس. اهـ، مصححه.

كل واحدة على حدته، فانظر في ابن شامة إن شئته، ومن الأسباب المؤدية للفقر: كثرة النوم، قال الشاعر:

سرور الناس في لبس اللباس وجمع الخير في ترك النعاس

وقد أجمع رأي سبعين صديقاً أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء ومنها الظلم والبغي، قال الله تعالى: **﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾** [النمل:٥٢] وقال: **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾** [يونس:١٣] وقال ﷺ: «**الظلم يدع الديار بلاقع**» يعني يذهب ما في البيت من المال ويفتقر ويتفرق شمله، وقال ﷺ: «**اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري**» وقال ﷺ: «**من أعان ظالما على مظلوم سلطه الله عليه**» وقال: «**اتقوا الحرام في البنيان فإنه أساس الخراب**» وقال: «**من مشى مع ظالم فقد أجرم**» والله تعالى يقول: **﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾**[1] وقال: «**إياكم ودعوة المظلوم وإن كان فاجراً**» وفي كتاب الله تعالى: **﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾** [يونس:٢٣] قال الهروي: أي: راجع عليكم، وقال ﷺ: «**ذنبان لا يغفر لصاحبهما العقوبة: البغي وقطيعة الرحم**» ويروى: ما من عمل يعصى الله فيه بأعجل من عقوبة من بغى وقال: «**إياكم والبغي، فإن من بُغِيَ عليه لينصرنه الله، وإياكم والمكر؛ فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**» وقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ - أي بشرك - وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ - فيما بينهم﴾** [هود:١١٧] أي ليس من سبيل للكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة

---

(١) [السجدة:٢٢]

وتركوا الظلم أن ينزل الله عليهم عذاباً يهلكهم، قاله ابن عباس، فبين أن الناس لا يهلكون بالشرك إذا لم يتظالموا ولكن يهلكون بالظلم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف فيما لا يملك، وقال وهب ابن منبه إذا همَّ الوالي بالظلم أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا همَّ بالخير والعدل أدخل الله البركة في أهل مملكته، كذلك قال ﷺ: «**يقول الله تعالى يوم القيامة: أنا الديان لا ظلم عندي، وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف وضربة بيد على يد، ولأقتص للجماء من القرناء، ولأسألن الحجر لم نكب**[1] **الحجر، ولأسألن العود لم خدش صاحبه**» ومن أعظم الظلم القتل بغير حق، قال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم**» وقال: «**لو أن أهل السموات والأرض اشتركوا في دم مسلم لكبهم الله في النار**» والإثم متعلق بقتل العمد، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾ [النساء:٩٣] ومما ورد في الزنى قوله عليه السلام: «**لا تزنوا؛ فإن الزنى يقطع الرزق، ويهدم العمر، ويدخل النار، ويسود الوجه والصحائف**» وقال: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى، فإذا فشا فيهم فيوشك أن يعمهم الله بعقاب**» وقال عكرمة: إذا كثر الزنى قل المطر، وقال وهب: مكتوب في التوراة: الزاني لا يموت حتى يفتقر والقواد لا يموت حتى يعمى، وقالت زينب: أنهلك وفينا

---

(١) هكذا بالأصل.

الصالحون؟ فقال للنبي ﷺ: «نعم، إذا كثر الخبث» - يعني الزنى - ومما ورد في الربا قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦] وقال ﷺ: «إن الربا وإن كثر فعاقبته إلى القل» وتقدم هذا الحديث وقال: «لا بركة في مال خالطه الربا»، وقال ابن مسعود: ما أهلك الله أهل بيوت قط حتى يكثر فيهم الزنى والربا، ويقال: ما ظهر الزنا وأكلَ الربا في بلدة إلا خربت. ومنها الخيانة في الكيل والوزن وهي كبيرة كما في "ابن شامة"، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] وقال ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلاطين عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم، وما ترك أئمتهم الحكم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» ويروى أن ليث بن عبد الرحمن قال: إنما يُؤْذَن في هلاك القرى إذا استحلوا أربعاً: إذا نقصوا الميزان، وبخسوا المكيال، وأظهروا الزنى وأكلوا الربا، فإذا أظهروا الزنى أصابهم الوباء، وإذا بخسوا المكيال ونقصوا الميزان مُنِعُوا القطر، وإذا أكلوا الربا جرد فيهم السيف، والخيانة في كل شيء من أسباب الفقر. قال ﷺ: «الأمانة تجر الرزق، والخيانة تجر الفقر» وتقدم هذا، وقال: نزلت المائدة خبز ولحم وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا، أو خبوا لغد، فرفعت ويروى: فمسخوا قردة وخنازير، وقال: يقول الله تعالى: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن

أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما ودخل الشيطان» وقال: «من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه» وقال: «لا يؤم الرجل قوماً فيخص نفسه دونهم بالدعاء، فإن فعل فقد خانهم» ويقال: إفشاء الأسرار يورث البوار - أي الهلاك - والإعراض عن النصيحة يورث الفضيحة، وأعظم الديانة ترك الخيانة والله لا يحب الخائنين، ومن أسباب الفقر مخالطة العلماء والقراء للأمراء، قال ﷺ: «لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم يعظّم أبرارهم فُجّارهم، وما لم يرافق شرارهم خيارهم، وما لم يصل قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة وسلط عليهم جبابرتهم، وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل بهم الفاقة» وقال: «يخرج في آخر الزمان قوم يحلبون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي تغترون أم عليّ تجترئون؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيراناً». ومن أسباب الفقر وخراب الديار الحكم بغير ما أنزل الله، والحرص على الولاية، قال كعب لابن عباس - رضي الله عنهما: إذا رأيتم السيوف قد أعريت والدماء قد أجريت فاعلموا أن حكم الله قد ضُيِّع فانتقم لبعضهم من بعض وإذا رأيتم الطاعون قد فشا فاعلموا أن الزنا قد فشا، وقال ﷺ: «ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله عليهم إلا فشا فيهم الفقر» وقال لأبي ذر إني أحب لك ما أحب لنفسي لا تؤمرنّ على اثنين ولا تولين مال يتيم، وقال: «لا خير للمؤمن في الإمارة، أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب» وقال: «ما من وال

يلي شيئا من أمور المسلمين إلا أتى يوم القيامة مغلولا يده إلى عنقه يوقف على جسر من نار فينتقض به ذلك الجسر انتفاضة يزول كل عضو منه من موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئاً انحرف به ذلك فيهوى به في النار سبعين خريفاً» وقال: «من جُعِلَ قاضيا ذُبِحَ بغير سكين» وقال: «يجاء بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أن لو لم يكن قاضيا بين اثنين» وقال: «من قضى بجهالة أو تكلف لقي الله كافراً ومن قضى فحاف متعمداً لقي الله كافراً، ومن قضى بنية وفقه واجتهاد فذلك لا له ولا عليه» وقال: «وما من والٍ يغلق بابه عن ذوي الحاجات والمسكنة إلا غلق الله أبواب السماء عن خلته وحاجته ومسكنته» وقال: «من ولي من أمر أمتي شيئاً فحسنت سريرته رُزِقَ الهيبة من قلوبهم، وإذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة وإذا وفَّر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله، وإذا أنصف للضعيف من القوي قَوَّى الله سلطانه» واعلم أن من ولي شيئاً من أمور المسلمين وجب الصبر تحت لوائه وإن جار وعمل الكبائر، ولا يجوز الخروج عن الولاة قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمِلَ عليكم عبد حبشي كأنَّ رأسه زبيبة» وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهلية» وتقدم: «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» وما معه من الأحاديث، وقال ﷺ: «من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع

يده من طاعته» وقال: «من خلع يده من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وقال: «من أتاكم وأمرُكُم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» وكل هذا أخرجه مسلم في صحيحه، وقال عليه السلام: «من فارق الجماعة واستدعى الإمارة لقي الله ولا حجة له عنده» وأنشد السلفي مرغباً في طاعة السلطان:

عليك بطاعة السلطان سراً وجهراً ما بقيت مدى الزمان
فطاعة من له أمر ونهي أمان في أمان في أمان
ولا تعبأ بذي سفه وطيش وضيع قد يمنينك الأماني

فإن صلح الأمير وعدل زاد فضله وتضاعف أجره، قال ﷺ: «إن أحب الناس إليّ يوم القيامة وأقربهم مني مجلساً إمام عادل» وقال: «والذي نفسي بيده إن الوالي العادل ليرفع له كل يوم مثل عمل رعيته وصلاته تعدل سبعين ألف صلاة، وإن جار وظلم ثقل حمله وعليه وزره» وقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» وقال: «ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة» وقال: «كما تكونوا يولّى عليكم» ويروى: أسد حطوم خير من والٍ ظلوم ووالٍ ظلوم خير من فتنة تدوم، ومن أسباب الفقر الاحتكار في الأقوات، وهو أن يشتري في الغلاء ويمسكه حتى يُضرّ بالناس، فيزداد الثمن، قال ﷺ: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون، ومن احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس»

قال العلماء : وأما إذا اشتراه في الرخص وانتظر به الغـلاء، أو دخـل عليه غلة من ملكه فتربص به الغلاء فليس باحتكـار ولا يـأثم، وهـذا المعنى أراده عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن شامة بقوله:

واحفظ طعامك في حال الأمـان إذا ... طاب المكان لها حتى يهب غـلا

اللهم إلا إذا كان بالناس ضرر وعنده ما يفضل عن مؤنته ومؤنة عياله فإنه يجب عليه بيع للفضل، فإن لم يفعل جبره السلطان على ذلـك والله أعلم. ومنها الإساءة إلى أولياء الله تعالى وهم الذين إذا رُءُوا ذُكـر الله تعالى، قال ﷺ: **«يقول الله تعالى: من أهان لي ولياً فقـد بـارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرد الشديد الغضب»**، وقال: **«إيـاك ونـور المـؤمن لا يحرقك وإن عثر كل يوم سبع مرات، فإن يمينه بيـد الله إن شـاء الله ينعشه أنعشه»** وقال: **«رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسـم علـى الله لأبره»** وقال ابن عمر - ونظر إلى الكعبة -: ما أعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. ويروى أن القائل عمـر بنفسـه، وقـال ﷺ: «ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به» ومنها قطع الشجر المنتفع بـه فـي الطريق ونحوها، قال ﷺ: **«من قطع سدرة ضرب الله رأسه في النـار»** قال أبو داود: هذا مختص، أراد من قطع سدرة من فلاة ظلماً وعتواً بغير حق له فيها كان يستظل بها ابن السبيل والبهائم ضرب الله رأسـه فـي النار، ولبعضهم:

هذى ثمـان موجبـات للفقـر ... صححها أمامنـا ابـن زكـرى

عن التقي يوسف نجل عمــرا شيخ الشيوخ ذي التقي قطب الورى

وهي الزنى والأكل قبل الغسل منه اجتنبه لاتحد عــن نقــل

والعنكبوت تركها في البيت من موجبها وقص الأظفــار بســن

وكنســـه لبيتــه بخرقـــة وتــرك قملــة بــأرض حيــة

واليد قبل لعقها مــن الطعــام يمسحها تخديم حــرة حـــرام

جمعتهـــا لتتقـــي وتجتنـــب مرتجيا من خــالقي نيــل الأرب

قال الكشعري: والتحرز عن قطع الأشجار الرطبة يزيد في العمر وإذا كان كذلك فقطعها ينقصه، والله أعلم. وقد نهى ﷺ عن قطع شـــيء من نبات الأرض ثـــم قـــرأ: ﴿وَإِن مِّـــن شَـــيْءٍ إِلاَّ يُسَـــبِّحُ بِحَمْـــدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤] قال ابن شامة: وأما للمصالح فلا بـــأس بقطعهـــم النبـــات وقلعه، قطع رسول الله ﷺ نخل بني النضير وحرق أشجارهم، روى أبو عبيد بإسناده في الذي قضى له النبي ﷺ بالأرض وقد غرس فيهـــا قـــال الراوي: فلقد رأيته يضرب في أصولها بالفئوس وإنها لنخل عـــم – أي: تامة في طولها والتفافها – ومن أسباب الفقر السؤال عن ظهر غني قـــال ﷺ: «ما فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقـــر – ويروى: سبعين باباً من الفقر» وقال: «من سأل الناس على ظهر غنـــى فصداع في الرأس وداء في البطن» وقال: «من احتـــاج وكـــتم النـــاس وأفضى إلى الله كان حقاً على الله أن يفتح له برزق واسع من حيـــث لا

يحتسب» وقال: «من أصابته فاقة فأنزلها بالنـــاس لـــم يسـأل[1]، وإن أنزلها بالله أغناه» وقال عمر مكسبة فيها بعض الريبة خير من المســألة وقال معاذ: ينادي مناد يوم القيامة: أين بغضاء الله في أرضـــه؟ فيقـــوم سؤال المساجد، وقال بعضهم: لا تسألوا غير مولاكم، فسؤال العبد غيـــر سيده تشنيع على السيد، وقال ﷺ: «لا تحل المســألة إلا لثلاثـــة: رجـــل تحمل حمالة بين قوم، ورجل أصابته جائحة فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة مـــن ذوي الحجاء من قومه أن قد أصابته فاقة وأن قد حلت لـــه المســألة» ومـــا سوى ذلك من المسائل فهو سحت، ومنها الحرص وكثرة الطمع والرغبة في الدنيا، قال ﷺ: «الطمع فقر حاضر»، ويـــروى أن الله تعـــالى قـــال لموسى عليه السلام: أتريد أن لا تحتاج إلى الناس؟ قال: نعـــم، قـــال: لا تطمع في أموال الناس، وقال ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلـــوة، فمـــن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع» ويروي: «إن الدنيا حلوة، فمن أخـــذ عفوها بورك له فيها» وقال: «إن روح القدس نفث في روعي أن لـــن يموت عبد حتى يستكمل رزقه، فـــأجملوا فـــي الطلـــب، ولا يحملـــنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصـــيته، فإنـــه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته، ألا وإن لكل امرئ رزقاً هو يأتيه لا محالـــة فمن رضي به بورك له فيه فوسعه، ومن لم يرض به لم يبارك له فيـــه

---

(١) كذا بالأصل. اهـ. مصححه.

فلم يسعه، إن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله» وقال: «الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن» وقال: «إنك لا تدع شيئاً اتقاء لله إلا أعطاك الله خيراً منه» وقال: «ما ترك العبد شيئاً من الدنيا إلا أعطاه الله خيراً مما ترك» وقال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه» وقال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثر ما يبقى على ما يفنى» وقال: «خير المؤمنين القانع وشرهم الطامع» وقال: «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار، قالوا: يا رسول الله مصلين؟ قال: نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل، فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه» وقال: «تعس - أي: هلك - عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم وعبد الخميصة - بفتح الخاء، أي الجوعة - إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط» ويروى: لا تنظروا إلى صوم الرجل وصلاته ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشرف على الدنيا. من أكثر أسباب الفقر الذنوب والمعاصي كلها، وتقدم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] أي لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومن الحال الجميلة بكثرة المعاصي، وتقدم قوله ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه» وقال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم» أي: حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم. قال: «من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا وأقرب مما اتقى، ومن

طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منه ذاماً، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه» وقال: «من اعتز بالعبيد أذله الله» وقال: «يقول الله تعالى: أنا الملك، قلوب الملوك بيدي، فأي قوم أطاعوني جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة، وأي قوم عصوني جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة، وإذا رأيتم منهم ما تكرهون فلا تميلوا إليهم بالمعصية وتوبوا أعطف قلوبهم عليكم» وقال: «مسكين ابن آدم لو يخاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، لو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لوصل إليهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخافه في الظاهر لسعد في الدارين» فيا أيها المحب للسلامة سالم تسلم، ولا تضر مسلماً فتندم، كما تدين تدان، وكما تذم تذم وتهان، فأي مكروه أتاك أو أحد آذاك فبما كسبت يداك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] وقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] وقال ﷺ: «هي المصيبات في الدنيا» ويروى أن لباناً كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه، فجاء سيل فذهب بالغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً. فاعمل لله وللناس ما تحب أن يعمل لك تجد عملك، أ هـ. من "ابن شامة"، وفي "قوانين ابن جزي": الذنوب التي تجب منها التوبة نوعان: كبائر وصغائر، وتغفر الصغائر باجتناب الكبائر، وقد اختلف الناس في الفرق بينهما اختلافاً كثيراً، والأقرب إلى

الصواب أن الكبائر هي ما ورد النص على أنها كبائر ووعد عليها وعيد في القرآن والحديث، قال بعضهم: الكبائر سبع عشرة: في القلب أربع وهي: الإشراك والإصرار على الذنوب، والأمن من عذاب الله، واليأس من رحمة الله، وأربع في اللسان، وهي: السحر، والقذف، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وثلاث في البطن، وهي: شرب الخمر، وأكل الربا، ومال اليتيم، واثنتان في الفرج، وهما: الزنى، وفعل قوم لوط واثنتان في اليدين، وهما: القتل، وأخذ المال بغير حق، وواحدة في الرجلين، وهي: الفرار من القتال، وواحدة في جميع الجسد، وهي: عقوق الوالدين، (مسألة) النرد حرام بإجماع، وأما الشطرنج فإن كان بقمار أي رهن فهو حرام بإجماع وإن كان دونه فهو مكروه وفاقاً للشافعي، وقيل: حرام وفاقاً لأبي حنيفة، وقيل: يحرم إن أدمن عليه أو شغله عن الصلاة أو غيرها من أمور الدين، لو فُعِلَ على وجه يقدح في المروءة كلعبه مع الأوباش أي أخلاط الناس، أو على الطريق التي لاتنبغي بخلاف ما سوى ذلك، وتنقسم الذنوب أيضا قسمين: ذنوب بين الله تعالى وبين العبد، فإذا تاب منها توبة صحيحة غفر الله تعالى له، وذنوب بين العبد وبين الناس فلابد فيها مع التوبة من إنصاف المظلوم وإرضاء الخصوم، وهي أربعة أشياء: في الدماء والأبدان والأموال والأعراض، وتنقسم أيضاً قسمين: وقوع في المحرمات، وتفريط في الواجبات، ولا بد فيها من القضاء والاستدراك لما فات (مسألة) في مخالطة الرجال والنساء وفيها مسألتان «الأولى» في حكم النظر، وفيه أربعة أقسام: الأول نظر الرجل إلى المرأة، فإن كانت زوجته أو مملوكته جاز له أن ينظر إلى بدنها حتى

فرجها، وإن كانت ذات محرم جاز له رؤية وجهها وبدنها دون سائر جسدها على الأصح، وإن كانت سيدته جاز له أن يرى منها ما يرى ذو المحرم إلا أن يكون له منظر، فيكره أن يرى ماعدا وجهها، ولا يدخل الخصي على المرأة إلا أن يكون عبدها أو عبد زوجها، وإن كانت أجنبية جاز أن يرى الرجل من المتجالة الوجه والكفين، ولا يجوز أن يرى ذلك من الشابة إلا لعذر من شهادة أو معالجة أو خطبة. «الثاني» نظر المرأة إلي الرجل فإن كان زوجها أو سيدها جاز أن ترى منه كل ما يرى منها وإن كانت ذات محرم أو سيدته جاز أن ترى جسده كله إلا عورته، وإن كانت أجنبية فقيل: حكمها حكم الرجل مع ذوات محارمه وقيل: كنظر الرجل إلى الأجنبية، الثالث: نظر الرجل إلى الرجل، والرابع: نظر المرأة إلى المرأة، فيمنع النظر إلى العورة ويجوز ما سواها في الوجهين «الثانية» فيما زاد على النظر، أما الخلوة فلا يجوز أن يخلو رجل بامرأة ليست زوجته ولا ذات محرم منه، وأما المجالسة والمواكلة فلا يجوز مع من يمنع النظر إليه إلا لضرورة، ولا يجوز للمرأة أن تواكل عبدها إلا إذا كان وغداً دنيا يؤمن التلذذ بالنظر بخلاف من لا يؤمن منه ذلك، وأما المضاجعة فلا يجوز أن يجتمع رجل وامرأة غير زوجته أو مملوكته في مضجع واحد متجردين ولا غير متجردين، ولا يجوز أن يجتمع رجلان ولا امرأتان في مضجع واحد متجردتين وقد نهي عن المكالمة، وروى المكامعة: معناها المضاجعة، ويفرق بين الصبيان في المضاجع لسبع وقيل: لعشر. اهـ. من "القوانين" وفي "ابن شامة" اعلم أنه يحرم نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض ما لم يكن بينهم رحم من

نسب أو محرم من نسب كالرضاع ونحوه، قال الله تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** [النور:٣٠-٣١] وروي أن أم سلمة وميمونة - رضي الله عنهما - كانتا عند النبي ﷺ فاقبل ابن أم مكتوم شيخ كبير أعمى، فقال النبي ﷺ: **«قوما فاحتجبا عنه»** قالت أم سلمة: أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ قال: **«أعمياوتان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟»** وقال: **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة»** وقال: **«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»** إذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على المرأة الاحتجاب من الأجانب، ويحرم على الرجل النظر إلى شيء من المرأة الأجنبية ولو زوجة لأخيه، أو أختاً لزوجته، وكذا في حالة أمن الفتنة على الأصح وكذا نظر المرأة إلى الأجنبي حرام ولو جاراً لها أو زوجاً لأختها مالم يكن مَحْرماً قال ﷺ: **«إذا نظرت المرأة إلى غير زوجها نظرة شهوة سمر بين عينيها مسامير من نار ينظر إليها كل من حضر عرْصَةَ القيامة»** ويحرم أن يخلو رجل بأجنبية لقوله ﷺ: **«لا يخلو أحدكم بامرأة ليست منه بمحرم؛ فإن ثالثهما شيطان»** وقال: **«لا يبيتن أحدكم عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم»** وقال: **«من فاكه امرأة لم تحل له ولا يملكها أحبس بكل كلمة ألف عام في النار»** وقال: **«وإياكم والدخول على النساء، قيل: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»** قال أبو عبيد: الحمو أبو الزوج، وفي "القاموس": حمو المرأة وحموها وحماها وحمها وحمؤها أبو زوجها ومن كان من قِبَله، والأنثى حماة

وحمو الرجل أبو امرأته أو أخوها أو عمها أو الأحماء من قبلها خاصة وقوله "الموت" أي: فلتمت ولا تفعل ذلك، فإذا كان هذا في أبي الزوج وهو محرم، فكيف بالقريب ونحوه؟ ذكره الهروي، وقال قوله: الموت أي: لأن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البعداء، وجمع الحمو: أحماء، وهم قرابة الزوج، والأختان قرابة المرأة، والصهر يجمعهما ولا بأس أن يخلو رجل أو رجلان بنسوة ثقات أو امرأتين، ولا يجوز أن يخلو رجلان أو رجل بواحدة، ولا أن يخلو خنثى بخنثى، وأما ذوو المحارم من النسب والرضاع والمصاهرة وهم الذين لا يحل نكاح بعضهم بعضاً أبداً ومملوك المرأة يجوز لهم الخلوة والنظر إلى غير ما بين السرة والركبة وقت أمن الفتنة، وإلا فلا، والأصح ما تقدم عن "القوانين" وهو الورع، وكذا نظر المرأة إلى المرأة ونظر الرجل إلى الرجل ونظرهما إلى الأمة، ويجوز إلى غير ما بين السرة والركبة في جميع ذلك ويحرم أن يغتسل عرياناً بحضرة الناس، وكذا المرأة لا تغتسل عريانة بحضرة النساء ولو أمها وأخواتها وبناتها، وأما في الخلوة فيكره له الاغتسال عريانا إذ يجب ستر العروة في الخلوة على الأصح لأنه قيل له ﷺ: **«أفرأيت إذا كان الرجل خالياً؟ قال: فالله أحق أن يُستَحيَا منه»** وقال: **«إذا أتى الرجل أهله فليطرح على عجزه وعجزها شيئاً ولا يتجردان تجرد العريان»** وقال: **«ولا تخلع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر فيما بينها وبين ربها»** ووجدت في بعض الكتب أن كثرة نظر الشخص لعورته يورث المعاصي والزنى، وكثرة لمسه لها يورث الفقر وفي "ابن شامة" أيضاً: وكما يحرم النظر فاللمس أشد تحريماً

فيحرم مس شيء من الأجنبية ومس بطن أمه وأخته وظهرها، ولا يجوز أن يغمز ساق أمه ورجلها ولا أن يقبل وجهها، ولا بأس أن تفلي رأسه وأن تضفر ذوائبه وينام في حجرها ونحوه، ولا يجوز أن تغمزه بنته وأخته إلا أن يكون من وراء حائل صفيق، وهو ضد السخيف، ويحرم على الرجل ذلك في فخذ الرجل بلا حائل فإن كان فوق إزار جاز ما لم يخف فتنة. قال النووي: وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير الذكر والأنثى وأخيه وأخته وقبلة غير خدها من أطرافها على وجه الشفقة واللطف ومحبة القرابة فسنة مأثورة، وكذا قبلة ولد صديقه وغيره من الصغار والأطفال الذين لا يشتهون، وأما قبلة يد غيره ورجله فإن كان لزهده أو صلاحه أو علمه ونحوه فهو مستحب، وإن كان لغنائه أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه، وقيل: حرام، ولا بأس بتقبيل وجه صاحبه إذا قدم من سفره ونحوه ومعانقته ولا بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك وأما المعانقة وتقبيل الوجه لغير المذكورين فمكروهان، وهذا في غير الأمرد ذي الحسن، فأما هو فيحرم تقبيله بكل حال والنظر إليه على الأصح، قال النووي: والظاهر أن معانقته كتقبيله، وأما التقبيل بالشهوة فحرام على كل أحد غير الزوجين سواء الولد وغيره، بل النظر بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي، ويسن مصافحة الرجل الرجل والمرأة المرأة مع كل تلاق مع البشاشة والدعاء بالمغفرة ونحوها، قال ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»** رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما، وتكره مصافحة الأبرص ونحوه وتحرم مصافحة الأمرد الحسن، ولا يجوز أن يفضي في ثوب واحد

رجلان ولا امرأتان قال ﷺ: «لا يفضين رجل إلى رجل ولا امرأة إلى امرأة» إلا إلى والد أو ولد في الصغر أو زوج ويجوز بأسباب (أحدها) المداواة بقدر الحاجة (الثاني) إذا أراد أن يتزوجها نظر إلى الوجه والكفين لا غير (الثالث) في المعاملة المفتقرة إلى الشهادة عليها والتعريف لها للرجوع بالعهدة إلى غير ذلك مما تدعو إليه ضرورة المعاملة، فينظر الشاهد إلى الوجه لا غير (الرابع) المعلم للمتعلم ينظر بقدر الحاجة والضرورة ويجوز سماع صوتها والإصغاء إليها عند أمن الفتنة على الأصح، وإذا احتاجت إلى خطاب الأجنبي فليكن صوتها غليظاً لا رخيما، قال إبراهيم المروزدي: فتأخذ ظهر كفها بفيها وتجيب كذلك ويجوز لها أن تستفتي وتستشير الرجال، ويجوز النظر إلى كل صغيرة لا تشتهى، وإلى كل بدن الزوج أو الزوجة، والصبي إذا كان له شهوة كالبالغ فيجب الاجتناب منه ومن المجنون، ويلزم الولي أن يمنعه النظر في هذه الحالة كما يمنعه سائر المحرمات، ومن بلغ عشر سنين من ذكر أو أنثى وجب أن يفرق في المضاجع بينه وبين أمه وأبيه وأخته وأخيه؛ لقوله ﷺ: «وفرقوا بينهم في المضاجع» ويحرم سفر المرأة بلا زوج لها أو محرم أو نسوة ثقات واعلم - حفظنا الله وإياك - أن الأشياء تعرف بأضدادها كما تعرف بأجناسها وقد حسن عند البلغاء ذكر الأشياء مع أضدادها، قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [القصص:٧٣] وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر:١٩-٢٢] وإذا كان كذلك وقد علمت أسباب الفقر فلا بأس أن أذكر لك بعض أسباب الغنى

لعل الله يتفضل علينا وعليك بالغني به عن غيره، وبالعمل بما علمنا تركاً وفعلاً لننال كل خير، فمنْ ذلك ترك كل ما يؤدي للفقر لأنه ﷺ لما قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه» علم بالضد أن الرجل يرزق الرزق بذنب يتركه، ثم كذلك ومن أسباب الغنى وهو أعظمها: التقى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤] ومن ذلك صلة الرحم، قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليتق الله وليصل رحمه» وقال: «من أحب أن يمد له في عمره وأن يزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه» وقال: «من أحب أن يمد له في عمره ويبسط في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء ويستجاب له دعاؤه فليصل رحمه» ومن ذلك: الوضوء قبل الطعام، قال ﷺ: «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر، وبعده ينفي الهم ويذهب بالوسواس والجنون» وقال: «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع» والمراد بالوضوء هنا غسل اليدين لا غير، ومن ذلك الدعاء للوالدين فإنه يوسع الرزق كما أن تركه يضيق العيش، ومن ذلك التكبير، قال ﷺ «من استبطأ الرزق فليكثر من التكبير، ومن كثر همه وغمه فليكثر من الاستغفار» ومن ذلك الاستغفار قال ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» ويقال: لكل شيء حيلة، وحيلة الرزق الاستغفار، ويروى أن من استدام على أربعة آلاف وسبع وستين من الاستغفار ليلا أو نهاراً أو بينهما كثر الله الغيوث في الأرض التي

هو فيها وأمده الله بالأموال والبنين وأعطاه حظاً من النخل والحرث والأنهار، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢] ويروى أن من داوم على سبعين من الاستغفار وإحدى عشرة من "قل هو الله أحد" بأثر كل فريضة كثر الله عليه الرزق وأغناه عن خلقه. ويروى أن من لازم ألفاً من الاستغفار وقت السحر أغناه الله بفضله، ويروى أن من استدام ثلاثمائة من البسملة عند طلوع الشمس، ومائة من الصلاة على النبي ﷺ، أو مائتين كثر الله عليه الرزق، ولا يحول عليه الحول حتى يغنيه الله، وقال ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه الفاقة» وقال: «سورة الواقعة سورة الغنى فاقرءوها وعلموها أولادكم» من "كنوز الأولياء": قراءتها بعد عصر يوم الجمعة أربع عشرة مرة، ويتبعونها بأسماء الله التسعة والتسعين ذلك العدد، وهذا مجرب لسعة الرزق وإدرار الخير ويقال لسورة القدر "كنز الفقراء" وذلك لأن قراءتها تبسط الرزق وتكثره كما يبسط رزق من عنده كنز وهو ينفق منه، وقراءتها لذلك أربعين وإلا فما تيسر، ووجدت في أكثر من أربعين كتاباً أن من قال: "لا إله إلا الله الملك الحق المبين" كل يوم مائة مرة أغناه، وقال الإمام السيوطي: وجدت في مجموع: مَنْ كَتَبَ يوم الجمعة بعد الصلاة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠] وجعلها في بيته أو حانوته يكثر الله خيره ورزقه، ومن تلا يا غني "كل يوم ألف مرة أغناه، وكذلك "يا مغني" من تلاه كل يوم

ألفاً أغناه الله ومن تلاه كل ليلة ألفاً ومائة وأحد عشر لا تصفر يده ولو ترك الأسباب كلها، ومن داوم على ألف من "لا إله إلا الله" كل يوم يسر الله رزقه وأغناه عن خلقه، ومن داوم على ألف من "ياحي يا قيوم" أغناه الله؛ ومن شر خلقه كفاه، وحببه إلى كل من رآه، ووجدت بخط أبي وشيخي شيخنا الشيخ محمد فاضل - رضي الله عنه - أن ورد القادرية لا يستديمه أحد إلا كفاه الله أمر آخرته ودنياه، وعن جميع خلقه أغناه وأن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة، وهو: مائتان من "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ومائتان من "أستغفر الله العظيم"، ومائة من "لا إله إلا الله الملك الحق المبين"، ومائة من "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد" بأثر كل فريضة، ومن أراد الغنى وسعة الرزق فليقرأ الفاتحة في كل يوم بعد كل صلاة من الصلوات المفروضة ثمان عشرة مرة، وبعد صلاة العشاء ثمان وعشرين مرة، ولها رواية أخرى يقال لها: ورد السعادة يقال: إنه لا يستديم عليه أحد إلا نال سعادة الدارين ورزق رزقاً واسعاً، وهو: ثلاثون بعد الصبح، وخمسة وعشرون بعد الظهر وعشرون بعد العصر، وخمسة عشر بعد المغرب، وعشرة بعد العشاء ومن كانت له حاجة فليقرأها - أعني فاتحة الكتاب - أربعين مرة بعد صلاة المغرب حتى يتم القراءة قبل أن يقوم من مقامه فإن حاجته تقضى لا محالة. واعلم أن آيات اللطف في القرآن سبع، وما استدامهن أحد إلا نال سر اللطف ورزقه الله رزقاً واسعاً، واحدة في الأنعام: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] والثانية في يوسف ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

[يوسف:١٠٠] والثالثة في الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣] والرابعة في لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦] والخامسة في الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤] والسادسة في الشورى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩] والسابعة في الملك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] وهذه فائدة لفهم العلم وكثرة للمال وسعة الرزق مروية عن الشيخ جلال الدين السيوطي، وهي: من قال: "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه" ثلاث مرات كل يوم بعد صلاة الصبح كان له ذلك وجرب ذلك مراراً وصح، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ وأصحابه والتحفظ من اتباع ذي الأوزار واقترابه، ولذلك قلت في البيت المشروح:

وزان رق رق أزوال ودار   ران و أوزار ذوي ذل أدار

ثم قلت – غفر الله لي:

وأب أو لم إذا ذل أخ   رأوه آض آل دفء أوخ

(اللغة) (أب) أصل الأب أبو محركة، والأبا لغة في الأب، جمعه آباء وأبون وأبوت وأبيت: صرت له أباً، وأبوته إباوة بالكسرة: صرت له

أبا، والاسم الأبوة وتأباه: اتخذه أباً، وقالوا في النداء: يا أبت بكسر التاء وفتحها، والتاء فيها عوض من ياء الإضافة ولا يقال: يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه، وقيل يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء وشبه ذلك سيبويه بأنيق، وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة، ويا أبه بالهاء، ويا أبتاه، يا أباه، ولأب لك، ولا أبا لك ولا أباك ولا أبك ولا أب لك، كل ذلك دعاء في المعنى لا محالة وفي اللفظ خبر يقال لمن له أب ولمن لا أب له، وأبو المرأة زوجها، والأبو الأبوة، وأبيته تأبيه قلت له بأبي، والأب: الجد، والعم قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة:١٣٣] إسماعيل عم والآخران جدان، وقال تعالى: حاكياً عن يوسف: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨] وكما أن العم أب فكذلك الخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الإخوة لا تفاوت بينهما، ومنه قوله عليه السلام: «عم الرجل صنو أبيه» أي: لاتفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة أي فرعيها الكائنين في أصل واحد، والصنو يقال للأخ الشقيق والابن والعم، جمعه أصناء وصنوان، وهي بهاء، والنخلتان، فما زاد في الأصل الواحد كل واحد منهما صنو، ويضم، أو عام في جميع الشجر وهما صنوان وصنيان مثلثين، وقال عليه السلام في العباس: «هذا بقية آبائي» وقال: «ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» (أو) حرف عطف وللشك والتخيير والإبهام ومطلق الجمع والتقسيم والتقريب ما أدري أسلم أو ودع، وبمعنى

إلى. وينصب المضارع بعدها بأن مضمرة نحو لألزمنك أو تقضيني حقي، وللإباحة، وبمعنى إلا في الاستفهام، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار أن كقوله: لأقتلنه أو يسلم، ومنه قول الشاعر:

وكنت إذا غمزت قناة قوم   كسرت كعو بها أو تستقيما

قوله: غمزت أي: عصرت، والقناة هي ما يجعل سن الرمح فيه وهي كالقصب الفارسي والكعوب الناتئة في الأنابيب، أي: كنت إذا مسكت قناة كسرت منها ما ارتفع من أنابيبها إلا أن تستقيم أي تكون مستقيمة فلا أكسرها، وفي هذا استعارة تمثيلية، شبه حاله إذا أخذ في إصلاح قوم اتصفوا بالفساد فلا يكف عن حسم المواد التي نشأ عنها فسادهم إلا أن يحصل صلاحهم بحاله إذا غمز قناة معوجة حيث يكسر ما ارتفع من أطراف أنابيبها ارتفاعا يمنع من اعتداله، ولا يفارق ذلك إلا أن تستقيم. وإنما كان ليس المراد بها حقيقته لأنه بالنظر لظاهره لا فائدة فيه ولا افتخار بخلاف لو جعل مجازا عما ذكر. قاله الدسوقي على "مغني اللبيب" وتجيء شرطية نحو: لأضربنه عاش أو مات، وللتبعيض نحو ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١٣٥] وبمعنى بل، وبمعنى حتى، وبمعنى إذا، وإذا جعلتها اسما ثقلت الواو ويقال: دع إلا وجانبا (أم) الأم - وقد تكسر - الوالدة وامرأة الرجل المسنة والمسكن وخادم القوم ويقال للأم: الأمة والأمهة، جمعه أمات وأمهات أو هذه لمن يعقل وأمات لمن لا يعقل، وأم كل شيء: أصله وعماده، وللقوم: رئيسهم، ومن القرآن: الفاتحة أو كل آية محكمة من آيات الشرائع والأحكام والفرائض

وللنجوم: المجدة، وللرأس: الدماغ أو الجلدة الرقيقة التي عليها، وللرمح: اللواء، وللتنائف: المفازة، وللبيض: النعامة وكل شيء انضمت إليه أشياء، وأم القرى: مكة، لأنها توسطت الأرض فيما زعموا، أو لأنها قبلة الناس يؤمونها، أو لأنها أعظم القرى شأناً، وأم الكتاب: أصله أو اللوح المحفوظ أو الفاتحة أو القرآن جميعه، ولا أم لك ربما وضع للمدح ويقال للمستجاد، ويلمه أي: ويل لأمه كقولهم: لا أب فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد، ثم لحقته الهاء مبالغة كداهية (لغز) يقال أم لم تخلق، وأم لم تأكل وأم لم تولد، وأم لم تتزوج، وأم لم تلد، الجواب: أم لم تخلق هي الفاتحة التي هي أم القرآن؛ لأن القرآن ليس بمخلوق، وأم لم تأكل هي مكة، وأم لم تولد هي أمنا حواء؛ لأنها من ضلع آدم، وأم لم تتزوج هي أم عيسى مريم عليهما السلام، وأم لم تلد هي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها (إذا) تقدم كلام مغنى اللبيب فيها في البيت الثاني، وفي "القاموس": إذا تكون للمفاجأة، فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال كخرجت فإذا الأسد بالباب ومنه: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه:٢٠] وهي عند الأخفش حرف، المبرد ظرف مكان، الزجاج ظرف زمان تدل على زمان مستقبل وتجيء للماضي ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة:١١] وللحال وذلك بعد القسم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل:١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم:١] وناصبها شرطها أو ما في جوابها من فعل أو شبهه و"إذ" لما مضى من الزمان، وقد تكون للمفاجأة وهي التي تكون بعد بينا وبينما (ذل) هان فهو ذليل، وتقدم الكلام على الذل في البيت الذي قبل هذا (أخ) الأخ والأخّ مشددة، والأخوا

والأخا والأخو كدلو من النسب معروف والصديق والصاحب، جمعه أخون وإخاء وإخوان بالكسر وأخوان بالضم وإخوة وأخوة بالضم، وأخوّة واخوّ مشددين مضمومين، والأخت للأنثى، والتاء ليست لتأنيث، جمعه أخوات، وما كنت أخا ولقد أخوت أخوة وآخايت وتأخيت وآخاه مواخاة وأخا وإخاوة ووخاء وواخاه ضعيفة وتأخيت الشيء تحريته وأخا اتخذته أو دعوته أخا ولا أخالك بفلان ليس لك بأخ، وتركته بأخ الخير بشر وأخيان كعليان جبلان (رأوه) أي أبصروه أو اعتقدوه، وتقدم الكلام على الرؤية والرأي عند البيت الثاني فراجعه (آض) الأيض: العود إلى الشيء أض ينيض وصيرورة الشيء غيره وتحويله من حاله والرجوع، وآض كذا صار وفعل ذلك أيضاً إذا فعله معاوداً فاستعير لمعنى الصيرورة (آل) أي أهل وتقدم الكلام عليه عند قوله ذاك رأوه آل دل (دفء) الدفء بالكسر نتاج الإبل وأوبارها والانتفاع بها، والعطية وهو المراد في النظم ومن الحائط كنه وما أدفأ من الأصواف والأوبار وأدفأه أعطاه كثيراً والقوم: اجتمعوا قال في "عجالة الراكب": الدفء "بالكسر ويحرك": الذي يستدفأ به، قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل:٥] أي ما يستدفئون به من الأكسية والأردية من أصوافها وأوبارها وأشعارها (أوّخ) التأوّخ: القصد. (الإعراب) أب مبتدأ، أو أم عطف، إذا ظرف ذل فعل ماض، أخ فاعله، رأوه فعل وفاعله ومفعوله، والجملة خبر المبتدأ أض فعل ماض يريد اسمه وخبره، اسمه ضمير مستتر يرجع إلى أخ وآل خبره، ودفء مضاف إليه، والجملة في محل مفعول رأى الثاني وأوخ فعل ماض، وفاعله ضمير يرجع إلى الأب وما عطف عليه.

المعنى: يعني أن الأب والأم والمراد الجنس إذا ذل أي هان وضعف أخ ابن لهما رأوه أي أبصروه واعتقدوه (أض) أي صار أهلا للعطية وقصدوه بها ولم يظهروا فيه الشماتة. اعلم - حفظنا الله وإياك - أن هذا البيت تكلم على أحد الأمور التي وضع النظم لها، وهي عدم إظهار الشماتة لمن مسه الدهر بالتنكب، قال ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك**» أخرجه "الجامع الصغير" (تنبيهات) الأول: اعلم أن كل من كان مقدماً على قوم في الأرض أمر فهو لهم بمنزلة الأب، قال تعالى: ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج:٧٨] قوله: ملة أي: أعنى وأخص ملة أبيكم الحقيقي إبراهيم التي هي التوحيد المحض، ومعنى أبوته كونه مقدماً في التوحيد، مفيضاً على كل موحد، فكلهم من أولاده، قاله في "تفسير محي الدين بن عربي" وفي "الكشاف": فإن قلت: لم يكن إبراهيم أباً للأمة كلها قلت: هو أبو رسول الله ﷺ، فكان أباً لأمته، لأن أمة الرسول في حكم أولادة، وفيه نصب الملة بمضمون ما تقدمها، كأن قيل: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أو على الاختصاص، أي: أعنى بالدين ملة أبيكم، كقولك: الحمد لله الحميد، قلت: والذي تقدمها هو قوله: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج:٧٨] وذلك لأنه تعالى فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات أو الديات والأروش، ونحوه قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة:١٨٥] وأمة محمد ﷺ هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة قاله في "الكشاف"، قوله: اليسر، اعلم أن اليسر في اللغة معناه السهولة، ومنه يقال للغنى والسعة:

اليسار؛ لأنه يسهل به الأمور، واليد اليسرى قيل تلي الفعال باليمر وقيل: إنه يتسهل الأمر بمعاونتها اليمين. الثاني: اعلم أن الأم كالأب فيما تقدم بمعنى أن كل من تقدم على قوم في أمر يقال له أهم، وبذلك يقال لرئيس القوم أهم، ولما كان ﷺ أبا للأمة صارت أزواجه أمهاتهم في التحريم، ومحافظة الحرمة مراعاة لجانب الحقيقة، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] قال في "الكشاف" أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم، ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر عليه من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وفي قراءة ابن مسعود: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم، وقال مجاهد: كل نبي فهو أبو أمته، ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين، وأزواجه أمهاتهم: تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٥٣] وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات، ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - لسنا أمهات النساء، تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم، والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن، وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات، والثالث: اعلم أن كل من كانت بينهم مناسبة أو اشتراك في أمر فقد تطلق عليهم الإخوة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] وذلك تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم من

المشاقة من المؤمنين، وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها ولم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها، ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولادة لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول مشياً بالصلح وبثاً للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهن من الوفاق من رقعة وما استشق من الوصال من يبهله، فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه؛ وعن النبي ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره، ثم قال: احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل»** قاله "الكشاف" وقال: فإن قلت: فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع؟ قلت: لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالآخرين الأوس والخزرج، وقرئ: بين إخوتكم وإخوانكم، والمعنى: ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك متمحصون، قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية وأبى لطف ما لهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه، قال محيي الدين: فوجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للأخوة الحقيقية الإصلاح بينهما وإعادتهما إلى الصفاء، واعلم أن الناظم حثك على إكرام الإخوان بالعطية؛ لأن العطية تكثر الإخوان واتخاذ الإخوان ممدوح شرعاً وعقلاً وعادةً، وقد عقد لاتخاذهم صاحب

"غرر الخصائص الواضحة" باباً فيه ثلاثة فصول أفاد فيها وأجاد، الأول في مدح اتخاذ الإخوان؛ فإنهم العدد والأعوان، قال الله تعالى حكايةً عن الكفار وهم في دركات النار منْ طلبهم الإعانة من الصديق على ما مسهم من عذاب الحريق: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] وقال ﷺ: «**أكثروا من الإخوان فإن الله حيي كريم يستحي أن يعذب أحداً بين إخوانه**» وقال علي – رضي الله عنه: المرء كثير بأخيه، وقال أيضاً: عليكم بإخوان الصدق؛ فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء، قال زياد: خيار ما اكتسب المرء الإخوان؛ فإنهم معونة على حوادث الزمان، وشركاء في الضراء والسراء، ولعلي - رضي الله عنه -:

عليكم بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب وإنّ عدواً واحداً لكثير

وقال المغيرة بن شعبة: التارك للإخوان متروك، ويقال: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين، قال الشاعر:

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف المعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

وقالوا: من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والحرمان، وقالوا: لتخاذ الإخوان مسلاة للأحزان، وقالوا: مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين، وقال الثعالبي: للحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين، وقالوا: الصديق ثاني النفس وثالثة العينين، وقالوا: في

لقاء الإخوان روح الجنان وراحته الجنان وقالوا: لا فاكهة أطيب من مفاكهة الإخوان، ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان، وقالوا: الأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير، فمما يعتمد من شرائط الإخاء والمودة رعاية الأخ أخاه في الرخاء والشدة، قال الثعالبي: ينبغي أن يكون الصديق لصديقه أسمع من خادم وأطوع من خاتم، وقيل لابن السماك - واسمه محمد بن صبيح - أي الإخوان أخلق ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينه الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه دعاك وإن بعدت منه راعاك، لا يقبضه عنك يسره وإن قطعه عنك عسره، إن استغنته عضدك وإن احتجت إليه رفدك، ويكون مودة فعله أكثر من مودة قوله، يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه، وقال جعفر الصادق: للصداقة خمسة شروط فمن كانت فيه فانسبوه إليها، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها، وهو أن يكون زين صديقه زينه، وسريرته له كعلانيته، وأن لا يغيره عليه مال، وأن يراه أهلاً لجميع مودته، ولا يسلمه عند النكبات. قال الشاعر:

أحب من الإخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف عن عثرات

يوافقني في كل أمر أريده ... ويحفظني حياً وبعد مماتي

ومن لي به ياليت أني وجدته ... أقاسمه مالي مع الحسنات

وقال آخر:

مودته تدوم لكل هول ... وهل كلٌ مودته تدوم

وهذا البيت يقرأ مقلوباً ولا يتغير، وقال أعرابي: اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه، وقال آخر: لصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أصابتك خصاصة مانك[1]، وإذا رأى منك حسنة عدها، وإذا عثر على سيئة سدها، لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه، قال أبو نصر الميكائيلي:

أخوك من إن كنت في نعمى وبؤسى عاد لك

وإن بداك منعما بالبر منه عاد لك

وقال آخر:

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وقال الثعالبي: صديقك من يرضى خُلتك، ويسد خلتك، وقال الحجاج لابن القرية: ما الكرم؟ قال: صدق الإخاء في الشدة والرخاء ويقال: صديقك من ساعفك في أطوارك، وقدم سعيه في قضاء أوطارك قال أبو تمام:

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان للحلم رد جوابه

وإذا صبوت إلى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي إلى الحديث بطرفه وبقلبه ولعله أدرى به

---

(١) هكذا بالأصل.

وقال الخليل بن أحمد: يجب على الصديق استعمال أربع خصال: الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة ومخرج العذر قبل العتب، وقالوا: الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت، ومن الشعر قول أحدهم:

إذا شئت أن تدعى كريماً مهذباً ... حليما صديقاً ماجداً فطناً حرا

إذا ما بدت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقالوا: لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء، وقالوا: اجعل حسنات أخيك لك محسوبة، وسيئاته إلى الزمان منسوبة، وقالوا: من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً، ولعدو عدوه عدواً، وقالوا: ليس من الحب أن تحب ما يبغض صديقك، قال الشاعر:

وليس يكون المرء سلم صديقه ... إذا لم يكن حرب العدو المخالفا

وكان أحمد بن أبي داود إذا رأى صديقه مصافياً لعدوه قتل صديقه، وقالوا: يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم: ظلم الغضب، وظلم الدلال، وظلم الهفوة، وقالوا: إذا صح الود سقطت شروط الأدب، ويقال: إذا صح الاعتقاد بطل الانتقاد، وقال المأمون: أحب الإخوان إليّ من يكفيني مؤنة التحفظ، ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفع العتاب واجتناب الترقيع، قال عيسى عليه السلام: الصبر على عدو يعيب فيه خير من أخ تستأنف مودته، وقيل: من عاتب في كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه، ويقال: الأعتاب داعية الاجتناب، وقالوا: عتاب

الأحباب داعية للهجر والسباب، ويقال: العتاب أكد دواعي القطيعة بين الأحباب، قال الشاعر في هذا المعنى:

لولا كراهية العتاب وأنني أخشى القطيعة إن ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم ملو يمر على القطيم لشابا

ويقال: إذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة، وقال أبو بكر الخوارزمي: لاخير في حب لا يحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه قال الشاعر :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

وقال غيره:

إن بعض العتاب يدعو إلى الهجر ويؤذي به المحب الحبيبا
وإذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال غيره:

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تُذْكَى وإن الحرب أولها الكلام

ومنهم من استحسن عتاب الأصحاب، فربما كان حضاً على اكتساب المحاب، وقالوا: معاتبة الأخ خير من فقده، فلعلها تكون سبباً إلى إصلاحه ورشده، وقالوا: ترك المعاتبة من علامات الإهمال والتواطؤ على منهيات الأعمال، وقالوا: شر الأصحاب من لم ينجع فيه العتاب وقال علي – رضي الله عنه: عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره

بالأفضال عليه، وقال علي بن عبيدة الريحاني: العتاب حدائق الأحباب وثمار الأوداء ودليل الظن وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق، وقالوا: العتاب يداوي القلوب ويترجم عن خفيات العيون. وما أحسن قول من قال:

توافق عاشقان على ارتقاب	أرادا للوصل من بعد اجتناب
فلا هذا يمل عتاب هذا	ولا هذا يمل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر	ولا شيء ألذ من العتاب

وقال غيره:

أعاتب من أهواه في كل حالة	ليجتنب الأمر الذي معه الذنب
فإني أرى التأديب عند خروجه	بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب

وينبغي للفطن اللبيب ألا يوغل في معاتبة الحبيب، فافهم.

وقالوا: للجواد إذا ضرب في غير وقته كبا، والحسام إذا استكره نبا ويقال: العتب على الأحباب ينفر وحشات الخواطر والألباب، وليقتد الأخ في مصاحبة أخيه بقول هذا القائل:

صاف الصديق وصافه صفو الصفا	ولخصص صديقك بالصداقة تخصص

ومدح أعرابي صديقاً له فقال: مجالسته غنيمة، وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة، هو كالمسك أن بعته نفق، وأن تركته عبق، وقيل: من استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته، وقال شاعر يصف أخاه:

أخ وأب وابـــن أم شـــفيقة يفرق في الأصحاب ما هو جامعه
سلوت به عن كل من كان قبله وأذهلني عن كل ما هــو تابعــه

ووصف المأمون ثمامة بن أسرس فقال: إنه يتصرف مع القلــوب تصرف السحاب مع الجنوب، ولقد أحسن شاعر في وصفه لصديقه:

موافق لســبيل الرشــد متبــع بزينـــة كلمـــا يـــأتي ويجتنـــب
لـــه خلائـــق بـــيض لا يغيرهـــا صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

ويقال: فلان عشرته ألطف من نسيم الشمال على صفحات المـــاء الزلال، وألصق بالقلب من علائق الحب، والثاني فيما يثمر بـــه غـــرس المحبة من شرائع العوائد المستحبة فما يجب منها علـــى الجلـــيس فـــي مصاحبة الرئيس ما أدب به العباس بن عبد المطلـــب ولـــده عبـــد الله - رضي الله عنهما - فإنه قال له: إني أرى أمير المؤمنين - يعني: عمـــر بن الخطاب - يستخليك ويستشيرك ويدنيك على الأكابر من الصـــحابة، وإني أوصيك بخلال ثلاث: لا تفشين له سراً، ولا يجربن عليك كذباً، ولا تغتابن عنده أحداً، قال الشعبي: قلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف قال: أي والله، ومن عشرة آلاف، ويقال: ثلاثة تـــورث المحبـــة: الأدب والتواضع والدين، ومما يجب أيضا على مُجالس الرئيس أن يبدأ بالسلام إذا دخل عليه، وأن ينظر بعين الإكبار إليه، وأن يجلس حيث انتهى بـــه المجلس حتى يدنيه؛ فإن في ذلك تبجيلاً لقدره وتأثيلا لتحسين ذكره، ومن آدابه قلة الخلاف، والمعاملة بالإنصاف، وترك الجـــواب عـــن فـــاحش الخطاب، وستر العيب وحفظ الغيب، وأن يحســـن الحـــديث إذا حُـــدِّث

ويحسن الاستماع إذا حُدِّث، وفي بعض الحكم: الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك إلى غيره، قال شاعر بني العباس:

إذا لم يخش سوء استماعهم   وإن حدثوا أبدوا بحسن بيان

وقالوا: إذا كلمك رئيسك فأصغ إليه بسمعك، وأقبل عليه بوجهك ووكل بشفتيه ناظرك، واشغل بحديثه خاطرك، واسمعه سماع مستبشر به، مستظرف له، وإن أحكمته علماً وأتقنته فهماً، ولتكن حرمة مجلسه إذا غاب كحرمته إذا حضر، حُكي أن زياداً ليم على استشارة حارثه ابن زيد، فقال: كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء ولا الرواح في صيف، ولا سألته عن شيء من العلوم إلا حسبت أنه لا يحسن غيره. ويقال: من عرف نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه، وقال بعض الملوك لوزيره: لا تساعدني على شيء يقبح وإن لج بي الغضب، وقيل: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، ويقال: حسن الاستماع أحسن من حسن القول، ويجب على الرئيس في معاشرة الجليس ما يقال: إن لكل قادم دهشة فابدءوه بالسلام، ولكل طاعم وحشة فابدءوه باليمين، وقال - أنس رضي الله عنه: ما بسط رسول الله ﷺ ركبتيه بين يدي جليس قط، ولا جلس إليه رجل فقام من عنده حتى يكون هو الذي يقوم، ولا صافحه أحد قط فأخذ يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يأخذ

يده منه، ولا رأيته قام عن أحد من جلسائه فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وقال ﷺ: «للمسلم على المسلم ست، قيل: فما هن يارسول الله؟ قال: **إذا لقيه يسلم عليه، وإذا دعاه يجيبه، وإذا عطس فحمد الله تعالى شمته، وإذا مرض عاده، وإذا مات شيعه، ويحب له ما يحب لنفسه**» وقال سعيد بن العاصي: لجليسي عليّ ثلاث خصال: إذا أتي رحبت به، وإذا جلس وسّعت له، وإذا حدث أقبلت عليه. وقال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه: ثلاث تُثبتُ لك المحبة في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه وقال حكيم: ثلاث تسر العين: المرأة الموافقة، والولد الأديب، والأخ الودود، وقال يحيى بن خالد لولده جعفر: يا بني إذا حدثك جليسك فأقبل إليه وأصغ له، ولا تقل: قد سمعناه وإن كنت أحفظ له حتى كأنك لم تسمعه إلا منه؛ فإن ذلك مما يكسب المحبة والميل إليك، وأن لا تستخدمه إذا جلس لمؤانستك، فقد حكى أن هشاماً كان يعتم فقام إليه بعض قومه ليسوي عمامته، فقال له: مه إنا لا نتخذ الإخوان خولاً - أي عبيداً - وقام عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج لجلسائه، فقال أحدهم: ألا أمرتني يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك؟ فقال: ليس من المروءة أن يستخدم الرجل جليسه، قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر. ومما يثني عطف الصديق إلى التآلف زيارته من غير انقطاع وأن لا يخلف، قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**» ومن أحسن ما يقال: امش ميلا عد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثا وزر أخاً، وقالوا: المودة

جسم وروحها الزيارة وقالوا: المحبة شجرة وثمرتها المقة، وأصلها الزيارة، وعلى الزائر في الزيارة الإغباب فإنها تؤمن من تجافي الأحباب، وقال ﷺ: «زر غباً تزدد حباً» وقالوا: ربما كان التقالي في كثرة التلاقي، وما أحسن قول بعضهم:

عليك بإغباب الزيارة إنها إذا كثرت صارت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وقالوا: قلة الزيارة أمان من الملامة، وقالوا: كثرة التعاهد سبب التباعد، ومن أحسن ما أوجبه الوداد وافترض: عيادة الأخ أخاه في حالة المرض، حكي أن المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس نصف النهار، فقال له المسور: يا ابن عباس هلا كانت ساعة غير هذه؟ فقال ابن عباس: إن أحب الساعات إليّ ساعة أؤدى فيها حقاً لصديق، وكتب الفتح بن خاقان يتوجع من رمد إلى المتوكل:

عيناي أحمل من عيناك للرمد فاسلم وقيت الردى في آخر الأبد

من ضن عنك بعينيه ومهجته فلا أُرِي الخير في مال ولا ولد

ويجب على الظريف في عيادة المريض تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام، ويقال: جِلْسَة العيادة جَلْسَة، وقالوا: التخفيف عادة في العيادة؛ فإن المريض - كما قال عمرو بن العلاء وقد عاده أصحابه في مرض ألم به فأبطأ عنده رجل منهم فقال له: ما يبطئك؟ قال: أريد أن أسامرك، قال: أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعني أنام. والله أسأل أن يسوق إلى أهل العافية الشكر وإلى أهل البلاء

الصبر. ومن آدابها الإغباب فإنه قد جاء عن رسول الله ﷺ: «أغبوا في عيادة المريض وأربعوا إلا أن يكون مغلوباً» وحكى مسلمة قال: دخلت على الفراء أعوده، فأطلت وألحفت في السؤال، فقال لي: ادنُ مني، فلما دنوت أنشدني:

حق العيادة يوم بين يومين ووقتها مثل لحظ الطرف بالعين
لا تبرمن مريضا في مساءلة يكفيك من ذاك تسأله بحرفين

ومما يورد من المودة أصفى الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد. قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء» وقال ﷺ: «تهادوا؛ فإن الهدية تذهب وغر الصدور» وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها وقال: «لو أهدي إليّ كراع لقبلت، ولو دعيت إليه لأجبت» وقالت عائشة - رضي الله عنها: اللطفة عطفة تزرع في القلوب المحبة والألفة وفي الأثر: الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر، وفي "راموز الحديث": «تهادوا تزدادوا حباً، وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً، وأقيلوا الكرام عثراتهم»، وفيه: «تهادوا فإن الهدية تضعف الحب، وتذهب بغوائل الصدور» وفيه: «الهدية تعور عين الحليم» وفيه: «الهدية رزق من الله طيب، فإذا أهدي إلى أحدكم فليقبلها وليعط خيراً منها» وفيه: «الهدية رزق من الله، فمن قبلها فإنما يقبلها من الله، ومن يردها فإنما يردها على الله» وفيه: «الهدية تذهب بالسمع والقلب» وفي "الجامع الصغير: «تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغل عنكم» وفيه: «تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة في أرزاقكم»، وفيه: «تهادوا فإن الهدية

تذهب السخيمة، ولو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدى إليَّ كراع لقبلت» وفيه: «تهادوا، إن الهدية تذهب وغر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرس شاة» وغر الصدور غشه ووسواسه وقيل: العداوة، وقيل: الحقد والبغض، وقيل: أشد البغض، وقال الشاعر:

ترى للهدايا لها الأبواب ضاحكةً   تبدي السرور إذا ما جاءها الطبق
وللبعيد سرور عند طلعتها   كل إلى القوم في بشراه يعتبق
وبالهدايا تضاد الناس من بعد   هي النواة لمن في دينه حرق

ومن أمثالهم: إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجراً، وقال الحافظ: ما استعطف السلطان ولا استُرْضيَ الغضبان ولا أزيلت المخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا، وقالوا: في نشر المهاداة طي المعاداة وقال ضياء الدين بن الأثير في رسالة له بذكر الهدية: الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان وتدخل على القلوب من غير استئذان وبهدية المرء يستدل على عقله، كما ذكر أن رجلاً أهدى إلى قتادة نعلاً رقيقة فجعل يزنها بيده ليعرف قدر الرجل في سخف هديته، وفي تحفة الأريب ثلاث تدل على عقول أربابها: الرسول والكتاب والهدية، قال الشاعر:

العقل أسما ما سمي به امرؤ في أهله   وفي هداياه يرى وكتبه ورسله

فلينتخب جميعها، فهي دليل عقله، وفيه ثلاث هي جماع للمروءة: عطاء من غير مسألة، ووفاء من غير عهد، وجُود مع إقلال، قال الشاعر:

مـــروءة المـــرء الوفــا فــي قولــه مــع الفعــال
والجــود فــي الإقــلال والـــ ـــإعطاء مــن غيــر ســؤال

اللهم إلا أن يهدي شيئاً حقيراً فيصير د بالاعتــذار عنــده شــريفاً خطيراً كما قال أبو العتاهية – فإنه أهدى إلى الفضل بن الربيــع نعــلاً وكتب معها:

نعــلا بعثــت بهــا لتلبســها قــدم بهـا يسـعى إلــى المجـد
لو كــان يحســن أن أشــركها جلــدي جعلــت شــراكها خــدى

وأهدى ابن حنظل الأهوازى إلى ابن حجر يوم نيروز طبقاً فيــه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه:

قل لابن حجر ذي السماح الحضرمي لازلــت كــالورد كثيــر المبســم
ونافــذاً مثــل نفــاذ الأســهم في عــز دينــار ونجــح درهــم

وقال بعضهم: من امتنع من إهداء القليل لجلالــة المهــدي إليــه انقطعت سبيل المودة بينه وبين إخوانه ولزمه الجفاء من حيــث الــتمس الإخفاء، قال أبو العتاهية:

هدايا النــاس بعضــهمْ لــبعض تولــد فــي قلــوبهمْ الوصــالا
وتزرع في القلوب هــوى ووداً وتكســوهم إذا حضــروا جمــالا

ومن واجبات شيم الأحرار حفظ ما أودعوا من الأسرار وكتمــان السر مما يجب على الإخوان أن يأخذوا به أنفسهم فيرضوا به طبــاعهم

لما فيه من الفضل وتمام المروءة والعقل، حكي أن رجلاً أراد صحبة إنسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده:

كريم يميت السر حتى كأنه إذا استنطقوه عن حديثك جاهله
ويبدي لكم حبا شديداً وهيبة وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال: مثل هذا ينبغي أن يناط بمحبة القلوب، ويطلع على خفيات السرائر والعيوب، وأسرّ رجل إلى رجل حديثاً فلما فرغ منه قال: حفظته؟ قال: بل نسيته، ويقال: أدنى أخلاق الكريم في السر كتمانه وأعلاها نسيانه، وقيل لعمر بن أبي ربيعة: كيف كتمانك للسر؟ قال: أجعله عوضاً من قلبي وشعبة من نفسي، فيكون خروجه بخروجه، وقيل لأعرابي: صدور الأحرار قبور الأسرار، وقال الشاعر:

ولها سرائر في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيه

وقيل لبعضهم: كيف كتمانك للسر؟ قال: أكتم الخبر وأحلف للمستخبر، وما أحسن قول المرتضى وقد سأل الصابي كيف كتمانك للسر في محاورة جرت بينهما:

وليس صديق بين جنبي معقل مداه على المستنطقين طويل
إذا ألقحت اذني به من لسانه فليس عليها للمخاض سبيل

وقال الثعالبي: من لقي صديقه الذي يفضي إليه بسره، فقد لقي السرور بأسره، وخرج من عقال للهم وأسره، وقال سلم اليشكري:

إذا ما غفرت الذنب يوماً لصاحب فلست معيداً ما حييت له ذكرا

ولست إذا ما صاحب حال عنده عندي له سر مذيعاً سراً

وقال غيره:

وللسر أرض بين جنبي مكمن خفيّ قصيّ من مدارج أنفاسي

أظن به ظني بموضع حفظه فأحميه عن إحساس غيري وإحساسي

كأني من فرط احتفاظي أضعته فبعضي له واع وبعضي له ناسي

ومما يعظم بين المتحابين رعي المجاورة والتزام ما يجب من حقوق المجاورة، قال الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ [النساء:٣٦] فذو القربى: الجار الملاصق، والجار الجنب: البعيد عن الملاصقة، والصاحب بالجنب: الرفيق في السفر وقيل: للزوجة، وأدنى حقوق الجار ألا تؤذيه بقتار قدرك، وأن تؤمنه من حسدك وشرك، وقال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه: الجيران ثلاثة فجار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة فجار مسلم ورحم، له حق الإسلام وحق الرحم، وحق الجوار، وقال ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر إذا طبخت اللحم فأكثر المرق وتعاهد جيرانك» وكان يقال: من نال من جاره حرم بركة داره، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذي جاره ولا يخيب من قصده» وكان عبد الله بن أبي بكر ينفق على أربعين داراً من جيرانه من سائر جهات داره الأربع، وكان يبعث إليهم

الأضاحي والكسوة ولأعياد الموسم، وأعطى أبو جهم العدوي في داره مائة ألف درهم فقال لهم: ويلكم تشترون مني جوار سعيد بن العاصي؟ قالوا: وهل رأيت جواراً يشترى قط؟ قال: والله ما بعت داراً تجاور رجلاً إن غبت سأل عني وحفظني، وإن رآني رحب بي وقربني، وإن سألته قضى حاجتي وحباني، وإن لم أسأله عطف علي وبداني، والله لو أعطيت ملء الأرض ذهباً ما اخترته عليه ولا نظرت إليه، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم، وقال جعفر بن أبي طالب لأبيه: يا أبت إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله، فقال له أبوه: إني لأرجو أن يكون فيك خلف عن عبد المطلب، وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكنه الصبر على الأذى وقالوا: الإحسان إلى الجار يعمر الديار، ويزيد في الأعمار، وقال بعض حكماء العجم: حسن الجوار خير قرين وعلى الاستخلاص خير معين.

ناري ونار الجار واحدة ... إليه قبلي ينزل القدر

ماضر جار لي أجاوره ... أن لا يرى لبابه ستر

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى تواري جسمها الخدر

ومن طريف النوادر في إكرام الجار ما حكي أن يهودياً نزل ببعض أحياء العرب فمات عندهم، فأتوا شيخاً لهم لم يقطع في الحي أمر دونه فأعلموه خبر اليهودي، فجاء فغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال: اللهم إن هذا لنا جار وله علينا ذمام فإذا قضينا ذمامه وصار إليك فلك الخيار أن تفعل به ما هو له أهل، أو تفعل به ما أنت له أهل، فإنك

أهل التقوى وأهل المغفرة. وهذا طرف يكون لما ذكرنا تماماً ولنفس المتأمل وقلبه شركاً وذماماً فيما يلزم الأصدقاء من تمازج الأرواح كامتزاج الصهباء بالماء القراح، كما قيل لبعضهم: صف لنا الصديق فقال: أنت هو وهو أنت إلا أنكما جسمان بينكما روح، وقيل لأشباط الشيباني: صف لنا الأخوة وأوجز، فقال: أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول، وقيل لأفلاطون: ما معنى الصديق؟ قال: هو أنت إلا أنه غيرك، وقيل لبعضهم: ما الأصدقاء؟ قال: نفس واحدة وأجسام متفرقة، وقال ابن المقفع: الأخ نسيب الجسم، والصديق نسيب الروح وقيل لأرسطاطاليس: ما معنى الصديق؟ فقال: قلب تضمن جسمين، نظمه بعض الشعراء فقال:

بنفسي أخ لي في الأمور مساعد فلي وله جسمان والقلب واحد
إذا غاب عني لم أجد طعم لذه لأن فؤادي شطره متباعد

ويقال: إنه ما سمع ولارئي في معنى الاتحاد أحسن من قول الحلاج - رحمه الله:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
نحن قد كنا على عهد الوفاء تضرب الأمثال فى الناس بنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته قلتَ أنا

وحسن الاختيار معدود من المواهب، والناس فيما يعشقون مذاهب، وقد أحسن الشريف الرضيّ في قوله يخاطب الصابي:

أنت الكرى مؤنس طرفي وبعضهم مثل القذى مانع طرفي من الوسن

لقـــد تمـــازج قلبانـــا كأنهمـــا تراضعا بدم الأحشـــاء لا اللـــبن

ويقال: كاتب صديقك كما تكاتب حبيبك؛ فإن غزل الصـــداقة أرق من غزل العلاقة، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق، ويقال: إذا كاتبت أخاك فليكن المداد من سواد الفؤاد، والقرطاس من بياض الوداد، فإنه من كرمت خصاله وجب وصاله، وقد عَنَّ لي أن أختم هذا الكلام بشيء مـــن الأحاديث تبركا بها، ولعل الله يتفضل على ناظرها باتباعها، قـــال فـــي "كشف الغمة" فصل في زيارة الإخوان والصالحين وإكرام الزائر: قـــال أبو هريرة - رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: «**زار رجل أخـــا له في قرية، فأرسل الله تعالى له ملَكاً على مدرجته فقال: أيـــن تريـــد؟ قال: أخاً في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قـــال: لا إلا أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك إن الله أحبك كما أحببتـــه**» المدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق، يربها أي يسعى في صلاحها أو معناه تحفظها وترعاها كما يربي الرجل ولده، وكان ﷺ يقول: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في قرية ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة، وإلا قال في ملكوت عرشه: عبدي زار فيّ وعليّ قـــراه فلـــم أرض له بثواب دون الجنة**» وفي روايـــة: فقـــال رســـول الله ﷺ: «**ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **النبي في الجنة والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر ما يـــزوره إلا لله في الجنة**» وكان ﷺ يقول: «**من زار أخاه المسلم شيعه سبعون ألف ملك يصلون عليه، ويقول: اللهم كما وصلَه فيك فَصِلْه**» وكان ﷺ يقول:

«قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ» وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة غرفاً يُرَى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها أعدها الله تعالى للمتحابين فيه والمتزاورين فيه» وكان ﷺ «كثيراً ما يزور رجلا كان مكفوف البصر بالمدينة ويجلس عنده» وتقدم قوله ﷺ: «زرغباً تزدد حبا» وقالت أم سلمه - رضي الله عنها: قال لي مرة رسول الله ﷺ: «أصلحي لنا المجالس فإنه ينزل ملك إلى الأرض لا ينزل إليها قط» وقالت أم نجيد - رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يأتينا كثيراً في بني عمرو بن عوف يزورنا فنتخذ له سويقاً في جفنة، فإذا جاء سقيناه إياها، وقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وكان أويس القرني - رضي الله عنه - سيد التابعين يقول: دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب أفضل من ملاقاته؛ لأن الملاقاة قل أن تسلم من التصنع والتزين، قال الشعراني: قال شيخنا - رضي الله عنه: هذا الذي ذكره أويس خاص بحال أهل الخمول والعباد الذين سلكوا بأنفسهم طرقاً خاصة رأوها أسلم لدينهم وإلا فلا يخفى ما يلزم من ذلك إذا فعله المؤمنون فيما بينهم، إذ قلوبهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، اهـ. وكان رسول الله ﷺ: «يكرم الداخل عليه بالوسادة» وكان ﷺ يقول: «إذا زار أحدكم أخاه فألقى له شيئاً يقيه من التراب وقاه الله عذاب النار، وإذا جلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه» ولما جاءت بنت خالد بن سنان عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بعد البعثة قال لها: «مرحباً يا بنت نبي أضاعه قومه» وفيه فصل في المصالحة وطلاقة الوجه وطيب الكلام، قال البراء بن عازب - رضي

الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا» وفي رواية: إذا التقى المسلمان وتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا وضحك كل منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يفترقا حتى يغفر لهما، قال أنس - رضي الله عنه: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، فإذا قدموا من سفر تعانقوا، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه: لقي رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان فأراد أن يصافحه فتنحى حذيفة، فقال إني كنت جنباً، فقال رسول الله ﷺ: «إذا صافح المسلم أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر، وإذا تسايلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأسبقهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسايلة بأخيه» وكان أبو حذيفة - رضي الله عنه - يقول: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا لم يفترقوا حتى يقرءوا هذه السورة ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر] وكان أبو ذر - رضي الله عنه - يقول: ما لقيت رسول الله ﷺ قط إلا صافحني، وربما جئت أسلم عليه وهو جالس على سريره فيلزمني فيكون ذلك أجود، وكان ﷺ يقول: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء» وكان ﷺ يقول كثيراً: «لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً ولو أن يلقى أخاه بوجه طلق» وفي رواية: «ولو أن يفرغ من دلوه في إناء أخيه، ولو أن يؤنس الوحشان بنفسه، ولو أن يهب الشسع، ولو أن يكلم أخاه بكلمة طيبة» وكان ﷺ يقول: «تبسم أحدكم في وجه أخيه صدقة» وكثيراً ما يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»

وكان ﷺ يقول: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله؟ فقال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام» وكان عمر يقبل رأس أبي بكر – رضي الله عنهما – والله أعلم، وفيه فصل في التحابب والتوادد وبيان الحب في الله والبغض في الله، كان رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» وكان ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وفي رواية: «كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» وكان ﷺ يقول: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر» وكان ﷺ يقول: «البغض يتوارث، والود يتوارث» وكان ﷺ يقول: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» زاد في رواية: «فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة» وكان ﷺ إذا قال له الرجل: أنا أحب فلاناً يقول له: «أعلَمْتَه؟ فإن قال: لا يقول له: اذهب فأعلمه» وكان ﷺ يأمر بالاقتصاد في المحبة ويقول: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» وكان ﷺ يقول: «إذا أحببت رجلاً فلا تماره، ولا تسأل عنه أحداً فعسى أن توافي له عدواً فيخبرك بما ليس فيه فيفرق بينك وبينه» وكان ﷺ يقول: «أفضل

الأعمال الحب في الله والبغض في الله» ومما خرجه في الإنفاق في وجوه الخير كرامة وسخاوة قوله: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما من يوم إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» وكان ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: يا عبدي أنفقْ أُنفِقْ عليك» وكان ﷺ يقول: «إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لأنه كان يعطي ولا يأخذ» وكان ﷺ يقول: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سخاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع» ومعنى لا تغيضها: لا تنقصها، ومما خرجه في الترغيب في إطعام الطعام قوله: كان رسول الله ﷺ يقول: «اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» وقال أبو هريرة – رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن أصل كل شيء قال: «كل شيء خلق من الماء» فقلت: يا رسول الله أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة، قال: «أطعم الطعام وأفشِ السلام وصلْ الأرحام تدخل الجنة بسلام» وكان ﷺ يقول: «خياركم من أطعم الطعام» وكان ﷺ يقول: «الكفارات إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام» وكان ﷺ يقول كثيراً: «إن من موجبات الرحمة والمغفرة إطعام المسلم السغبان» يعني الجيعان، وكان ﷺ يقول: «إن الله ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسلمين ثلاثة الجنة: الآمر به، والزوجة المصلحة له

والخادم الذي يناوله المسكين، ثم يقول: الحمد لله الذي لم ينسَ أحداً» وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة فقال: «أطعم الجائع واسق الظمآن» وكان ﷺ يقول: «من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خناديق ما بين خندقين مسيرة خمسمائة عام، وما من عمل أفضل من إشباع كبد جائع» ومن كلام ابن شامة في البر وصلة الأرحام والرفق وحسن الخلق للمرأة والولد والجار والغلام وبيان حقوقهم وحقوق أهل الإسلام قال ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم منجاة في الأهل منسأة في الأثر مثراة في المال» الأثر محركة: بقية الشيء، وقال ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء» وقال «اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه أبقى في الدنيا وخير لكم في الآخرة» وقال: «من أحب أن يمد له في العمر ويزاد له في الرزق فليبر والديه وليصل رحمه» وقال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» وقال: «من بر والديه طوبى له طوبى له وزاد الله في عمره» وقال: «رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه» وقال: «ما من شيء أطيع الله فيه بأعجل ثواباً من صلة الرحم» وقال: «لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم» وقال: «إن الله ليعمر بالقوم الديار و يكثر لهم المال وما نظر إليهم منذ خلقهم، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: بصلتهم أرحامهم» ولما ذكر له قتال بني مدلج قال: «إن الله منع مني بني مدلج

لصلتهم الرحم وطعنهم في لبات الإبل» يعني: نحرهم الإبل للضيف وقال كعب الأحبار: مكتوب في التوراة: ابن آدم اتق ربك وبرّ والديك وصِلْ رحمك أُمد لك في عمرك وأيسرك وأصرف عنك عسرك. وقال ابن عمر: من اتقى ربه ووصل رحمه أنسأ له في عمره - يعني: يزاد له في عمره - وينمو ماله - يعني: يكثر - ويحبه أهله. وعن الضحاك في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [الرعد:٣٩] قال: إن الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله إلى ثلاثة أيام، ويروى أن ملك الموت أخبر سليمان عليه السلام بقبض روح رجل بعد سبعة أيام، فلما كان بعد مدة طويلة وجد سليمان ذلك الرجل حياً فسأل ملك الموت عنه فقال: إنه لما خرج من عندك وصل رحماً قد كان قطعها، فمد الله في عمره ثلاثين سنة، أخرى وقال أنس بن مالك: ثلاثة في ظل عرش الرحمن يوم القيامة: واصل الرحم يمد له في عمره ويوسع له في رزقه، وامرأة مات زوجها وترك يتامى فتقيم عليهم حتى يغنيهم الله أو يموتوا، والرجل يتخذ طعاماً فيدعو إليه اليتامى والمساكين. وعن عائشة - رضي الله عنها - أن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار، وقال ﷺ **«من أُعطِيَ حظه من الرفق فقد أعطي خير الدنيا والآخرة»** وقال: **«من رفق بأمتي رفق الله به»** وقال: **«من ولي شيئاً من أمور أمتي فرفق بهم رفق الله به، ومن شق بهم شق الله عليه»** وقال: **«إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف»** وقال:

«الحياء خير كله، والحياء لا يأتي إلا بخير» وقال: «ما حسن الله خَلْقَ امرئ وخُلُقَه فتطعمه النار» ويروى: «من حسن الله خَلْقَه وخُلُقَه وجعله في موضع غير شائن فهو من صفوة الله تعالى» وفي رواية: «من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه» وقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه» هذا حديث جامع ينبئك أن ما قلته أو فعلته وأنت تكره أن يطلع عليك مخلوق فذلك هو الإثم، وما لا تكره الاطلاع عليه لحسنه فليس بإثم، قال عمر - رضي الله عنه: عليكم بعمل العلانية ما إذا اطلع عليه الناس لم تستح منه وهذا أصل من الأصول وقال ﷺ: «أوسع لجليسك يوسع الله عليك رزقك» وقال يحيى بن معاذ: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ويقال: من ساء خلقه ضاق رزقه ويروى أن موسى عليه السلام قال: يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول: أنا ربكم الأعلى ويكذب آياتك، فقال الله تعالى: إنه حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه، قال أبو الليث: وفي صلة الرحم خصال محمودة أولها: رضا الله تعالى؛ لأنه أمر بتقواه وصلة الرحم فقال: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ [النساء:١] والثاني: إدخال السرور عليهم، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين، الثالث: فرح الملائكة وحسن الثناء من المسلمين وزيادة في العمر وبركة في الرزق وسرور الأموات؛ فإن الآباء يسرون بصلة القرابة وزيادة في المروءة؛ فإنه إذا وقع له سرور أو حزن اجتمعوا عليه ليعينوه على ذلك فيكون لهم زيادة في المروءة وزيادة بعد موته؛ لأنهم يدعون له كلما

ذكروا بره، فإن قلت: أريد أن أعرف من الأرحام؟ وكيف الصلة والإكرام؟ وحقوقهم وحقوق الجار والغلام وسائر أهل الإسلام؟ وحسن الخلق وما يستدل به من فعل النبي ﷺ؟ فاعلم أن الأرحام هم القرابة كالآباء والأمهات والبنين والبنات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولاد العم والعمات وللخال وللخالات ونحوهم من القرابات المشتبكات، وأما صلة الرحم فهي أن يفعل الإنسان مع أقاربه ما يعد به موصلاً غير منافر ولا مقاطع، فإن كان عندهم وصلهم بهديات ونحوها، فإن لم يقدر على الصلة بالمال أو لم يكونوا محتاجين وصلهم بالزيارة، وأعانهم في أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائباً عنهم وصلهم بالكتب وإرسال السلام ولين الكلام ونحو ذلك، فإن قدر المشي إليهم فهو أفضل، وهذا عام في كل قريب، وللوالد حقوق وزيادة ذكرها أبو الليث وغيره، أحدها: إذا احتاج إلى الطعام أطعمه، الثاني: إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها، الثالث: إذا احتاج إلى الخدمة خدمه، الرابع: إذا دعاه أجابه وأحضره، الخامس: إذا أمره بأمر غير معصية أطاعه السادس: أن يتكلم معه باللين وخفض الصوت ولا يتكلم معه بالغلظ السابع والثامن: أن لا يدعوه باسمه فيقول يا فلان، بل: يا أبت أو: يا والدي، ولا يستسب له، ولا يمشي أمامه، ولا يجلس قبله، وكذا الشيخ والعالم لا يدعى باسمه ولا يمشي قدامه، وقد روي أن ذلك يورث الفقر التاسع: أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه، قال بعض التابعين: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقط أدى حقهما لأن الله تعالى قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤] فشكر الله أن تصلي كل يوم خمس

صلوات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما كل يوم خمس مرات وقال ﷺ: «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما بعد موتهما فيكتبه الله من البارين» وقال بعض الصحابة: ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد، قال ابن شامة: وإذا كان كذلك فالدعاء لهما يوسع العيش عليه، فنسأل الله تعالى أن يُرْضِي عنا والدينا ويجازيهم عنا خيراً، وقال ﷺ: «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة في سبيل الله» وقال: لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه، ومن بر للوالدين بعد موتهما أن يأتي ما يسرهما من الطاعة لله تعالى وغيرها مما ليس بمنهي عنه، ومنه الإحسان إلى صديقهما، قال ﷺ: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يوارى الآباء» وأنشدوا:

خالل خليل أبيك وارع أخاه   واعلم بأن أخا أبيك أبوك
وبنوك ثم بنو بنيك فكن لهم   براً فإن بني بنيك بنوك

وقد ذكر ﷺ في الكبائر العقوق، وهو كل ما أتى به الولد مما يتأذى به الوالد ونحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بالواجب في الأصح، ولا منع للوالد من حج الفرض ويمنعه من حج التطوع، وليس له المنع من السفر لطلب العلم إن لم يتميز عليه أو كان يمكنه التعلم في بلده على الأصح، ولا يمنع من سفر التجارة وكل سفر مباح إن قصر فإن كان طويلاً وظهر خوفه فلهما المنع، وإن غلب الأمن فلا إذن ولا منع، وللولد حقوق زائدة أن ينتخب أمه لئلا يُعَيَّر بها، وأن يحسن اسمه وأدبه، ويعلمه

الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا بلغ، فإن كانت أنثى زوجها جميلا تقياً، وينفقه ويكسوه إذا احتاج، ويساوي بينه وبين سائر أولاده وأولادهم في العطية، وبين غنيهم وفقيرهم وذكورهم وإناثهم قال ﷺ: «ساووا بين أولادكم بالعطية؛ فإني لو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال» وفي الصحيح أن بشر بن سعد قال: يا رسول الله إني أعطيت ولدي عطية وإن أمه قالت: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: «فهل أعطيت كل ولدك مثل ذلك؟ فقال: لا، فقال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، أليس يسرك أن يكونوا لك في البرور سواء؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فلا إذاً» وروي أنه قال: «لا أشهد على جور وزور» ويروي: «على جور» وروي: «هذا جور وهجنة» وقال: «إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم أن يبروك» وقال أبو عيسى الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، قال بعضهم: يساوي بينهم حتى في القبلة، قال الشافعي: ولأنه يقع في نفس المفضول ما يمنعه من بره، ولأن الأقارب ينفس بعضهم بعضاً مالا ينفس البعداء - يعني: الأجانب - وربما كان ذلك سبباً للهجران، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] وقال ﷺ: «رحم الله والداً أعان ولده على بره» قال خارجة ابن مصعب: ويحسن إليه حتى يبره، قال أبو الليث: وكان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه في ذلك فيستوجب النار، وقال يزيد بن معاوية: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس فقال يا أبا الحسن ما تقول في الوالد والولد؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد

ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويجلوك جهدهم ولا تكن عليه ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك، قال له معاوية: لله أنت يا أحنف لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غيظاً على يزيد، فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن ابنه وبعث إليه بمائة ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بخمسين ألف درهم ومائة ثوب قاسمه إياها، وسأل رجل النبي ﷺ فقال: «من أبر؟ فقال: بر والديك، فقال: ليس لي والدان، قال: بر ولدك، كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك عليك لولدك حق» وقال أيضا: «أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك» وقال لعلي: «أوصيك بريحانتيّ خيراً» - يعني الولدين الحسن والحسين - وقال أبو عمر: ما سموا أبراراً حتى بر الأبناء الآباء والآباء الأبناء، ونحوه قال سفيان بن عينه، وقال الحسن: الأبرار الذين لا يؤذون الذر، واعلم أنه يجوز للوالد استخدام ولده الصغير وضربه فيما فيه تدريب له وتأديب وحسن تربية، قال لقمان: ضرب الوالد لولده كالسماء للزرع، وليس له أن يُعيِّره للخدمة؛ لأن ذلك هبة لمنافعه فأشبه إعارة ماله، قال النووي: هذا يحمل على ما يقبل بأجرة، ويقال: ولدك سبع سنين أمير عندك، وسبع أمير، وسبع وزير، ثم إن أحسنت إليه فنظير ونصير وإن أسأت فسير وبصير، وقال الفضيل: تمام المروءة مَنْ برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وأحسن خلقه مع ولده وخادمه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته. وقال بعض الحكماء: من عصا والديه لم ير السرور من ولده، ومن

لم يستشرف الأمور لم يصل إلى مقصده، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه، وقال ﷺ: «لا يدخل الرجل بين الرجل وابنه إذا كانا ماشيين» وقال: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده» وقال: «خيركم المدافع على عشيرته مالم يأثم» وقال رجل إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، فقال ﷺ: «لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك» وقال: «ما أفلح رجل احتاج أهله إلى غيره» ذكره في البيان، وقال بعضهم: عدوّك من قومك خير من صديقك من غيرهم، ولا تأمنن امرأة وإن بذلت لك نصيحة، ولا تأمنن على سرك غيرك، ولا تثق بملك وإن أكرمك (فصل) وأما حسن الجوار فهو الصبر على الأذى من الجار، قاله الحسن، وقال أيضاً: مَنْ صَبَرَ على أذى جاره ملكه الله داره، وقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦] وهو الذي ليس بينك وبينه قرابة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ﴾ يعني الرفيق في الطريق ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الغريب ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المماليك، وقال ﷺ: «حق الجار: إن استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن غاب حفظته، وإن افتقر جُدْتَ عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطيل عليه بالبنيان يحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها» وقال: «من فطر ثلاثة غفر له، ومن كان له جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له» وقال: «إذا

قال جيرانك: أحسنت فقد أحسنت، وإذا قالوا: أسأت فقد أسأت» وقال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» يعني: غوائله وشره، وقال: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» وقال: «إذا رميت كلب جارك فقد آذيته» وقال: «لا تأكل اللحم دون جارك حتى تذيقهم منه ولو عظماً أو مريقة؛ فإنه من أكل اللحم دون جاره أزال الله عنه عشر عقله، ورفع البركة من كسبه فيكون كثير التعب قليل الرزق» واعلم أنه يحرم الإشراف على بيوت الناس والاستماع إلى حديثهم لغير مصلحة ظاهرة (فصل) وأما المملوك فحقه أن يشاركه في طعمته وكسوته، ويعفو عن زلته ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء، ويحسن معاشرته، ولا يكلفه فوق طاقته، وإن استباعه باعه وأن يعلمه مهم دينه، قال القاضي حسين: يجب على السيد أن يمكن عبده من تعليم القرآن إلى قدر ما يؤدي به الفريضة، كما يجب عليه تمكينه من فعل الصلاة، ويجب عليه أن يمكنه من نفسه زماناً يكتسب فيه قدر أجرة التعليم إن لم يجد متبرعاً، ويسن للسيد أن يساوي بين عبيده مطلقاً، وله أن يفضل من إمائه ذات الجمال والفراسة، وقال ﷺ: «حسن الملكة يمن - ويروي: نماء - وسوء الملكة شؤم» وقال: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» وقال ﷺ: «ما من رجل يضرب عبده إلا أقيد منه يوم القيامة» وفي جامع الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - أن رجلا قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال: «تحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا

لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل، فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال: رسول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[1]؟ فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهدكم أنهم أحرار» وفي الصحيح أنه ﷺ: «قال كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته» وقال ﷺ: «الإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو» وقال: «من أحسن إلى ما ملكت يمينه نصره الله على عدوه» وقال: «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه» وينبغي للعبد أن يبذل جهده للسيد (فصل) ويجب على المالك سقي السوائم وكل الجدب، ولا يجوز الحلب إذا كان يضر بالبهيمة لقلة العلف، ويكره ترك الحلب إذا لم يكن فيه إضرار بها، ويسن أن لا يستقصي في الحلب وأن يقص الحالب أظفاره، ويبقى للنحل شيئاً من العسل في الجبح، قال في كتاب "شمس العلوم": الجبح بكسر الجيم: عود معمول للنحل تعسل فيه: قال: والنحل يسمى النور أيضاً، فإن قام مقامه شيء لم يتعين، وليكن

---

(١) [الأنبياء:٤٧]

المبقي في زمان يتعذر خروجه كالشتاء، وقال ﷺ: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**» وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠] وقال الفضيل: لو أن العبد أحسن الإحسان كله وكان له دجاجة قد أساء إليها لم يكن من المحسنين، وقال عبيد بن عمران: إن الرجل ليسأل عن كل شيء حتى عن حية أهله، قال أبو عبيد: أي عن كل شيء حي كالدابة والهر ونحو ذلك، ويروى أن كل من آذى بهيمة طولب بذلك يوم القيامة، ذكره في "الإحياء"، وعن ابن عمر ومحمد بن علي وعمر بن عبد العزيز في قوله تعالى: ﴿حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩] قالوا: هو الكلب، والمشهور أن السائل الذي يستجدى أي يطلب الجدا وهو العطاء، والمحروم الذي يحسب غنياً فيحرم الصدقة لتعففه، وعن النبي ﷺ: «**ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، قالوا: فما هو؟ قال: الذي لا يجد ولا يُتَصَدَّقُ عليه**» وقيل: الذي لا ينمى له مال، وقيل: المحارق الذي لايكاد يحسب، المحارق بفتح الراء: المحدود والمحروم، ويحرم الوسم في الوجه، ويجوز خصاء ما يؤكل لحمه في الصغر، كما يجوز الوسم للحاجة، ولا يجوز في الكبر ولا خصاء ما لا يؤكل لحمه، وقال ﷺ «**عذبت امرأة في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشرات الأرض**» ويرحم قتل الهرة إلا إذا صالت، يحرم قتل كل كلب فيه منفعة مباحة سواء الأسود وغيره ويباح اقتناؤه للصيد ولتعلمه وللماشية وللخيل ونحوها، وللنخيل وللزرع والشجر ونحوها ولأهل البادية والخيام في الفلوات، ولحفظ الدروب

والحصون والبيوت للمفردة، وتربية الجرو لذلك، ويحرم اقتناؤه قبل وجود الماشية والزروع ونحوها، ويسن قتل الكلب العقور وكل سبع ضار، ويكره قتل الكلب الذي لا ينفع ولا يضر (فصل) وأما الزوجات فحقوقها مشهورة، وفي أكثر الكتب مذكورة، واعلم أن نساء النبي ﷺ ورضي عنهن ونساء أصحابه كن يسعين على عيالهن ويخدمن أزواجهن ويمتهن أنفسهن، في الصحيح قال جبريل عليه السلام: «**يا رسول الله صلوات الله عليك هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام وشراب فاقرأ عليها السلام وبشرها ببيت في الجنة**» وقالت عائشة - رضي الله عنها: كنت أفتل قلائد هدي رسول الله ﷺ فيقلد هديه وقالت: ما رأيت صانعاً يعني للطعام مثل حفصة، وقالت في زينب بنت جحش: لم أر امرأة قط خيراً منها في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ رأى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها... الحديث، والمعس هو الدلك، يقال: معس الأديم إذا دلكه، والمنيئة على وزن فعيلة: الجلد أول ما يدبغ، والأحاديث في شغل نساء النبي ﷺ وخدمتهن لبيوتهن وخدمة نساء للصحابة أكثر من أن تحصى، وفي خبر مقتل جعفر قالت أسماء بنت عميس - رضي الله عنها: دخل النبي ﷺ وقد دبغت أربعين منيئة وغسلت بَنِيَّ ونظفتهم ودهنتهم، وروى الثعالبي بإسناده عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**ما من امرأة رفعت شيئا من بيت زوجها أو وضعته تريد بذلك الإصلاح إلا كتب الله لها حسنة، ومحا عنها سيئة، ورفع لها درجة، وما من امرأة حملت من زوجها حين**

تحمل إلا لها من الأجر مثل الصائم القائم والغازي في سبيل الله، وما من امرأة يأتيها طلق إلا لها بكل طلقة عتق نسمة، وبكل وضعة عتق نسمة فإذا فطمت ولدها ناداها مناد من السماء: أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفي العمل فيما بقي» فقالت عائشة - رضي الله عنها: لقد أعطي النساء خيراً كثيراً، فما لكم معاشر الرجال؟ فضحك ﷺ وقال: «ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له خمس حسنات وإن عانقها فعشر حسنات، وإن قبلها فعشرون، فإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها، فإذا قام ليغتسل لم يمر على شيء من جسده إلا محا عنه سيئة ورفع له درجة يعطى بغسله خيراً من الدنيا وما فيها وإن الله تعالى يباهي به الملائكة يقول أنظروا إلى عبدي في ليلة قرة - أي: باردة - يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه أشهدكم بأني قد غفرت له» وقال ﷺ: «لوافدة النساء التي سألته: هل للنساء أجر في خدمتهن للرجال مع قيام الرجل بالجهاد وغيره من الدين؟ نعم، أقرئي النساء السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ما هنالك وقليل منكن فاعلته» وقال: «خير الرجال من أمتي خيرهم لنسائهم، وخير النساء خيرهن لأزواجهن، يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين، وتفضل أحداهن على الحور العين كفضل محمد على أدناكم. خير النساء من أمتي من تأتي مسرة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا معصية الله، وخير الرجال من أمتي من تلطف بأهله لطف الوالدة بولدها، يكتب لكل رجل

منهم في كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين فقال عمر - رضي الله عنه: وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة شهيد؟ فقال: أوَمَا علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله تعالى للمرأة إذا عصت زوجها» (فصل) وخير أعمالهن للمغزل، وروى أن آدم عليه السلام ذبح كبشاً ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجت هي وآدم، فجعل جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «نِعْمَ لهو المرأة المغزل» وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، والتكبير في سبيل الله أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين، وأيما امرأة ألبست زوجها من غزلها كان لها بكل سداء ولحمة مائة ألف حسنة» وقال ﷺ: «مروا نساءكم بالغزل فإنه خير لهن وأزين» وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتاب، وعلموهن المغزل وسورة النور» - يعني النساء - وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لأم سلمة: «إذا أدت المرأة فريضة ربها وأطاعت زوجها وحركت المغزل كانت كأنها تسبح وما دام المغزل في يدها كانت كأنها تصلي جماعة، وإذا طبخت القدر لأجل أطفالها تساقطت ذنوبها، وغزل المرأة بمغزل مثل عمارة القناطير والرباط، وثلاثة أصوات تبلغ إلى تحت العرش أحدها قسي للمجاهدين في سبيل الله، الثاني صرير أقلام العلماء، الثالث أصوات مغازل

المصونات» وقال ﷺ: «شربة يشربها الرجل من يد امرأته خير لها من صيام سنة، وطعام صنعته لزوجها خير من حجة وعمرة، وغسلها من الجنابة خير لها من ألف تنحرها للمساكين، فإذا حملت من زوجها سميت في السماء شهيدة، وكانت خدمتها لزوجها جهاداً، وخدمتها لصبيانها ستراً من النار، ونظرها في وجه زوجها تسبيحاً، والمرأة إذا كست زوجها أعطاها الله ثواب من حج واعتمر، وإن رضاء الله لا ينقطع عن امرأة أصبحت وأمست في رضاء الزوج، وأيما امرأة خففت عن زوجها من مهرها إلا كتب الله لها بكل درهم حجة وعمرة متقبلة وكانت من القانتات الذاكرات العابدات» وعليها شروط أخر، وهي حفظ مال الزوج؛ فإنها له راعية، وطاعته فيما أمر سراً وعلانية، ومن حقوق الزوج عليها أن لا تحنث قسمه ولا تكفر نعمته ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تأذن في رحله بشيء يكرهه، ولا تأكل ولا تلبس ما يؤذيه، ولا تكلم رجلا من غير محارمه إلا بإذنه، وعليها الرفق بأقاربه، والأدب مع أخواته وأعمامه وأخواله والرعاية لذريته بعد موته، وينبغي ألا تتزوج غيره إذا كان صالحاً لتكون زوجته في الجنة؛ فإن المرأة لآخر أزواجها، ولها أن تأخذ من تعلم رضاه به، فقد رخص لهن الرطب يأكلنه ويهدينه، ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً» (فصل) ولما الزوج فمن حقها عليه أن يحسن معاشرتها، ويحتمل عنها وإن تطاولت عليه، ويعفو عن زلتها، ويخدمها من وراء

الستر، ويصبر عليها وإن ضعفت أو خرفت، ويعلمها ما تحتاج إليه من أحكام الوضوء والصلاة والصوم والحيض ونحو ذلك مما لابد لها من معرفته، ويطعمها من الحلال، ولا يظلمها شيئاً مما يجب لها من الحقوق المذكورة في الكتب المشهورة، ولا يكلفها خدمته؛ فإنها غير واجبة عليها، ولا يفعل ويلبس ويأكل ما يؤذيها، ويسن ألا يمنعها زيارة والديها، ولا الخروج إلى المسجد ونحوه إلا لعذر، وتسن ملاعبتها إيناساً وتلطفاً ما لم يترتب عليه مفسدة، وأن يتزين لها كما يحب أن تتزين له، وألا يطيل عهدها من الوقاع من غير عذر وألا يدع ذلك عند قدومه من سفره .. ذكر ذلك النووي - ولا في ليلة الجمعة أو يومها - ذكره في الإحياء - ويسن ألا يخاطب أحداً من أقارب زوجته بلفظ فيه ذكر الوقاع والتقبيل وغير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن وما يتضمن ذلك وما يستدل به عليه، قال علي - رضي الله عنه: كنت رجلاً مذاء فاستحييت أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته، فسألت المقداد فسأله، الحديث. ولا يكره له التعريض لها بالوقاع ولا التصريح به ويكره له التعريض به لغيرها فضلاً عن التصريح به، ويكره أن يتحدث بما جرى بينه وبين زوجته وأمته، ويكره أن يسأل فيما ضرب امرأته من غير حاجة، وأن تخبر المرأة زوجها أو غيره بحسن بدن امرأة من غير حاجة شرعية كرغبة في زواجها ونحوه، وأن يطأ زوجته وهناك من يسمع حسه من امرأة ونحوها، ولا يكره الوقاع مستقبل القبلة ولا مستدبرها في البنيان ولا في الصحراء، ولا يحرم العزل، والأولى تركه على الإطلاق؛ لأن المرأة تتأذى بذلك، ولا يحرم وطء المرضع والحامل، بل يكره ويجوز الاستمناء بيد زوجته

وجاريته، كما يستمتع بسائر بدنها، ويسن غسل الفرج والوضوء بين كل وطأتين، ويحرم الوطء في الدبر والاستمناء بيد نفسه، ويجوز التلذذ بما بين إليتيها والإيلاج في القبل من جهة الدبر، ذكر ذلك النووي - رحمه الله - ويحرم وطء الحائض والاستمتاع بما بين سرتها وركبتها حتى تغتسل، ولا بأس بمواكلتها، وإذا طهرت فلتصلح من شأنها ثم تأخذ إناء فيه ماء وتطرح فيه ملحاً ثم تغتسل به وتأخذ قطعة طيب فتجعله في قطنة أو خرقة فتجعله في أثر الدم، كذا أمر به المصطفى ﷺ ومن كان له زوجتان وجب عليه التسوية بينهما في كل شيء إلا في الجماع وميل القلب، وقال ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**» وعن مقاتل في قوله تعالى: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم:٦] قال: حق على المسلم أن يؤدب نفسه وأهله وعبيده فيعلمهم بالخير وينهاهم عن الشر، ويقال: خير النساء من تطلب وتهرب، وشر النساء من تطلب وعنها يهرب، وفي الحديث: «**خير النساء التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**» (فصل) والناس بعد هؤلاء في حفظ ثلاثة: أصدقاء ومجاهل ومعارف، فلا تواخ منهم إلا من جمع خمس خصال: للعقل وحسن الخلق والصلاح والزهد والصدق، فلا خير في صحبة الأحمق وهو الجاهل، ولا مَنْ ساء خلقه وهو من لا يملك نفسه عند الغضب، ولا الفاسق، لأن من لا يخاف الله لا يؤمن من غوائله، وصحبة الحريص سم قاتل، وكذلك الكذاب، ولاخير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له، وأما المعارف الذين ليسوا بمواخين والمجاهل فعاملهم جميعاً بما سيأتي، وكن

منهم على حذر فلا تركن إليهم بسرك، ونزه نفسك عندهم عما تنقص به مروءتك كمد رجلك عندهم وكثرة تنخمك وضحكك ونحو ذلك من الأسباب التي تتكرها من غيرك، وإذا كان مثلك ماشياً فلا تركب أو قائما فلا تقعد ولا تتكئ ولا تضطجع، وأحبب حبيبك برفق وأبغض بغيضك برفق، فكم من مداهن يظهر لك المحبة وما في قلبه وزن حبة، فلا تركن إليه يستخبرك، ولا تنافره فيخسرك، وقال بعضهم في هذا المعنى:

وعاشر الكل واصبر ما بقيت لهم   أصم أبكم أعمى ذا تقيات

واعلم أن الأخوة ثلاثة: أخ لآخرتك، فلا تراع فيه إلا الدين، وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا حسن الخلق، وأخ للتأنس به، فلا تراع فيه إلا السلامة من شره (فصل) وحق كل مسلم عليك أن تسلم عليه كلما لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وحمد، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا أقسم ولم يكن في الإبرار مفسدة، وتنصح له إذا استنصح، وتحفظه إذا غاب، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وتكتم سره وعيبه، وتحسن الإصغاء إلى حديثه ولا تسأل إعادته، وتعينه في حاجته، وتذب عن عرضه وماله في غيبته، وتعفو عن زلته، وتقبل عذره وشفاعته وهديته وتكافئها، وتؤثر التخفيف عنه، وتقوم له إذا أقبل، وتؤثره في المجالس، وتشيعه إذا ذهب، وتدعوه بأحب أسمائه وتسر بسروره، وتحزن لمكروهه، وعلى الجملة: أن تعامله بما تحب أن يعاملك به قال ﷺ: **«أن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه بها يوم القيامة فيقضى له عليه»** وقال: **«إن أحدكم ليدع تشميت أخيه**

فيقضي عليه» ومن حقوق المسلمين التواضع لهم وترك التكبر عليهم قال ﷺ: **«لا تتعاظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا والآخرة»** ولا تفحش في مجلسك كي يحذر الناس من سوء خلقك، وإن تكبر أحد احتمله ولا يسمع بلغات الناس لا على نفسه ولا غيره، ولا يزيد في هجرة من يعرفه على ثلاثة أيام، ولا يدخل على أحد بغير إذنه ويداري أهل الشر ليسلم منهم، وينصف من نفسه ولا يقابل من عاداه بالعداوة، ويخالق الناس بالخلق الحسن، فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان، وينزل الناس منازلهم، ويزيد في إكرام ذي المنزلة وإن كانت منزلته في الدنيا، وإن كان عند ذي جاه لم يذهب حتى يستأذنه، ويقيل ذا الهيئة عثرته، ويتجافى عن عقوبته، ويشفع لمن ليس له جاه، إلى من له عنده جاه ولا يلتمس من الجاهل والغني ما يلتمس من الورع العالي العالم، ويخالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا، وأهل الآخرة بأخلاق أهل الآخرة، ويكون مع كافة الخلق طلق الوجه، ويصلح ذات البين، ويتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن وألسنتهم عن الغيبة. وفيما ذكرته كفاية لمن وفقه الله تعالى، وهذا هو حسن الخلق الذي يذكر، وهو ينقسم إلى ظاهر وباطن، فحسن الخلق للظاهر هو الجمال الظاهر في الأفعال والهيئات وحسن الخلق في الباطن غلبة الأخلاق الحميدة على الصفات الذميمة وقال ابن المبارك: حسن الخلق بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى وقال ﷺ: **«حسن الخلق أن تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك»** وقال: **«إن لله تعالى ثلاثمائة خلق فمن لقيه منها بخلق مع التوحيد دخل الجنة»** قال الغزالي: وقد تظن بنفسك حسن الخلق وأنت

عنه عاطل، فينبغي أن تحكم فيه غيرك وتسأل عنه غيرك، فتسأل عنه صديقاً بصيراً لايداهنك، وعدوك أخبر بعيوبك منك، فإن نسبك إلى سوء خلق فصدّقه وبادر في إصلاحه (التنبيه الرابع) اعلم أن الأب والأخ من الأسماء الستة التي المشهور فيها الرفع بالواو نيابة عن الضمة والنصب بالألف نيابة عن الفتحة والكسر بالياء نيابة عن الخفضة، والأسماء هي (أب وأخ وحم وفو) و(ذو) إن كان بمعنى صاحب (وهَنُ) مثال ذلك تقول: هذا أبوه، ورأيت أباه، ونظرت إلى أبيه، وهكذا تفعل في الخمسة الباقية والهن معناه: شيء، تقول هذا هنك أي: شيئك، ويقال إنها كلمة يكني بها عن أسماء الأجناس، وقيل: عما يستقبح ذكره، وقيل: عن الفرج خاصةً، ويقال: إن هذه الأسماء الستة على ثلاثة أقسام: ما فيه لغة واحدة وهي الإعراب بالأحرف، وذلك ذو بمعنى صاحب وفو بلا ميم، وأما إن كانت فيه الميم فالإعراب بالحركات، وفيه حينئذ عشر لغات: نقصه نحو فمُ فمَ فمِ، وقصره نحو فما فما فما، وتضعيفه نحو فم فم فم مثلث الفاء فيهن كما رأيت، والعاشر إتباع فائه لميمه، وأفصحهن فتح فائه منقوصاً، وما فيه لغتان: النقص وهو الأشهر، ثم الإعراب بالأحرف وهو الهن، تقول حالة النقص: هذا هنه، ورأيت هنه، ونظرت إلى هنه، ومنه الحديث: **«من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فاعنوه بهن أبيه ولا تكنوا»** تَعزّى بالمثناة المفتوحة فعين مهملة فزاي مشددة أي: من انتسب، وهو الذي يقول يا فلان ليخرج الناس معه للقتال الباطل، فأعنوه بهمزة مفتوحة وعين مهملة مكسورة وضاد مشدودة معجمة أي: قولوا له اعضض على هن أبيك أي ذكر أبيك، أي: قولوا له ذلك استهزاء به ولا

تجيبوه إلى القتال، أي: تمسك بذكر أبيك الذي انتسبت إليه عساه أن ينفعك فأما نحن فلا نجيبك ولا تكنوا أي لا تذكروا كناية الذكر وهو الهن بل اذكروا له صريح اسم الذكر وهو الاير ولا تكنوا بفتح التاء وسكون الكاف بعدها نون، وإذا استعمل الهن غير مضاف كان منقوصاً بالإجماع وما فيه ثلاث لغات: الإعراب بالأحرف غالبا، ثم القصر، ثم النقص نادراً، وهو أب وأخ وحم، مثال الأحرف تقدم في الأب، والمراد بالقصر أن يلزم آخرهن الألف المنقلبة عن لامهن في الأحوال الثلاثة فيعربن بحركات مقدرات عليها، تقول: هذا أباه وأخاه وحماها ورأيت أباه وأخاه وحماها، ونظرت إلى أباه وأخاه وحماها بحركات مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، ومن القصر قول الشاعر:

إن أباهـــا وأبـــا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاها

والشاهد في أباها الثالث المضاف إليه حيث جر بكسرة مقدرة على الألف، وفيه شاهد آخر وهو استعمال المثنى بالألف في حالة النصب وهو غايتاها مفعول بلغ والقياس غايتيها ومن القصر أيضا ما في البخاري من حديث أنس قال رسول الله ﷺ: «**ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجدوه قد ضربه أبناء عفراء حتى برد أي صار في حال من يموت، فقال له: أنت أبا جهل**» اهـ. وتقول في مثال النقص: هذا أبه وأخه وحمها، ورأيت أبه وأخه وحمها، ونظرت إلى أبه وأخه وحمها ومنه قول الرجز:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وهذا البيت من المثل السائر: من شابه أباه فما ظلم، أي: ما ظلم الابن في موضع الشبه في موضعه أو: ما ظلم الأب حين وضع زرعه حيث أدى إليه الشبه، قيل: الصواب فما ظلمت أمه حين لم تزن، بدليل مجيء الولد على مشابهة أبيه، والمعنى أن عدياً اقتدى بأبيه حاتم في الجود والكرم، ومن يشابه أباه ويحاكيه في صفته فما ظلم في هذا الاقتدار، وزاد بعضهم في أب التشديد أي: أبّا فيكون فيه أربع لغات، وفي أخ التشديد، وأخوا بإسكان الخاء، فيكون فيه خمس لغات، وفي حم حموا كغزوا، وحما كغزا، وحما كخطا، فيكون فيه ست لغات، انظر "هبة المالك على ألفية ابن مالك"، والحم أبو الزوج ونحوه من أقاربه، وقد يطلق على أقارب الزوجة، قاله المرادي وتقدم (تتمة) يقال نظام الكرم خصلتان: إنصافك من نفسك، ومواساة إخوتك، وذلك يظهر في الكرم وفيما إذا أسأت فاعتذر وإذا أسيء عليك فاغتفر، قال الشاعر:

إذا تسيء إلى أخيك فاعتذر   وإن أساء يابني فاغتفر

فالعذر يقضي بكمال العقل   والعفو برهان لكل فضل

وقال غيره:

إذا اعتذر الصديق إليك يوما   من التقصير عذرَ أخ مقرّ

فصنه عن عتابك واعف عنه   فإن الصفح شيمةَ كل حر

ويقال: الكريم يأبى العار، ويكرم الجار، قال الشاعر:

الناس تِبْر وتُربٌ   وجوهر وحجارةَ

وخيرهم دون مَيْن   من يأمن الناس عاره

وشـــرهم دون ريـــب   من لـــيس يكـــرم جـــاره

ويقال: الكريم يرى مكارم أفعاله دينا عليه يقضيه، واللئـيم يـرى سالفات إحسانه دينا له يقتضيه، وفي ذلك يقول الشاعر:

إن ألجأ الدهر إلـى حاجـة   ورمت من تقضي سريعا لديـه
يمم كريمـا فـالكريم يـرى   إكرام من وافـاه دينـاً عليـه
وضده إن جـاد ظـن الـذي   جـاد بـه دينـا يُـردّ إليـه

ويقال: الكرم بذل الموجود وإنجاز الموعود، والوفاء بالعهود:

إذا جدت بالموجود والعهد لم تخـن   وأنجزت الموعود أنت كـريم

ومما يدل على كرم المرء أنه إذا ذل إخوانه لم يشمت بهـم، بـل ينظرهم أنهم صاروا أهلاً لأن يُعزّهم وأنهم صاروا أهلا للعطية وقصدهم بها ولذلك قلت:

وأب أو أم إذا ذل أخ   رأوه آض آل دفء أوخ
ورأسٌ دان وده راء وآب   ذربَ دربِ أدبِ ودبٌ داب

(اللغة) الرأس معروف، وأعلى كل شيء، وسيد القوم كـالرئيس والرئيس جمعه أرؤس ورءوس، والقوم إذا كثروا وعزوا ورأس مـرأس مصدر للرؤس ورؤس مرائيس ورؤس كركع، ورميت منك في الـرأس ساء رأيك في، ورأس المال أصله، والأعضاء الرئيسة القلـب والـدماغ والكبد والأنثيان، ورأسه كمنعه أصاب رأســه والـرءاس كشـددا بـائع الرؤوس، والمرءوس: الرعية والذي شهوته في رأسه لا غير، ورأسـته

إذا جعلته رئيساً، وارتأس صار رئيسا كترأس (دان) اسم فاعل من دنا دنواً ودناوة: قرب كأدنى، ودناه تدنية، وأدناه: قربه، واستدناه: طلب منه الدنو، والدناوة القرابة والقربى، والدنيا نقيض الآخرة، وقد تنون، جمعه دنى، وهو ابن عمي أو ابن خالي أو ابن عمتي أو خالتي أو ابن أخي أو أختي دنية ودنيا ودنيا، ودانيت القيد ضيقته، وناقة مدنية ومدن: دنا نتاجها، والدني كغني: الساقط الضعيف، ولقيته أدنى دني كغنى وأدنى دنا أول شيء، وأدنى أدناه عاش عيشاً ضيقا، ودنى في الأمور تدنية تتبع صغيرها وكبيرها، وتدنى دنى قليلا وتدانوا: دنا بعضهم من بعض (وده) أي أحبه وتقدم الكلام على هذا اللفظ عند قولنا، وود ذا وداد ذلك (راء) اسم فاعل من رأي، وتقدم الكلام عليه عند قوله رآه رأى راض، وتأتي رأى من غير البصرية بمعنى علم وهو الكثير، وبمعنى ظن قليل، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧] أي: يظنونه ونعلمه، وهذه تتعدى إلى مفعولين، فإن كانت بمعنى الرؤيا أو من الرأي أو بمعنى أصاب رؤيته تعدت إلى واحد، ومن العلم قوله من الوافر:

رأيت الله أكبر كل شيء محاولة وأكثرهم جنودا

فلفظ الجلالة مفعول أول، والثاني أكبر، ومحاولة تمييز أي من حيث المحاولة أي القدرة والطاقة، وأكثرهم بالنصب عطف على أكبر وجنوداً تمييز أيضاً والتمييز فيهما محول عن الفاعل (وآب) أي رجع والأوب والإياب ويشدد والأوبة والأيبة والأيبة والتأويب والتأييب

والتأوب الرجوع، قال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:١٠] أي: ارجعي معه بالتسبيح، أي: يسبح هو وترجع هي معه التسبيح لأنه قال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص:١٨] ومنه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] أي: تواب راجع إلى مرضاة الله، ومنه: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٩] ومنه: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥] وفي الحديث: «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصلان من الضحاء» أي إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضاء فصلاة الضحى تلك الساعة والرمضاء شدة الحر والمآب: المرجع والمنقلب، قال تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ:٢٢] ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ:٣٩] والأوب السحاب والريح والسرعة ورجع القوائم في السير والقصد والعادة والاستقامة والنحل والطريق والجهة وورد الماء ليلا وجمع آئب كالأوراب والإياب وأبه الله: أبعده، وأبك وآب لك مثل ويلك، وأبت الشمس إياباً وأيوباً: غابت وتأوبه وتأيبه أتاه ليلا وأوب غضب وأوبته، والتأويب: السير جميع النهار، وبينهما ثلاث مأوب: ثلاث رحلات بالنهار (ذرب) أي حديد اللسان، ذرب كفرح ذرباً وذرابة فهو ذرب حد وكمنع أحد كذرب وقوم ذُرْب بالضم أحداء، والذربة بالكسر السليطة اللسان، وهو ذرب والغدة جمعه كقرب وكتراب السم، وسيف مذرب كمعظم: مسموم والمِذْرَب كمنبر: اللسان (درب) الدرب باب السكة الواسع والباب الأكبر جمعه دراب وكل مدخل إلا الزوم أو النافذ منه بالتحريك وغيره بالسكون، ودرب به كفرح درباً ودربة بالضم ضرى كتدرب ودردب

ودربه به و عليه وفيه تدريباً ضراه والمدرب كمعظم المنجذ المجرب والمصاب بالبلايا والأسد، ومن الإبل: المؤدب الذي ألف الركوب وعود المشي في الدروب وهي بهاء، وكل ما في معناه مما جاء على مفعل فالفتح والكسر جائزان في عينه إلا المدرب والدربة بالضم عادة وجرأة على الأمر والحرب كالدرابة بالضم، وسنام الثور الهجين وعقاب دارب على الصيد، ودربة كفرحة، وقد دربته تدريباً، والتدريب الصبر في الحرب وقت الفرار، والدربار ويكسر البواب فارسية (أدب) الأدب محركة الظرف وحسن التناول أدب كحسن آدباً فهو أديب جمعه أدباء، وأدبه: علمه فتأدب واستأدب، والأدبة بالضم والمأدبة طعام صنع لدعوة أو عرس وأدب البلاد إيداباً ملأها عدلاً، والأدب بالفتح العجب كالأدبة ومصدر أدبه يأدبه دعا إلى طعامه كآدبه إيداباً وأدب يؤدب أدباً محركة عمل مأدبة وأدبه وأدب البحر كثرة مائه (ودب) أي مشى على هينته يقال: على هينتك أي رسلك أي رفقك وتؤدتك، دب يدب دباً ودبيباً مشى على هينته وهو خفي الدبة كالجلسة، ودب الشراب والسقم في الجسم البلى في الثوب سرى وعقابه سرت نمائمه وأذاه وهو دبوب ودبيوب أو الدبوب الجامع بين الرجال والنساء، والدابة ما دب من الحيوان وغلب ما يركب ويقع على المذكر، ودابة الأرض من أشراط الساعة أو أولها تخرج بمكة من جبل الصفا ينصدع لها والناس سائرون إلى منى أو من الطائف أو بثلاثة أمكنة ثلاث مرات معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام، تضرب المؤمن بالعصا وتطبع وجه الكافر بالخاتم فينتقش فيه: "هذا كافر" ويقال: أكذب من دب ودرج أي الأحياء والأموات

وأدببته حملته على الدبيب، والبلاد: ملأتها عدلاً فدب أهلهـا (داب) داب دوبا كدأب ودأب في عمله كمنع دأباً ويحرك، ودؤبا بالضم جـد وتعـب وأدأبه، والدأب أيضاً ويحرك الشأن والعادة والسـوق الشـديد والطـرد والدائبان: الجديدان، وفي "عجالة الراكب" الدأب بالفتح ويحرك: العـادة قال تعالى ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران:١١] ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِـنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف:٤٧] أي متتابعات، وهو مشتق من دأب في عمله كمنع إذا لازمه فهو دائب، ومنـه: ﴿وَسَـخَّرَ لَكُـمُ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ دَآئِبَـينَ﴾ [إبراهيم:٣٣] أي جاريين في فلكيهما لا يفترقـان (الإعـراب) رأس إن شئت رفعته على أنه مبتدأ، والخبر جملة (وده) وإن شئت نصبته علـى الاشتغال، دان مضاف إليه، وده فعل ومفعوله وفاعلـه راء، وآب فعـل ماض فاعله ضمير يرجع إلى راء، وذرب حال مـن فاعـل آب، درب مضاف إليه، أدب مضاف بعد مضاف، ودب فعل ماض فاعلـه ضـمير يرجع إلى راء وإن شئت جعلت دأب بعده كذلك، وإن شئت جعلته حـالاً من فاعل دب وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة ويكون أصـله ذا دأب وحذفت الهمزة تخفيفاً نحو سال سائل عند بعضهم (المعنـى) يعنـي أن رأس القريب أحبه أو قبله الرائي القريب ورجع إليه حال كونـه حديـد اللسان بالترحيب والتبجيل في طريق أدب ومشى إليه مشياً شـديداً، لمـا قال لك في البيت الذي قبل هذا إن الأب الأم والأخ إذا ذل أخ رأوه أهلاً للعطية وقصدوه بها أردفه في هذا البيت بما هو أعم من ذلـك مـن أن القريب إذا رأى قريبه من حقه أن يقوم إليه ويقبل رأسه ويسـرع إليـه بالترحيب والتبجيل حال كونه مع ذلك ملازماً للأدب والتوقير ويدوم على

ذلك ولا يتغير عنه سواء ذل القريب أو عز وافتقر أو استغنى، واعلم أن ما يفعل مع القرباء تقدم منه ما يكفي من وفقه الله لسبيله، وسواء في ذلك الوالدان والإخوة والأرحام كلها فراجعه إن شئت، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء:٣٦] أي: بكل من بينكم وبينه قربى ومن أخ أو عم أو غيرهما ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي الذي قرب جواره ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الذي جواره بعيد، وقيل: الجار الغريب النسيب، والجار الجنب: الأجنبي ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقاً في السفر وإما جاراً ملاصقاً وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذللك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل: للصاحب بالجنب: المرأة، وكل هؤلاء يلزم معهم الإحسان والأدب فالإحسان ضد الإساءة والأدب لغة تقدم تعريفه، وهو في الجملة ثلاثة أقسام كما قرره غير واحد من العلماء الأعلام، فالأول: ما طبع عليه الإنسان في جبلته وكان في أصل خلقته وفطنته كالشجاعة والجود وحسن الخلق والوفاء بالعهود، والثاني: ما يكتسبه المرء بالحفظ والتذكار والنظر والتأمل والاستبصار كاللغة والأشعار والنحو ورقائق الأخبار، والثالث: حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس، وإذا أطلق الأدب في العرف عند أهل الظاهر فالمراد به الثاني، وعند أهل الباطن: الثالث، وقد يراد به الشعر وهو الكثير الغالب ولا إشكال أن الشعر على مراتب الأدب، ويكفيك في علوه ما قاله النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»

قال الإمام اليوسي - رحمه الله - أي: كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه، أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها، وهذا القول هو الذي في صحيح البخاري، قاله في تحفة الأريب وفيه: وقيل: الحكمة إصابة القول من غير نبوءة، وقال مجاهد: هي الإصابة في القول والفعل، وقيل غير ذلك، وقال ﷺ: «**الكلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا بما فيها** » وقال ﷺ: «**كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء** »وقال ﷺ: «**جمال المرء فصاحة لسانه**» وقال ﷺ: «**الشعر كلام من كلام العرب تتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن**» وقال لقمان لابنه: يا بني نافس في الأدب فإنه ميراث غير مسلوب وقريب غير مغلوب وحظ في الناس مطلوب. وفي شرح "شهية السماع": وحقيقة الأدب اجتماع أفعال الخير، فالأديب هو الذي اجتمعت فيه خصال الخير فقد قالوا: كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين، وقال الإمام عبد الله بن المبارك: الأدب أشرف أخلاق العبد، وقال أيضاً: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم، قال: الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف، وقال أبو نصر السراج: التوحيد موجب يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد له، والإيمان موجب يوجب الشريعة، فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد له، والشريعة موجب يوجب الأدب، فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له. وقال الأستاذ أبو علي الدقاق: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، ولا يصل إلى الله إلا بالأدب في طاعته. وقال أيضاً: ترك الأدب موجب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رُدّ إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب. وقال أبو بكر

الدينوري: ما ارتفع من ارتفع بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، وإنما ارتفع بالأدب وحسن الخلق، وقال الشيخ أبو السعود بن أبي العشائر: لم تصل أولياء الله إلى ما وصلوا إلا بالأدب، وقال سيدي علي الخواص: أشد العذاب سلب الروح، وأكمل النعم سلب النفس، وألذ العلوم معرفة الحق، وأفضل الأعمال الأدب، وبداية الإسلام التسليم، وبداية الإيمان الرضا، وقال أيضا: ثلاث خصال ليس معهن غربة: مجانبة أهل الريب وحسن الأدب، وكف الأذى، وأنشدوا:

ماوهب الله لامرئ هبة أشرف من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن فقدا ففقده للحياة أجمل به

وبالجملة فأقوال السلف والخلف في مدح الأدب والحث عليه كثيرة أثيرة (قلت): وأفضل الأدب ما كان مع الله تعالى في عبادته، وما كان مع النبي ﷺ في اتباع سنته، ثم ما كان مع الوالدين المتسببين في نشأته ثم ما كان مع شيخه المتولي لتربيته، فأما الأول مع الله سبحانه والنبي ﷺ والوالدان فقد تقدم من الآداب مع الجميع ما يكفي ويشفي، وأما الشيخ فلابد من ذكر طرف من الأدب بعد ذكر ثلاث آداب مع الله في ذكره من كلام صاحب "شهية السماع" وشرحه الأول قوله: ومنه – أي: ومن الآداب مع الله – الفرار من الغفلة عن الذكر؛ إذ الغفلة تدع العبد بيتاً للشيطان ومركوباً له – كما سيأتي – وقد روى الشيخان: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم**

ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله» وروى الطبراني: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها» وروى أيضاً: «من لم يذكر الله فقد برئ من الإيمان» وفي رواية: «من لم يكثر ذكر الله فقد برئ من الإيمان» وروى أيضاً: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» وروى أيضاً: «يقول الله يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني» وروى أيضاً: «إن رجلا قال: يا رسول الله أي المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله ذكراً، قال: فأي الصائمين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله ذكراً، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: أكثرهم لله ذكرا» فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «أجل» وروى أبو زيان: «سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل: يا رسول الله ومن أهل الكرم؟ قال: أهل مجالس الذكر» وروى ابن أبي الدنيا وغيره أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، وروى الترمذي – وقال: الحديث صحيح – أن رسول الله ﷺ قال: «أوحى الله إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن فأتاه عيسى فقال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل بهن، فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم، فقال: يا أخي لا تفعل فأنا أخاف إن سبقتني بهن أن يخسف بي أو أعذب، قال: فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعد الناس على الشرفات ثم خطبهم فقال: إن الله أوحى إليّ بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمر بني

إسرائيل أن يعملوا بهن، أولهن ألا تشركوا بالله شيئا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله من ذهب أوورق وأسكنه داراً فقال: اعمل وارفع إليَّ، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده مالم يلتفت، وأمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن للصيام أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه، وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل يطلبه العدا سراعاً في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فحرز نفسه منهم وكذلك للعبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله» والأخبار في فضل الذكر والحث عليه أكثر من أن تحصى وكذلك الآثار فقال أبو علي الدقاق - رضي الله عنه: الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل وفي "القاموس": المنشور ما كان غير مختوم من كتب السلطان وقال أيضاً: الذكر ركن قوى في طريق الله، بل هو العمدة في هذه الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بالذكر، وقال ذو النون: مَنْ ذَكَرَ الله حفظَهُ من كل شيء، وقال: ذكر الله بالقلب سيف المريدين، به يقتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التى تطردهم، وقال سهل: لا أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب، وإذا تمكن الذكر من القلب ثم دنا منه الشيطان صُرِع

كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين فتقول: ما هذا؟ فيقال: مسه الإنس، وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر، وقال أبو سليمان الداراني: إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكرون في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار، فربما يقف بعض الملائكة فيقال: له لم وقفت؟ فيقول: فتر صاحبي، وقال الحكيم الترمذي: ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنع الأعضاء عن الطاعة وقال أبو مدين التلمساني: أقرب رحلة تكون للمريد الذكر، وقال أيضاً: من دامت أذكاره صفت أسراره، ومن صفت أسراره كان في حضرة الله قراره، وقال الشبلي: كل من تساهل بالغفلة ولم تكن عليه أشد من ضرب السيوف فهو كاذب لا يجيء منه شيء في الطريق، وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: إذا ترك العارف الذكر نفساً أو نفسين قيض الله له شيطاناً فهو له قرين، وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك لا يؤاخذ إلا في مثل درجة أو درجتين أو زمان أو زمانين أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب، وقال: من نسي الله فقد كفر به كما ثبت في الخبر، قال: والنسيان يطلق على نسيان الغفلة والإعراض عن الحق وطريقه، وكلاهما مذموم، وقال الشيخ فضل الدين: لو كُشفَ لأحدكم لرأى إبليس يركبه كما يركب أحدنا الدابة ويصرفها كيف شاء طول الليل والنهار كلما غفل وينزل عنه كلما ذكر، قال: وأجمع القوم على أن الذكر مفتاح الغيب وجاذب الخير وأنس المتوحش وجامع لشتات صاحبه، وأن البلاء إذا نزل على قوم وفيهم ذاكر حاد عنهم البلاء، وأجمعوا أيضاً على أن

فوائده لا تحصى؛ لأن الذاكر يعني الحاضر بقلبه في ذكره يصير جليس الحق تعالى وحضرة الحق تعالى لا يَرِدُ عليها أحد ويفارقها بغير مـــدد، فيقال لمن ادعى أنه حضر بقلبه في ذكر مع ربه: ماذا أعطاك ربك فـــي هذا المجلس؟ فإن قال: ما أعطاني شيئاً، قلنا له: أنت لم تحضر معه فـــي ذكره، فاتخذ لك شيخاً يزيل عنك الموانع المانعة لك من الحضور، فإن لم يجد له شيخاً قلنا له: أكثر من ذكر الله بهذا اللفظ حتى تصير تحضر في ذكرك مع ربك. واعلم أن الحق تعالى لا يقرب عبداً إلى حضرته إلا إن استحيا منه حق الحياء ولايصح له أن يستحي كذلك إلا إن حصـــل لـــه الكشف ورفع الحجاب، ولا يصح له الكشف ورفع الحجاب إلا بملازمـــة الذكر. واعلم أيضاً أن مقام الإخلاص الكامل - وهو شهود الأعمال أنها خلق الله تعالى - لا يحصل إلا بمداومة الذكر؛ فإن أول ما يتجلى للعبـــد إذا اشتغل بذكر الله توحيد الفعل لله فإذا تجلى له ذلك خرج كشفاً ويقينـــا عن شهود كون الفعل له، وحينئذ يخرج عن طلب الثواب وعـــن الكبـــر والعجب والرياء به. واعلم أيضاً أن الأمراض الباطنة لا تخمد إلا بالذكر كما أن الخواطر الشيطانية لا تنقطع إلا به، وكذلك الخواطر النفسانية لا تضعف إلا به. واعلم أيضاً أن بمداومة الذكر يزول الهم والغم الواقعـــان للناس في هذه الدار؛ لأن ذلك إنما هو بقدر الغفلة عن الله، فـــلا يلـــومن العبد إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم؛ فإن ذلك جـــزاء بقـــدر إعراضه عن ربه فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر. واعلم أيضاً أنه قد يقنع بعض المغرورين بمجالس الذكر صباحاً ومساءً مع الغفلة عن الله فيما بينهما، وذلك لا يصل بالسالك إلى منازل القوم، وربمـــا يحـــتج

بحديث: «إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما» والمغفرة لا ترقي فيها، وغايتها أن تلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب، لا أنها تلحقه بمن فعل الطاعة فافهم، ومراد القوم دوام الترقي مع الأنفاس في المقامات، وذلك بدوام الذكر لله تعالى، ثم إنهم لا يرون أنهم قاموا بذرة واحدة من واجب حق الله تعالى (تتمة) الذكر على ضربين: ذكر اللسان، وذكر القلب، فذكر اللسان يصير العبد به إلى استراحة ذكر القلب والتأثير فيه، فإذا كان ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه (الثاني) قوله: ومنه – أي: ومن الأدب مع الله – الفرار من الإشراك في الذكر؛ وذلك لأن كل شيء أشركه المريد مع الذكر قطعه عن سرعة السير وأبطأ فتحه بقدره كثرةً وقلةً، ومن كلامهم: السالك من طريق الذكر كالطائر المجد إلى حضرات القرب، والسالك من غير طريق الذكر كالزمن الذي يزحف تارة ويسكن أخرى مع بعد المقصد فربما قطع مثل هذا عمره ولم يصل إلى مقصده، وقالوا: ليس للمريد دواء أسرع في جلاء قلبه من مداومة الذكر، فحكم الذكر في جلاء للقلب حكم الحصا في جلاء النحاس، وحكم غير الذكر من سائر العبادات حكم الصابون في جلاء النحاس، وقال النووي: الذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده مالم يقفله العبد بغفلته، وحيث أطلقنا الذكر فالمراد به (لا إله إلا الله) في حق المريد ما دام به هوى وإرادة، فإذا فنيت إرادته وأهويته كلها كلها كان ذكر الجلالة في حقه أكمل (الثالث) قوله: ومنه – أي: ومن الأدب مع الله – الفرار من الإسرار في الذكر إذ الذكر سراً لا يؤثر في قلب السالك ولا يرقيه كذكر الجهر، ومن

كلامهم إذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم مع الجهر طُويَتْ لـه مقامـات الطريق بسرعة من غير بطء، فربما قطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر ولا أكثر، وفي وصية سيدي علي الخواص: ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر فإنه أشد تأثيراً في دفع الخواطر الردية من الذكر سراً وجهراً، ومع الجماعة؛ فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع حجب النفس من ذكر الإنسان وحده، ووجه كون ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع حجب النفس كون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة والحجارة لا تنكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين عليه، وكذلك القلب لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين على قلب واحد، إذ قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد، وأما من حيث الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع رفقته (تنبيه) اختلفوا في الجهر بالذكر بشرطه والإسرار به أيهما أفضل؟ فقال بعضهم: الجهر بالذكر بشرطه أفضل مطلقاً من الإسرار لأن النفع فيه أكثر؛ ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر ويجمع فكره إلى الحضور ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط، وقال بعضهم: الذكر سراً أفضل مطلقاً، وبعضهم فصّل وقال: الذكر سراً أفضل لمن غلبت عليه الجمعية من أهل النهاية؛ قال "شارح الشهية": يؤخذ من هذا التفصيل أن خير الذكر الخفي إنما هو في حق من غلبت عليه الجمعية والله أعلم (تنبيه آخر) ينبغي أن يكون الجهر برفق إذ ربما ينزل في بطنه مرض فيتعطل جهره بالكلية، وللأشياخ في ذلك طرق شتى أخذ كلٌ بطريقة، فعلى المريد يأخذ بطريق شيخه وفريقه ولنصرف العنان إلى الكلام في الأدب مع الأشياخ؛ إذ هو الطريق إلى

المطلق الغاسل للأوساخ، فأقول وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، كما قاله غير واحد من الأشياخ الإعلام، لا سيما شيخنا - رضي الله عنه - وأرضاه في "سيف المجادلة" والشيخ سيدي محمد الخليفة في "جنة المريد" وغيرهما مما يعتني به من كل مرشد ذي قول سديد فقد قالوا كلهم: إن الاحتياج إلى الشيخ في هذه الطريق أمر متعين واعلم أن الطرق إلى الله تعالى كثيرة وقد تعلق كل شيخ بطريقة لا يتعداها، بل كلما تحملها خلف عن سلف أداها، وذلك مثبت للطالب على طريقه وممكن له من المواظبة عليها برسم تحقيقه من غير تشويش لعزمه ولا تشتيت لهمه بالميل تارة إلى هذه والميل إلى غيرها أخرى فيكون متذبذباً بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والمبتدئ غير مستقل بالاختيار؛ لأنه غير مستغن عن الشيخ في تعليم الآداب الظاهرات والشرائط المتعلقة بأعمال التعبدات ممن أخذها بالسند المتصل إلى النبي ﷺ الهادي المرسل من غير زيادة ولا نقصان؛ إذ هو الداعي إلى الله تعالى من كل الوجوه، والشيخ نائب عنه بمقتضى قوله: **«ألا فليبلغ الشاهد الغائب»** وقال تعالى: **﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾** [الأنعام:١٩] ولو فرضنا للمريد اختياراً ليس في وسعه الثبات عليه؛ إذ الولاية في باطنه للنفس والشيطان؛ فإذا شرع في طريقه وتعلق بها زين له الشيطان أخرى، وساعدته النفس وخيل بالبرهان أنها أفضل من هذه، ومقصوده إخراجه عن الأولى وقطع سلوكه عليه، فإذا انتقل عنها واشتغل بالأخرى زين له الأخرى وهكذا إلى أن يمل الطالب وتمكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى، فإذا كان في حكم شيخ تحت كنف ولايته حفظ الشيخ أحواله

بقوة ولايته المستفادة من نور الحضرة النبوية وثبته عليها بهمته العاملة وكلامه المؤثر فيعلم بديهة أن الداخل عليها شيطان فيضعف؛ إذ الشيطان لا يقوم أمام الشيخ، قال أبو النجيب للسهروردي في كتاب "آداب المريدين": أول ما يجب على المريد بعد الانتباه من الغفلة قصد شيخ مؤتمن ناصح عارف بالطريق، فيسلم نفسه لخدمته، ويعتقد ترك مخالفته ويتخذ الصدق حالاً في صحبته، ويلزم الشيخ أن يعرفه كيفية الرجوع إلى سيده، ويدله على الطريق المؤدية إلى رشده، ويسهل عليه سلوكها ولا يجوز للمريد مفارقة أستاذه قبل انفتاح عين قلبه، بل عليه أن يصبر تحت أمره ونهيه وفي خدمته حتى يكمل في تحريكه؛ لأنه لا بد له من مجالسته ما دام يجد لنفسه الملالة والقبض لينشطه بكلامه المنور بنور شهود الحق والحضور فتندفع عنه الملالة والقبض وتشتعل نار طلبه بحرارة نفس الشيخ وقربه، وكذلك ما دام يعرض له القنوط من قول الشيطان له إنك لا تصلح للحضرة للعيون الكثيرة التي أنت بها مرتد، فمثلك لا يصلح للحضرة الطاهرة مع تلوثه بهذه النجائس والخسائس الظاهرة، فيحصل له انكسار عظيم يفضي به إلى اليأس لاسيما وقد حصل من صفاء الباطن ونور الذكر ما أدرك به من كائن عيوب نفسه مالم يكن يدركه، فيصير الصفاء مدداً لهذا الخاطر الشيطاني فيعده لهذه الشبهة رحمانيا، وما أعلم أن مقصود اللعين من عرض العيوب عليه وحصول الانكسار له اليأس وذهاب النشاط لتثقل عليه الأعمال فيملها ويتركها بالتدريج، فمتى لم يكن في قرب شيخ وخفارته لم يتخلص من هذا المكر، بل لابد له من مجالسة الشيخ وقربه ولو نال الفتح في دقائق

العلوم وغوامض الأسرار والمكاشفات والكرامات لأنه ربما يحصل له الإعجاب به والتعلق به واعتقاد أنه عين الكمال فينقذه من ذلك تصرف الشيخ وإشارته، بل ولو وصل إلى التجليات لأن التجليات الروحانية كثيراً ما تلتبس بالتجليات الرحمانية، فيحسب المريد أنه وصل إلى المقصود الأقصى فينقطع، ولا يميز بينهما إلا الشيخ الواصل الكامل المكمل، إلى غير هذا مما يطول جلبه، فللمريد آداب منها ما هو شرط كمال فيه، ومنها ما هو شرط صحة في سلوكه، والأصل في ذلك الاقتداء بصحابة الرسول ﷺ البررة العدول، فأول ما يجب على السالك المريد إنقاذ مهجته من المهالك طلب شيخ يبصره بعيوب نفسه، ويخرجه من دائرة حسه، إذ من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى قاده الشيطان لا محالة إلى طرق الردى، إذ من سلك البراري المهلكة بنفسه من غير خبير ولا مشير خاطر بنفسه وأهلكها، فعلى المريد أن يعتصم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطيء البحر بالقائد الخبير، يفوض أمره إليه بالكلية فلا ينازعه في أمر ولا يخالفه في ورد ولا صدر، ويصحبه بالاحترام والتعظيم، ويتابعه على المنشط والمكره، ويتكشف له عما يعرض له في حاله أو يخطر في ضميره وباله، ولا يعترض عليه فيما يكون منه ولا ينظر في الأفعال الصادرة عنه، ولا يتعدى له أمراً ولا يتأول عليه كلاما، بل يقف عند ظاهر كلامه ولا يطلب علة الأمر الذي يأمره به، بل يبادر لامتثاله - عقل معناه أو لم يعقله - بل وإن تيقن خطأه، وليعتقد أن نفعه في خطأ شيخه أن لو أخطأ أكثر من نفعه لنفسه أن لو أصاب، وليقتد في ذلك بما وقع في قصة الكليم مع الخضر، واحذر

من الاعتراض على الشيخ بباطنك؛ فإنه السم القاتل للمريد وقد قالوا: الاعتراض سبب الانقراض، فقَلَّ أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيسلم، واعلم أنه متى صح توجه المريد بالقصد التام إلى الله تعالى رماه إلى شيخ ناصح، قال ابن عطاء الله: كن صادقاً تجد مرشداً واعلم أن المريد إذا كانت همته فوق معرفة الشيخ فلابد أن يفتح الله للشيخ في المعرفة التي تعلقت بها همة المريد ويرقى إليها وذلك من بركة صدق المريد، فمتى دخل المريد الصادق تحت حكم شيخ وتأدب بآدابه وصار على يقين مما خصه الله به سرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كما يقتبس السراج من السراج؛ إذ كلام الشيخ يلقح باطن المريد لأن نفائس الأحوال مستودعة في باطن الشيخ، فينتقل الحال منه إلى المريد بواسطة الصحبة والمقال، وهذا في مريد أحضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه بترك اختياراته، فيصير بين الشيخ والمريد امتزاج وتأليف روحاني، ثم لا يزال يترقي بترك الاختيار معه حتى يصل إلى ترك الاختيار مع الله، ويفهم من الله ما كان يفهم من الشيخ وليس الكشف من شرط الشيوخة وإن كوشف الشيخ فما كوشف به من حيث اقتضاء الشيوخة ذلك وإنما يكون في مصلحة ما أراد الله تعالى في ذلك الأمر إما في حق الشيخ أو في حق غيره على يديه، فمن دخل على شيخ ليختبره فهو جاهل هالك، فإن الشيوخ لا يُختَبَرُون ولا يطلب منهم الكلام على الهواجس وإنما تراد منهم معرفة الأمراض والأدواء وأدويتها لاغير، واعلم أن المريد إذا فارق الشيخ وتركه قبل أوان انفطامه يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال

الصبي المفطوم قبل انفطامه، واعلم أن تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب إذ لا تخلو من نية صالحة فيها فيجب عليه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع اعتباراً بقضية الخضر وموسى عليهما السلام، واعلم أن الشيخ إذا عاقب المريد على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليبشر بالقبول والفتح والرضا، وإن وقعت منه زلة وسوء أدب وعرف أنه سامحه ولم يعاقبه فليحذر من مكره في ذلك، أو من أن سكوته ناشئ عن علمه أنه لا يجيء منه شيء، وإن باسطه لم يترك تعظيمه، بل كلما انبسط معه فليزد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام، قال الشاعر:

كلما ازداد بسطة وخضوعا زدت فيه مهابة وجلالا

وليجلس بين يديه مطرقا مستوفزاً جلسة العبد بين يدي سيده، فإذا أمره بأمر فليثب إليه، إلا إذا لم يعرف ما أمره به فليتثبت حتى يعرف مراده فيه فلينفذه وإذا عرف له عدواً فليهجره في الله ولا يجالسه ولا يعاشره، وإذا رأى من يثني عليه ويحبه فليحبه، وليقض حوائجه ويتابع ويخدم كل من قدمه عليه وإن كان أقل علماً وعملاً، ولا يمشي أمامه إذا سار إلا إذا كان ذلك في ظلمة ليل أو خاضا سيلاً أو واجها خيلاً، ولا يديم النظر إليه؛ إذ ذاك يورث قلة الحياء والأدب ويخرج الاحترام من القلب، ولا يكثر مجالسته سيما في أوقات ضرورياته ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره، ولا يدخل عليه إلا قبّل يديه بإطراق، ويتحبب إليه

بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولا يطَّلع على أموره العائلية من أكل أو نوم، وإذا قدم إليه طعاما ما فليضعه أمامه لجميع ما يحتاج إليه ولينتح، فإن دعاه أجابه وإلا انتظره حتى يفرغ، فإن فرغ نحى الصحفة فإن بقي من طعامه وأمره بالأكل فليأكل ولا يؤثر بنصيبيه أحداً، وليجتهد ألا يراه إلا فيما يسره، وليعتقد أن طريقه أشرف الطرق، فإنه إن لم يعتقد تشوفت نفسه إلى ما هو أشرف منه، وما ثم طريق أشرف منه؛ فإنه طريق الملائكة والخلفاء من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين وهؤلاء الأصناف هم أعلم الخلق بالعلوم الإلهية التي هي أشرف العلوم وأجلها قال الغزالي - رحمه الله: ماذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالذكر، وآخرها الفناء بالكلية في الله إلى أن تكون حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة وليس وراء النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به؟ هذا آخر ما أورده والدنا شيخنا محمد فاضل بن مامين في تأليفه المسمى "بسيف المجادلة"، أورده الشيخ محمد الخليفة مع زيادات كثيرة في تأليفه "جنة المريد" وقد أتى بأكثر من ذلك كله وأبسط وأوفى الحبْر الفهامة العالم العلامة محمد ابن محمد بن سالم في كتابه "لوامع الدرر" عند قوله: كوالد وشيخ وإن لم يحلفا، وقد قيل لي إن أخانا الشيخ سعد الله ألف فيه - أي: أدب المواليد مع الأشياخ - تأليفاً رائقاً أجاد فيه وأفاد ولم أظفر به ولنا فيه منظومة مستقلة مطلعها:

الحمد لله الذي بالأدب　　　أعطى لقاطعيه كل أرب

وانتفع بها - ولله الحمد - كثير من خلق الله وله الحمد، وعقد له شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - فصلاً من كتابه المسمى "بكشف الحجاب" أفاد فيه وأجاد، وقد عقدت له باباً من كتابي المسمى "بنعت البدايات وتوصيف النهايات" جئت فيه بما لم أر غيري أتى به في كتاب تقبل الله من الجميع آمين.

وبالجملة فلم تزل الأمة من قديم وحادث تؤلف في هذا المعنى ويأتي كلٌّ بحسب ما أداه إليه اجتهاده وأمكن أن يفيد بذلك استناده والأصل في ذلك تأديب الله تعالى لصاحبه النبي ﷺ معه كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣] وكقضية موسى مع الخضر عليهما السلام وغير ذلك من الآيات، ثم إن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان - رضي الله عنهم - صار كلٌّ يفعل من ذلك ما أداه إليه اجتهاده ويستنبط منه ما يؤديه إليه اعتقاده، قال ابن عباس - رضي الله عنه: لما نزلت آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات:٢] قال أبو بكر - رضي الله عنه: يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يكلم النبي كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه، وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله ﷺ وقد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ، وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت، فتفقده رسول الله ﷺ، فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال له رسول الله ﷺ: «لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة» واعلم أن من آداب التلميذ مع الشيخ ألا يزال ناظراً إليه بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال، ويتواضع له ويخضع بين يديه ويهابه غاية المهابة، ويعلم أن خضوعه له عز، وذلته بين يديه رفعة ويقال إن الإمام الشافعي قيل له في ذلك فقال:

أهين لهم نفسي وهم يكرمونها ولم تكرم النفس التى لا يهينها

وأمسك ابن عباس على جلالة قدره بركاب زيد بن ثابت - رضي الله عنهم - وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، وقال أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - لخلف الأحمر: لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه، وقال الشافعي - رضي الله عنه: كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها، وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً له، ويقال: حضر

بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك بن عبد الله فاستند إلى حائط وسأل شريكاً عن حديث فلم يلتفت إليه شريك، فقيل له: أتستخف بأولاد الخلفاء، قال: لا، ولكن العلم أجل عند الله من أن يضيعه، أو العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه. ولا ينبغي أن يخاطب شيخه كخطاب الناس بتاء الخطاب أو كافه أو بمجرد اسمه، بل: ياسيدي، ويا أستاذي، ويا أيها العالم أو الحافظ أو نحو ذلك إذا ذكره في غيبته، وليتحرّ التلميذ الصالح للمشيخة بألا يتربى ولا يأخذ العلم إلا لمن هو أهل للتربية وبأن يأخذ عنه العلم، يعرف ذلك إما بالنظر إن كانت له يد في العلم، وإما بتقليد العارفين سؤالاً واستخباراً، فيأخذ عن المحقق الثقة ويتحرى في العلم أهل الدين المتؤدبين بآدابه، ويتحرى منهم من جعل الله تعالى الفتح على يديه للعباد رجاء أن يأخذ العلم وأدبه والعمل به؛ فإنه لا خير في علم بلا عمل ولا في زيادة علم مع نقصان أدب، وفي الحديث: «**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**» أخرجه "الجامع الصغير" من رواية أنس وأبي هريرة، وليحذر المريد غاية الحذر من ظن العصمة في الأشياخ لأن العصمة ليست إلا للأنبياء بعد النبوة إلا أن الغالب فيهم ولله الحمد الحفظ ومنهم المحبوبون الذين قيل فيهم: من سبقت له العناية لم تضره الجناية، قال القشيرى – رحمه الله تعالى: ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم، ويحسن الظن بهم، فقد سئل شيخ الطائفة – رضي الله عنه: أيزني العارف بالله تعالى؟ قال: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ [الأحزاب:٣٨] وصحب تلميذ شيخاً فرآه يزني بامرأة فلم يتغير في خدمته ولا أخل بشيء من مرسومات

شيخه ولا ظهر عليه نقص في احترامه، وقد عرف الشيخ أنه رآه، فقال له يوماً: يا ابني عرفت أنك رأيتني حين فعلت ما فعلت وكنت أنظر نفارك عني بذلك، فقال التلميذ: يا سيدي الإنسان معرض لمجاري أقدار الله عليه وإني منذ خدمتك ما خدمتك على أنك معصوم، وإنما خدمتك على أنك عارف بطريق الله، عارف بأوجه السلوك إليه الذي هو مطلبي، وكونك تعصى أولا تعصى بينك وبين الله ولا يرجع عليّ شيء من ذلك، فما وقع يا سيدي منك لا يوجب نفاري عنك وخروجي من خدمتك، وهذا هو عقدي. فقال له الشيخ: وفقت وسعدت هكذا هكذا ولا فلا، فبرع ذلك التلميذ بعد ذلك وجاء منه ما تقر به العين من حسن الحال وعلو المقام في رتبة الكمال، ويجب عليه كتمان ما أسر إليه به شيخه، كما فعل أنس بن مالك - رضي الله عنه - لما سألته أمه عن أمر أرسله إليه ﷺ فكتمه عنها، فقالت له: أصبت، قال قائلهم:

من ساروه فأبدى السر منكشفاً ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلا يحظى بقربهمُ ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

اللهم إلا أن يأمره الشيخ بإذاعته لمصلحة تعود إليه أو إلى غيره من إخوانه، ويقال: إن من حسن اعتقاد المريد أن يعلم أن الشيخ غير معصوم فلا يسقط من عينه بزلة ولا يزدريه بمعصية، لكن الشيخ لا يكون مصراً، بل هو تواب، والله يحب التوابين، ومن حسن اعتقاد المريد أيضاً أن يعلم أن الأولياء ورثة الأنبياء، والأنبياء خطأهم أن لو كان فهو صورة لا حقيقة لها وللوارث ما للموروث، ومن حسن اعتقاده أن يظن

بشيخه الخير في جميع المواطن لاسيما في أربعة وليحذر فيها من الظن به؛ فإنه السم القاتل، الأول: إن رآه في معصية؛ لأن العصمة كما تقدم ليست إلا للأنبياء بعد النبوة، وليس من شرط الشيخ إلا التوبة، والله يحب التوابين، الثاني: إن منعه شيئاً، بل يعد منعه منه عين العطاء؛ لأنه لا يمنعه شيئاً إلا إذا رأى له فيه مضرة، أو أراد له خيراً منه، الثالث: إن لامه على شيء؛ لأنه لا يلومه على شيء إلا أراد أن يكبت عنه الشيطان، ويصفيه في مستقبل الزمان، الرابع: إن باسطه لأنه كلما باسطه وأطلعه على بشرياته تأكد عليه حق التعظيم وخيف عليه من قول الكفرة: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون (تنبيه) يقال: إن ثلاثة لا يعرفون بثلاثة: الجليل جل جلاله لا يعرف بالعقل؛ لأن كل ما خطر ببالك فالله سبحانه بخلاف ذلك، والدار الآخرة لا تعرف بعوائد الدنيا؛ لأن الموت وما بعده خرق عادة، والأولياء لا يعرفون بالبشريات؛ لأنهم متلوثون بها أناء الليل وأطراف النهار إلا أن من أرادهم بالروحانيات والمغيبات شاهد منهم العجب العجاب، ووجد بشرياتهم كلها روحانية ربانية بلا ارتياب لا سيما الكمل وأحرى الأقطاب؛ لأن القطب لا يبقى لباس البشرية إلا وتلبس به أو ألبسه أحب أم كره أحب غيره أم كره إلا أن من نظره ربانياً وجده ربانياً ووجده في كل أفعاله في مقام. ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣] ووجده لا يفتر عن الاستغفار، ولا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ومن نظره في غير ذلك هلك به مع الهالكين، واغتر فيه مع المغترين، نسأل الله السلامة لنا ولأحبتنا أجمعين.

ومن آداب المريد مع شيخه ألا يمل من خدمته، ويحمد الله تعالى على ما أولاه منها، وليبشر بأن للخادم أجر القائم والصائم والمتعلم، وقال سيدي محمد بن سليمان الجزولي – رضي الله عنه: ومن فضائل خدمة الأولياء اكتساب العلوم والآداب ومعرفة رب الأرباب والعصمة من الذنوب والتباعد من العيوب والوصول إلى علام الغيوب، وقد كان للنبي ﷺ خادم يخدمه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] ومن كلامهم: من استخدمناه قدمناه، وقال بعض المشايخ: خدمة المريد سلم المراد، وأجمعوا على أن خدمة الشيخ مقدمة على خدمة الوالد عملاً بما مضى عليه عمل الصحابة معه ﷺ؛ لأنهم – رضوان الله عليهم – لم يزالوا يخدمون النبي ﷺ بأنفسهم وأموالهم وعيالاتهم ويعظمونه كل التعظيم حتى لقد بعث كسرى إليه رسولا وأمره بحفظ أحواله ﷺ وأحوال أصحابه معه، وقال فيما قال له: والله إن رأيت أحداً يعظم أحداً كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمداً، كانوا إذا توضأ ابتدروا فضل وضوئه حتى يكادوا يقتتلون عليه، ولا يتنخم نخامة إلا وقعت في كف أحدهم فدلك بها جلده، وإن أمرهم ابتدروا أمره، إلى آخر ما قال، وفي وصفهم قال مولود بن أحمد أجويد:

فما تظن بقوم بالهدى اقترنوا   يجرون أين جرى يحجون أين حجا

ولما كانت خدمة الشيخ مقدمة على خدمة الوالد كان حقه على المريد أعظم من حق الوالد على ولده، وبره آكد من بره؛ لأن الشيخ

سبب في الحياة الباقية والنعيم السرمدي، والوالد سبب في الحياة الفانية المعرضة للفتن والعيش الزائل، ولبعضهم:

يا فاخراً بالعظام والسلف وتاركاً للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب لأن جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خير أب ذاك أبو الروح لا أب النطف

وقد ورد: خدمة الولي سنة خير من عبادة ستين سنة، وفي بعض تصانيف الشيخ سيدي المختار وابنه سيدي محمد - رضي الله عنهما - أن خدمة المريد لشيخه يوماً واحداً تعدل عبادة مائة سنة، ويتبع إشارته فيما يأمره به، قال الشيخ أبو حامد - رضى الله عنه: ومهما أشار عليه شيخه بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه، فخطأ مرشده أرفع له من صوابه في نفسه، وقد نبه الله تعالى على ذلك في قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧] هذا مع علو قدر موسى في الرسالة والعلم حتى شرط عليه السكوت فقال: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠] ويعتقد أنه أبوه بالولادة الروحانية، وهي أفضل من الطبيعة الطينية، فلا يزال مثنياً عليه ومستغفراً له وداعياً له، ومسدياً إليه غاية ما أمكنه من الإحسان مالاً وخدمة كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولا يزال ساعياً في مكافأته بكل وجه يمكن، وفي الحديث: «من أهدى إليكم معروفاً فكافئوه» وكل ما يفعله في حضوره يفعله في غيبته

ويجاوب عنه من يذكره بسوء، وإن عجز قام عن المجلس، وكذا يعامل أولاده ومواليه وأقاربه وأحباءه وسائر من له به نسبة، وهذا شأن الصحبة والمحبة كما قيل:

وقالوا يا جميل أتى أخوها فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

ومن آداب التلميذ مع الشيخ أن يصبر على هفوة شيخه وشراسته إن كانت في خلقه، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن اعتقاده فيه، وإلا حرم ما عنده، وقد قال قائل لسفيان بن عيينة: إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك، فقال للقائل: هم حمقى إذاً مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي. وليتلطف في إدخال السرور على قلب الشيخ وفي استعطاف قلبه وفي مصالحته إن جفا أو غضب، ولينسب الذنب إلى نفسه وليبالغ في الأعذار والتوبة والاستغفار والانكسار، ولينسب كل نقيصة إلى نفسه وكل فضيلة إلى شيخه ولا يجادله ولا يماري، وليتحمل بحسن التحمل ما تجده النفس هنالك من الذل والهوان رجاء ما يعقبه من العز والرفعة كما يتحمل ما يلقى من الغربة والضيق وسوء الحال؛ فإن عاقبة ذلك كله خير، ولبعضهم:

فمن لم يذق ذل التعلم ساعةً تجرع كأس الجهل طول حياته

وقبل هذا البيت:

واصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوم العلم في نفراته

وبعده:

ومن فاته التعليم حال شبابه عليه فكبر أربعاً لوفاته

(حكاية) يحكى أن أبانا شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين - رضي الله عنه، آمين - كان يلعب مع الصبيان وهو في غاية الصبية إذ رأوا جملاً من بعد وعليه رجل عليه عمامة وحوله الناس ما بين مشيع وسائر معه، فقال شيخنا: من هذا؟ فقالوا له: ذلك سيدي أحمد الولي الشريف الذي له من المزايا كذا وكذا، فجعل يعدو بأثره حتى وصله، فلما وصله نظر إليه الشريف وأمسك الجمل عن السير بعد أن رأى الناس يقبلون شيخنا ويقولون: مرحباً مرحباً، فقال له شيخنا: أيها الشريف إني جئت زائرك، وأريد أن تدعو الله لي بخير، فقال لهم الشريف: مَنْ هذا الصبي الذي يقول هذا؟ فقالوا له: ذلك ابن مامين فلان، فقال لهم: ارفعوه لي فرفعوه له فوضعه على فخذيه بينه مع قربوس راحلته، وجعل يقبله ويمسح يده على رأسه، فقال له: تريد أن أدعو لك بالعلم الظاهر أو بالعلم الباطن؟ فقال له شيخنا: أريد أن تدعو لي بهما، فقال له: إن كنت تريد العلم الظاهر فتعلم هذا البيت وحكى عليه البيت المتقدم حتى حفظه، وإن كنت تطلب العلم الباطن فتعلم هذا البيت:

وقدم فتوحا إذ عليه مدارها فإن طريق الشيخ بذل العطية

فتعلم شيخنا البيتين وعمل بهما ما شاء الله حتى أعطاه الله ما أعطاه بالتمام، وله الحمد والشكر على ما أولاه من بين الأنام، وكلا هذين البيتين حكمة بالغة فيما هو فيه؛ لأن من لم يصبر على ذل التعلم ساعة من عمره شرب قدح الجهل طول عمره، وما أمرّه من شراب، ولأن تقديم الهدايات للأشياخ ينال به في طرقهم من الخيرات مالا ينال بغيره

كائنا ما كان حتى قيل: إن صدق المريد لا يظهر إلا في هديته ولو بلغ ما بلغ، ويقال: إن المريد ما دام لم يصدق في الإرادة لا تسهل عليه العطايا للأشياخ، وإن صدق سهلت عليه بإذن الله، وأما إن ذاق قلبه طعم المعارف فإنه لا يتمالك أن يملك مع أشياخه شيئاً من مال ولا تبجيل، وقد ورد في الحديث: «**بجلوا المشايخ؛ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله**» وفيه: «**أكرموا العلماء؛ فإنهم ورثة الأنبياء**» وأنشدوا:

إن المعلم والطبيب كليهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما: ذللت طالباً وعززت مطلوباً. ولا ينادي الشيخ من وراء الحجرات، ولينتظر خروجه وليصبر إن كان نائما حتى يستيقظ، وليحذر من الالتفات يميناً وشمالاً أو فوق أو تحت عن الشيخ، ولا سيما عند كلامه معه، ولا يضرب بكميه، ولا يحسر عن ذراعيه، ولا يعبث بيديه أو رجليه، ولا يشبك أصابعه ولا يفرقعها، ولا يعبث بلحيته، ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط أو وسادة أو على يده إلى ورائه، ولا يولي الشيخ ظهره أو جنبه، ولا يكثر الكلام بغير حاجة، ولا يتنحنح ولا يتنخم ما أمكنه، فإن غلبه أخذ ذلك في ثوبه من غير صوت وحكة، وليخفض الصوت عند العطاس جهده، وليسد فاه عند التثاؤب، وليحذر من التثاقل والتكاسل عند الأمر، وليحذر من قوله: لم ترد ذلك، أو لم تفعل ذلك، فقد قيل: من قال لشيخه: "لم" لم يفلح أبداً وليسابق في الأمر العام من أراد أن يفعله حتى يسبقه إليه؛ لأن السابقين

مقربون والممتثلين محبوبون، وليتحفظ من مواجهة الشيخ لصورة الـرد عليه، كأن يقول له الشيخ: أنت قلت كذا أو مرادك كذا، أو خطـر فـي فهمك أو خطر لك كذا، فيقول: لا، ما قلت هذا وما خطر لي هذا، ومـا هو مرادي ونحو هذا، بل إن كان خطأ فيقول: إني تائـب وأسـتغفر الله وإن كان صوابا فليحمد الله وليقل له: ذلك من بركتكم. وبالجملة فـآداب المريدين كثيرة وقد أتى كل متكلم عليها بما أمكنه، والمـراد الإعـلام لا الإتمام، فلنقتصر على هذا القدر منها، ومن أراد استيفاء جلهـا فليطـالع كتاب ابن محمد سالم "اللوامع" عند قوله: كوالد أو شيخ، أو "جنة المريد" أو كتابنا المسمى بـ"نعت البدايات وتوصيف النهايات"، ومن آكد حقه إذا رآه قريبا أن يقوم إليه ويقبل رأسه أو يـده أو رجلـه، ويسـرع إليـه بالترحيب والتبجيل حال كونه مع ذلك ملازماً للأدب والتوقير كما يفعـل - بل فوق ما يفعل - مع القريب والذي قلت فيـه: (ورأس دان وده راء وآب ذرب درب أدب ودب دائب) لأن الشيخ أحق بذلك، وآكد حقاً من كل ما هنالك، ثم قلت:

وألَّ إلَّ راوه وإذ روى وارده زيَّ وروده زوى

(اللغة) (ألَّ) في مشيه يؤلّ ويئلّ: أسـرع واهتـز أو اضـطرب واللون: برق وصفا، وفرائصه: لمعت في عدو، وفلاناً: طعنـه وطـرده والثوب: خاطه تضريباً، التضريب خلط الشـيء بالشـيء، وألَّ عليـه: حمله، والمريض والحزين يئل ألا وأللا وأليلا: أنّ وحنّ ورفـع صـوته بالدعاء وصرح عند المصيبة، والفرس: نصب أذنيه وحددهما، والصقر:

أبي أن يصيد، وكأمير الثكل أي الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولـــد كالإليلة وصليل الحصا والحجر وخرير الماء وكسفينة الراعيـــة البعيـــدة المرعى كالألة بالضم (إل) الإل بالكسر: العهد والحلف وموضع والجار والقرابة والأصل الجيد والمعدن والحقد والعداوة والربوبيـــة واســـم الله تعالى، وكل اسم آخره إل أو ائل فمضـــاف إلـــى الله تعـــالى، وللـــوحي والأمان والجزع عند المصيبة، ومنه روي: عجب ربكم من إلكم فـــيمن رواه بالكسر، ورواية الفتح أكثر، ويروى أن لكم، وفي "عجالة الراكب": والإل بالكسر: المولى سبحانه، أو القرابات، قال تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨] ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [التوبة:١٠] وقال الشاعر:

إن الوشـــاة كثيـــر إن أطعـــتهم لا يرقبـــون بنـــا إلّـــاً ولا ذمـــة

وفي "تفسير غريب القرآن" لأبي بكر محمد بن عزيز: (إل) على خمسة أوجه: الله عز وجل، وإل: عهد، وإل: قرابة، وإل: حلـــف، وإل: جوار (راوه) اسم فاعل من روى الحديث يروي رواية وترواه بمعنى أي: حفظه، وهو رواية للمبالغة، والحبل فتله فارتوى، وعلى أهله ولهم: أتاهم بالماء، وعلى الرحل: شده على البعير لئلا يسقط، والقوم: اســـتقى لهـــم ورويته الشعر حملته على روايته كأرويته، وفي الأمر: نظرت وفكـــرت والاسم: الروية، ويوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعـــد أو لأن إبراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر فيه، وفي التاسع عـــرف وفي العاشر استعمل، والرَّوِيّ حرف القافية، وســـحابة عظيمـــة القطـــر

والشرب التام، والراوي من يقوم على الخيل (وإذ) على أربعة أوجه أحدها: أن تكون اسماً للزمان الماضي، ولها أربعة استعمالات، أحدها: أن تكون ظرفاً وهو الغالب نحو: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة:٤٠] والثاني: أن تكون مفعولاً به، نحو: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦] والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولا به بتقدير: "اذكر" نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ [البقرة:٣٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ﴾ [البقرة:٣٤] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة:٥٠] والثالث: أن تكون بدلاً من المفعول نحو: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ﴾ [مريم:١٦] فإذ بدل اشتمال من مريم والرابط الضمير العائد إليها المستتر في الفعل، أي: واذكر وقت انتباذ مريم، وهذا على حد البدل في: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٧] وقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ [المائدة:٢٠] يحتمل كون إذ فيه ظرفاً للنعمة، فيكون من الاستعمال الأول، ويحتمل كونها بدلاً منها – أي: من النعمة، أي: بدل كل – فيكون من الاستعمال الثالث الذي نحن فيه، الرابع: أن يكون مضافاً إليه اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو: يومئذ، حينئذ، تقول: أكرمتني فأثنيت عليك يومئذ، فاليوم والحين صالحان للاستغناء عنهما لجواز أن تقول: ما أثنيت عليك إذ أكرمتني، والمعنى واحد، وغير صالح له نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] أي لا تزغ في قلوبنا بعد زمن هديتنا، فالظرف المضاف هنا وهو "بعد" لا يصلح للاستغناء عنه فيحذف لعدم ما يدل عليه، واعلم أنهم اتفقوا على أن "إذ" ظرف متصرف

ثم اختلفوا، فقيل: تخرج عن الظرفية إلى كونها بدلاً، ومفعولاً به، ومضافاً إليها والجمهور قالوا: لا تخرج إلا لكونها مضافاً إليها، أي: عندهم "إذ" لا تقع إلا ظرفاً وهو الاستعمال الأول، ومضافاً إليها وهو الاستعمال الرابع، وأنها في نحو: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً﴾ [الأعراف:٨٦] ظرف لمفعول محذوف، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلاً، وفي نحو: ﴿إِذِ انتَبَذَتْ﴾ [مريم:١٦] ظرف لمضاف إلى مفعول محذوف، أي: واذكروا قصة مريم، ويؤيد هذا القول التصريح بالمفعول في: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً﴾ [آل عمران:١٠٣] والوجه الثاني أن تكون اسماً للزمن المستقبل، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤] أي: يوم إذا زلزلت الأرض، وهو يوم النفخة الثانية، وهو مستقبل، والجمهور لا يثبتون هذا القسم – أي: الاستقبال – ويجعلونها للمُضيّ دائما ويجعلون الآية من باب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩] أعني: من تنزيل المستقبل والواجب الوقوع منزلة ما قد وقع، والوجه الثالث: أن تكون للتعليل نحو: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف:٣٩] قوله: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ قوله: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ هو تعليل لنفي النفع المأخوذ من لن، أي أنهم لعظم ما هم فيه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب بحيث يتسلون ويتأسون به كما كان في دار الدنيا من أن المصيبة إذا عمت هانت، والمعنى: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا، والوجه الرابع: أن تكون للمفاجأة، نص على ذلك سيبويه، وهي الواقعة بعد أو بينما كقوله:

استقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

وهل هي - أي: إذ التي للمفاجأة - ظرف مكان أو زمان، أو حرف لمعنى المفاجأة، أو حرف توكيد، أي: زائد؟ أقوال، والمراد بالمفاجأة البغتة، انظر بقية الكلام عليها في "مغني اللبيب" و"حاشية الدسوقي" عليه، فإنهما أفادا وأجادا (روي) روي من الماء واللبن كرضي ريا وريا، وروى وتروى وارتوى بمعنى، والشجر تنعم كتروى، والاسم الرّى "بالكسر"، وأرواني، وهو ريان، وهي ريا جمعه: رياء، وماء روى وروي ورواء كغنى وإلى، وسماء كثير مرو، والرواية للمزادة فيها الماء والبعير والبغل والحمار يستقى عليه (وارده) اسم فاعل من ورد على الماء وغيره ورداً وروداً: أشرف عليه، دخله أو لم يدخله، كالتورد والاستيراد، وهو وارد من وُرّاد ووارِدين، والورد: النصيب من الماء، والقوم يردون الماء كالواردة، ووارده: ورد معه، والموردة مأتاة الماء، والجادة كالواردة، والوريدان عرقان في العنق جمعه أوردة وورود والورد أيضاً: الجزء من القرآن، والقطيع من الطير، والجيش وعيشة وردة أحمر أفقها، قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٩] وهو جمع دهن، وقيل: الأديم الأحمر (زي) الزي بالكسر: الهيئة، جمعه أزياء، وتزيا الرجل وزييته تزيية (وروده) الورود تقدّم قريباً أنه الإشراف على الشيء، وأورده: أحضره المورد كاستورد، وتورد طلب الورد، والبلدة: دخلها قليلاً، ووردت الشجرة توريداً: نورت والمرأة: حمرت خدها، والوارد: السابق الشجاع، ومن الشعر: الطويل المسترسل (زوى) زواه زيا وزويا: نحاه فانزوى، والسر عنه: طواه، والشيء:

جمعه وقبضه، والزاوية من البيت: ركنه، جمعه زوايا، وتـــزوى وزوى ولنزوى صار فيها (الإعراب) ألّ فعل ماض، إلٌ: فاعله، راوه مضـــاف إليه، والهاء مضاف بعد مضاف، إذ: ظرف، روى فعـــل مـــاض، وارده فاعله والهاء مضاف إليه، زي مفعول بزوى آخر البيت، وروده مضاف والهاء مضاف بعد مضاف، زوى فعل ماض فاعله ضمير يرجـــع إلـــى وارده (المعنى) يعني أنه برق وصفا عهد حافظ هذا الكلام الذي تقدم إذا وفى به؛ لأن من تعلم علما كأنه عاهد على العمل به، وإذا وفـــى بـــذلك العهد صفا وحسن، وحين روى أي امتلأ وارده جمع هيئة وروده وهـــي العطش على العمل كما كان عطشاً على العلم. اعلم أنه أشار لك في هذا البيت على مسألتين ترغيباً فيهما، الأولى: الوفاء بالعهد، والثانية: العطش على العمل بعد العلم، أما المسألة الأولى وهي: الوفاء بالعهد فلـــتعلم أن من أمتن أسباب الكرم والحسب والديانة وفاء العهد وأداء الأمانة، والوفاء من أفضل شمائل العبد، وأوضح دلائل المجد، وأقوى أسباب الخلاص في الود، وأحق في الأفعال بالشكر والحمد. وقالوا: من صحب الناس بلسان صادق، وعاشرهم بحسن الخلائق، وألزم نفسه رعى العهود والمواثيـــق، فقد أرضى الخالق والخلائق، وقالوا: حسب المرء من مكـــارم الأخـــلاق رعي العهد والميثاق، وقالوا: بالوفاء تُملّك القلوب، وتُستدام الألفـــة بـــين المحب والمحبوب، وقالوا: من تحلى بالوفاء، وتخلى عن الجفاء فذلك من إخوان الصفاء، وقالوا: الوفاء من شيم الكرام، والغدر من خلائق اللئـــام، ويقال: إذا تُرك الوفاء، نزل البلاء، وقالوا: من أودع صدور الرجال ملك أعناقهم، ومن أوصافه ﷺ الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم، ويروى عن

عبد الله بن أبي الحمساء: «بايعت رسول الله ﷺ فبيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو في مكانه فقال: يافتى لقد شققت عليّ، أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك» وعن أنس كان النبي ﷺ إذا أوتي بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة، إنها كانت تحب خديجة» وعن عائشة قالت: ما غرت على أحد ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح للشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فارتاح لها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» ويقال أوفى من السموأل وهو السموأل ابن عاديا اليهودي، ومن أمره أن امرأ القيس أودعه أدراعه وكراعه وقيل: الأدراع وحدها، فمات امرؤ القيس فقصد بعض ملوك غسان السموأل يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده، فأبى أن يسلمه، فقال: إن لم تسلمه ذبحت ولدك -- وكان أسره عند نزوله على القصر الذي فيه السموأل فقال: أجلني الليلة، ثم جمع أهله واستشارهم، فكل أشار عليه بأن يدفع إليه ما طلبه منه فلما أصبح قال: ليس إلى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك، فذبح ولده ورحل عنه، ثم إن السموأل وافى الموسم بالأدراع فدفعها لورثة امرئ القيس، وفيه يقول الأعشى يخاطب شريح ابن السموأل:

كن كالسموأل إذا طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

إلى أن قال:

أأقتل ابنك صبراً أو تجيء بها ... طوعاً فأنكر هذا أي إنكار

فشك أوداجه والصدر في مضض ... عليه منطوياً كاللذع بالنار

واختار أدراعه من أن يسب بها ... ولم يكن عنده فيها بختار

وقال لا أشتري عاراً بمكرمة ... فاختار مكرمة الدنيا على العار

والصبر منه قديماً شيمة خلق ... وزنده في الوفاء الثاقب الواري

وقال سعيد بن عفيرة في هبيرة بن هشام:

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه ... هبيرة في الطائي وفاء السموأل

وقاه المنايا إذ أتته بنفسه ... وقد برقت في عارض متهلل

وقد مدح الله تعالى الوفاء بالعهد في كتابه العزيز في كثير من المواضع، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] وذكروا في هذا العهد قولين، الأول: أن المراد منه جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقوله: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أراد به الثواب والمغفرة، فجعل للوعد بالثواب شبيهاً بالعهد من حيث اشتركا في أنه لا يجوز الإخلال به، وقال جمهور المفسرين: إن المراد: أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي أوف بعهدكم، أي: أرض عنكم وأدخلكم الجنة، وهو الذي حكاه الضحاك عن ابن عباس، وتحقيقه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ [التوبة:١١١]

القول الثاني: أن المراد من هذا العهد ما أثبته في الكتب المتقدمة من وصف محمد ﷺ، وأنه سيبعثه على ما صرح بذلك في سورة المائدة بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة:١٢] والأول هو المختار، وقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة:١٧٧] وفيه قولان، الأول: أن يكون المراد: ما أخذه الله من العهود على عباده بقوله على ألسنة رسله إليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته، فقبل العباد ذلك من حيث آمنوا بالأنبياء والكتب، الثاني: أن يحمل ذلك على الأمور التي يلتزمها المكلف ابتداءً من عند نفسه (واعلم) أن هذا العهد إما أن يكون بين العبد وبين الله، أو بينه وبين رسول الله، أو بينه وبين سائر الناس، أما الذي بينه وبين الله فهو ما يلزمه بالنذور والأيمان، وأما الذي بينه وبين رسول الله فهو الذي عاهد الرسول عليه عند البيعة من القيام بالنصرة والمظاهرة والمجاهدة وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وأما الذي بينه وبين سائر الناس فقد يكون ذلك من الواجبات مثل ما يلزمه في عقود المعاوضات من التسليم والتسلم، وكذا الشرائط التي يلتزمها في السلَم والرهن، وقد يكون ذلك من المندوبات مثل الوفاء بالمواعيد في بذل المال، والإخلاص في المناصرة، فقوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة:١٧٧] يتناول كل هذه الأقسام، فلا معنى لقصر الآية على بعض هذه الأقسام دون البعض، وهذا الذي قلناه هو الذي عبر عنه

المفسرون فقالوا: هم الذين إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا وفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا اؤتمنوا أدوا وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] والعقد: العهد الموثوق، شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف، وقيل: هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه وكل ما سمعته من العهد فإنه لابد أن يرجع إلى أحد الأمور الثلاثة المتقدمة وفي الحديث: «ثلاثة من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، قال رجل: يا رسول الله فإن ذهبت اثنتان وبقيت واحدة؟ قال: فإن عليه شعبة من نفاق مابقي فيه منهن شيء» ومن أخلاق الوعد عدم المواعيد الكاذبة، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣] قال الواحدي: إن الله يبغض بغضاً شديداً أن تعدوا من أنفسكم ثم لم تفوا، وقال ﷺ: «العدة دين» وقالت امرأة لولدها الصغير: تعال أعطك، قال عليه السلام: «ماذا كنت تعطيه لو جاءك؟ قالت: تمرة، قال: أما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة» وقال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» وقال: «المسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالا، أو أحل حراما» (قال النووي) وخلف

الوعد عندنا مكروه (فرع) وتعترى الكذب أحكام الشرع الخمسة، ونظمها بعضهم بقوله:

لقد أوجبوا زوراً لإنقاذ مسلم ومال له إذ هو بالجور يطلب

ويكره تطييباً لخاطر أهله وأما لإرهاب العدو فيندب

وجاز لإصلاح ويحرم ما سوى أولاء فذا نظم لهن مهذب

وأما المسألة الثانية التي هي الحث على العمل بعد العلم (اعلم) يا أخي أن العلم بلا عمل لا فائدة فيه، والعمل بالعلم هو التقوى المقصود الممدوح في القرآن وغيره، قال الشاعر:

حياة بلا علم حياة ذميمة وعلم بلا تقوى كلام مضيع

وفي "كشف الغمة" باب إثم من علم ولم يعمل، وقال ولم يفعل، قال زيد بن أرقم: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تخشع، ومن دعاء لا يسمع** »وكان ﷺ يقول: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**» ومعنى تندلق: تخرج، والأقتاب جمع قتب بالكسر، المعي: وما استدار من البطن، وكان ﷺ يقول: «**مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون**» وكان ﷺ يقول: «**ما آمن بالقرآن من**

استحل محارمه» يعني استهان بها، وكان ﷺ يقول: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟» وكان ﷺ يقول: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه» والله أعلم، اهـ. كلامه، وقال بأثر هذا الباب "باب ما جاء فيمن بدأ بخير ليس به" عن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومَنْ سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا» وفي رواية: «من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى تترك، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك» وكان ﷺ يقول: «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا» وكان ﷺ يقول: «إن لهذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله عز وجل مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير» والله أعلم، أهـ. ويكفي في بيان فضيلة العمل بالعلم الذي هو رأس مال الصوفي وغيره قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] اتقوا الله بصدق العبودية وحسن التعبد

يفتح عليكم خزائن العلوم، وقد قلت أبياتا فيما غبر في هذا النمط لـبعض الموارد، وأنه إن عمل بما في ترجمة الأخضري كفاه، وأحرى غير ذلك من الكتب لا بأس بالإتيان بها، وهي هذه:

إن العلـوم بـلا اتبـاعٍ تُتْعِـبُ فخذ اتباعاً كـي تفـوزَ وتَرْغَـبُ
مـن يتـق الله العلـيم يعلمـه وهو العليم بكـل شـيء يُرَغِّـبُ
إن التقـي مـن الأنـام معظّـمٌ وعصيها مخذول نفـس ترهـب
إن كنت ترغب في النفائس رغبة فعليك رهبة من يخـاف ويرهـب
وقليـل علـم باتبـاع يكثـر وكثيـره مـع غيـره لمنضـب
تكفيـك ترجمـة للأخضـري إذ تعلمـن بمـا بهـا إذ تكـت
لا تطلبوا علما بلا عمل يـرى إن العلـوم بـلا اتبـاع تتعـب

ومما يلحق بالمسألتين الكلام في ذم التخلق بالإحسان إذا لم يوافق القلب اللسان قال في "غرر الخصائص الواضحة": قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣] وقال ﷺ: «إن ذا الوجهين لا يكـون وجيهـا عند الله»، وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: من تخلق للناس بما ليس من خلقه فهو منافق. وقال ابن مسعود: من كان كلامـه لا يوافـق عمله فإنما يوبخ بذلك نفسه، وقيل: ما الدخان أدل على النار من ظـاهر الرجل على باطنه، وقال زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

وقال آخر:

كل امرئ راجع يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وقال: ما أقبح الإنسان أن يقول مالا يفعل، وما أحسن ابتداء الفعل قبل القول، فإنَّ من مات محموداً أحسن حالاً ممن عاش مذموماً، وقال أكثم بن صيفي: فضل القول على الفعل دناءة، وفضل الفعل على القول مكرمة. وقال: أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال. وكان رجل يكثر الثناء على علي - كرم الله وجهه - بلسان لا يوافقه القلب، فقال له علي - رضي الله عنه - وقد ألح عليه في الثناء: "أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك". فانظر إلى هذه الفراسة المتفرسة لحبات القلوب، المكشوف لها الغطاء عن خفيات الغيوب. وقال بعض الحكماء: لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبيح المنظر وسوء المخبر أحبَّ إليّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين. وقال أرسطاطاليس: وجهك مرآة قلبك؛ فإنه يُظهر على الوجوه ما تُضمره القلوب. ومن كلام حكماء الفرس: الصدق فاتحة الحمد، وخاتمة المجد فأحسنُ القول ما صدَّقَهُ الفعل؛ فإن للقول شاهد عدل مالم يجرحه الفعل وقال محمود الوراق: القول ما صدقه الفعل، والفعل ما ولده العقل، لا ينبت الفرع إذا لم يكن يقله من تحته الأصل، وقد أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيراً، فمن ذلك قول بعضهم:

إن العيون لتبدي في نواظرها ما في القلوب من البغضاء والإحن

وقال آخر:

تريك أعينهم ما في صدورهمُ إن الصدور يؤدي سرها النظر

ويقال: العادات قاهرات، فمن اعتاد شيئا في السر فضحه في العلانية، وقالوا: حقيقة النفاق اختلاف السر والعلانية، واختلاف القول والعمل. وقال أبو سعيد الجرجاني: لا سعي أقبح من أن يكون حسن القول تمهيداً لقبح الفعل (حكاية) لام الشعبي واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصير الخطبة لما كان عاملاً على مصر وتركه استعمال البلاغة مع قدرته عليهما، فقال: إني أستحي من الله تعالى أن أقول بلساني على منبر خلاف ما أعلمه من قلبي، وكتب رجل إلى صديق له: أما بعد، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك. وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: ياعيسى عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، ومما يعاب من خلال الإنسان أن يكون بديع مقال اللسان بعيد مجال الإحسان، قال ﷺ «ليس الملق من أخلاق المؤمنين» قال ابن المعتز: من كثر ملقه لم يعرف شره. "الملق" محركة: أن تعطي باللسان ماليس في القلب، والفعل كفرح وتملقه وله تملقاً وتملاقا: تودد إليه وتلطف قال الشاعر:

لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

ذم أعرابي قوماً فقال: قلوبهم أمر من الدفلى[1] وألسنتهم أحلى من العسل، وقال الشاعر:

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكن حسن القول خالفه الفعل

وقال ابن جبيرة:

---

(١) الدفلى: بنت مر. اهـ. مصححه.

الناس مثل ظروف حشوها الصبر وفوق أفواهها شيء من العسل
تحلو لذائقها حتى إذا انكشفت له تبين ما تحويه من دغل

الدغل: الحقد المكتتم، والقوم يلتمسون عيبك وخيانتك، وقالوا: فلان يبدي وجه المطالق الموافق، ويخفي نظر المسارق المنافق، قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته ومن شمائله التبديل والملق
ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقالوا: شر الناس من هو في الظاهر صديق موافق، وفي الباطن عدو منافق، قال الشاعر:

لعمرك ماود اللسان بنافع إذا لم يكن أصل المودة في القلب

قال رجل لعلي - رضي الله عنه: علمني السلام على الإخوان فقال: لا تبلغ بهم النفاق، ولا تقصر بهم عن الاستحقاق. قال صالح ابن عبد القدوس:

وأكثُر منْ تَلْقَى يَسُرُّكَ قولُه ولكنْ قليلٌ من يسرك فعله

وقال آخر في الذم:

لم يبقَ في الناس إلا المكر والملق شوك إذا اختبروا زهر إذا رمقوا
فإن دعاك إلى إيلافهم قدر فكن جحيما لعل الشوك يحترق

ومما يلحق بهذا عمل الرياء السالب عن صاحبه جلبسات الحياء والحياء من ثلاثة أوجه: من الله، ومن الناس، ومن نفسك، فإنه من لم يستحِ من نفسه فليس لنفسه عنده قدر.

قال الشاعر:

قد لبسوا الصوف لترك الصفا مشايخ العصر لشرب العصير

الرقص والشاهد من شأنهم شر طويل تحت ذيل قصير

ولآخر يحض على الاعتزال من هؤلاء:

لا تصحبن عصابة حلقوا الشوارب للطمع

يبكوا وجل بكائهم ما للفريسة لا تقع

كان الناس يراءون بما يفعلون فصاروا يراءون بما لا يفعلون وقالوا: من استحيا من الناس ولم يستح من نفسه فليس لنفسه عنده قدر وويل لمن أرضى الله تعالى بلسانه وأسخطه بقلبه، فكيف بمن لم يرضه بهما؟ وقال للفتح بن خاقان: كنت يوماً ألاعب المتوكل بالنرد، فاستأذن لمحمد بن داود فأذن له، فلما قرب منا هممت برفعها، فمنعني المتوكل وقال: أجاهر الله بشيء وأستره عن عباده؟ وقال: لا تقترن بأربعة: زهد الخصي، وتوبة الجندي، وشكوى المرأة، وتقوى الأحداث. يقال: صلى رجل صلاة خفيفة فقيل له: أقصرت الصلاة، قال: لا بل هي صلاة ليس فيها رياء، وفي "كشف الغمة" باب ما جاء في الرياء والسمعة: كان عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – يقول: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو فقال: «يا عبد الله يا ابن عمرو، إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابرا محتسباً، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً» وكان ﷺ يقول: «بشر هذه الأمة بالسنا والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا فليس

له في الآخرة من نصيب» وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأريد أن يُرى موطني، فلم يرد رسول الله ﷺ حتى نزلت ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1] وكان ﷺ يقول: «من قام مقام رياء وسمعة راءى الله به يوم القيامة وسمّع» وفي رواية: «من راءى بالله لغير الله فقد برئ منه الله تعالى» ، وكان ﷺ يقول: «من سمّع الناس بعمله سمّع الله به سامعَ خلقه وصغّره وحقّره» وفي رواية: «من سمع سمع الله به، ومن يراءِ يراءِ الله به» وفي رواية: «من قام مقام رياء راءى الله به، ومن قام مقام سمعة سمّع الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة» وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: من راءى لشيء في الدنيا وكله الله إليه يوم القيامة، وقال: انظر، هل يغني عنك شيئاً؟ وكان ﷺ يقول: «إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان طمعاً لما في يديه خاض في نار جهنم بقدر خطاه» وكان ﷺ يقول: «أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية» - يعني الزنا - وكان ﷺ يقول: «يخرج في آخر الزمان رجال يختلسون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل: أبي تغترون أم عليّ تجترئون؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحلم حيراناً» وكان ﷺ يقول: «لا يقبل الله

---

(١) [الكهف: ١١٠]

سبحانه عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء » والله أعلم (واعلم) رحمك الله - أن الرياء وغيره من عيوب النفس ليس إلا من مكايد الشيطان قال في "شمس القلوب" في باب معرفة العدو ومكايده قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] فالشيطان كان من جملة الملائكة، عَبَدَ الله سبحانه سبعين ألف سنة فيما قيل، فلما صور الله صورة آدم من طين ظن إبليس أن تلك الصورة يكون لها جاه وعناية عند الله، فهاج عليه الحسد حتى ظهر على جوارحه، فلما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أظهر الملائكة التواضع وسجدوا لآدم طوعاً لمولاهم وأظهر إبليس الكبر من السجود فآيسه الله سبحانه عز وجل من رحمته وحاق به ما سبق من شقوته فجعل يحث - أي: يسرع - في عداوة آدم وذريته إلى يوم القيامة فنصب لهم أدق المكايد وأخفاها ليقعوا فيما هو فيه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] لكن لا تكون من الشيطان مكيدة حتى تكون من العارف بصيرة يكشف بها عن مكيدته، فأول ما يشغل به الشيطان فساد أصل العمل، فإذا فسد أصله أمر العبد بالاجتهاد في فرعه، مثال ذلك أن يلقي دقيقة من الرياء للعبد في صيام النهار وقيام الليل فيأمره بالاجتهاد في الصيام والقيام ويخفف ذلك عليه لما علم أن أصولها قد أفسدت، لكن يكشف العبد على هذه الدقيقة بوجهين: الوجه الأول: أن صيامه وقيامه مدخولان؛ فإنَّ عملاً داخلته دقيقة من رياء في العلانية يورث الكسل في السر. والوجه الثاني: أن يترك الصيام والقيام في العلانية، فإن فعل ووجد في نفسه خوف السقوط من أعين للناس حين

رأوه ترك الصيام والقيام فعمله مدخول؛ فإن المرائي لا يحب أن يكشف عليه أحد من الناس إلا وهو في نوع من أنواع العبادة وصفة من صفات الاجتهاد، والرياء هو للعمل لغير الله سواء كان علماً أو عبادة أو غيرهما، وهو مشتق من رامبته مراءاة ورئاء: أريته على خلاف ما أنا عليه كراعيته ترئية، ويقال: العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وهو - أي: الرياء - من وسوسة الشيطان التي لا يذهبها إلا الله (فائدة) ومما يذهب الوسوسة مائة من "يا رحمن" بإثر كل فريضة، وكذلك كثرة الذكر من غير عدد سواء بالهيللة أو الاسم أو غيرهما، وكذلك قول: (سبحان الملك القدوس إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وكذلك قراءة (قل أعوذ برب الناس) عشر مساءً وصباحاً وكذلك تلاوة يا فعال كل يوم مائة وإحدى وثمانين، وكذلك قول: رب اصرف عني السوء واجعلني من عبادك المخلصين الصالحين (واعلم) أن كل ما يرد على القلب ليس إلا من أربعة أوجه:

الأول: حديث النفس، والدليل عليه طلبها للشهوات، والثاني: وسوسة الشيطان، والدليل عليه طلبه المعاصي، والثالث: إلهام الملك والدليل عليه طلبه الهداية، والرابع: إلهام من الله تعالى بلا واسطة والدليل عليه انشراح الصدر وخمود الغواية، وهذا الإلهام لا يطلع عليه ملك ولا شيطان إلا القلب وحده وهو ضرب من الوحي، وهو وحي الإلهام كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨] يعني: ألهمها، وهذا موجود في قضية العقول أن النحل ليست من النبيين ولا من المرسلين، فالوحي على ضربين: وحي يأتي به جبريل إلى الرسل عليهم

الصلاة والسلام، فهذا وحي لا يجاوز المرسلين إلى غيرهم أصلا، ووحي بلا واسطة وهو إلهام، وكلاهما نور من أنوار العزة فمجرى وحي الإلهام على قلوب الرسل ثم على قلوب النبيين الذين لم يرسلوا ثم على قلوب الصديقين والأولياء إلى آخرهم فوحي الإلهام يتوارث، والوحي الذي يأتي به جبريل عليه السلام لا يرثه أحد دون الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنهم اختصوا به دون غيرهم، فالوسواس إذا قوي عليه في القلب إلهام الملائكة استغاث لأهل الغواية من الشياطين، فيصير القلب موضعا للشياطين والملائكة، فتقع الموافقة بين الفريقين، فإذا أشرقت شمس إلهام الحق سبحانه على القلب بلا واسطة أضاء القلب بنور إلهي وانهزم الشيطان وخنس الوسواس وبطل كيده، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فصاحب هذا المقام من مقامات الصديقين والأولياء والصالحين والحمد لله رب العالمين، ولا يصل أحد إلى هذا المقام إلا برواية العلم والعمل به ومراعاة عهود الله والوفاء بها ذكرا وفكرا وعلما وعبادة وغير ذلك ولذلك قلت في النظم:

وأل إل راوه وإذ روى وارده زي وروده زوى

ثم قلت:

وَادع إِذا رُوى ذَا أرَاوِى رواة أصَ ذَا وزاوي

(اللغة) ولنقدم على الكلام عليها الكلام على الواو المفردة، وهي أقسام: الأولى: العاطفة لمطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه نحو: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥] وعلى سابقه نحو: ﴿وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحديد:٢٦] وعلى لاحقه نحو: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى:٣] وإذا قيل: قام زيد وعمرو احتمل ثلاثة معان، وكونها للمعية راجح، وللترتيب ولعكسه قليل، ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ نحو: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧] وقد تخرج الواو على إفادة مطلق الجمع، وذلك على أوجه، أحدها: أن تكون بمعنى أو، وذلك على ثلاثة أوجه: (أحدهما) أن تكون بمعناها في التقسيم نحو: الكلمة اسم وفعل وحرف، وبمعناها في الإباحة: جالس الحسن وابن سيرين، أي أحدهما، وبمعناها في التخيير كقوله: "وقالوا نأت فاخترلها الصبر والبكا" (والوجه الثاني) بمعنى باء الجر نحو: أنت أعلم ومالك، وبعت الشاء شاة ودرهم (الثالث) بمعنى لام التعليل، نحو: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ﴾ [الأنعام:٢٧] قاله الخارزنجي (الرابع) واو الاستئناف مثل: لا تأكل السمك وتشرب اللبن فيمن رفع (الخامس) واو المفعول معه، كسرت والنيل (السادس) واو القسم، ولا تدخل إلا على مظهر ولا تتعلق إلا بمحذوف، نحو: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس:٢] فإن تلتها واو أخرى فالثانية للعطف، وإلا لاحتاج كل إلى جواب، نحو: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين:١] (السابع) واو رب، ولا تدخل إلا على منكر (الثامن) الزائدة ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧٣] (التاسع) واو الثمانية، يقال: ستة سبعة وثمانية، ومنه: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢] (العاشر) واو ضمير الذكور، نحو: الرجال قاموا، وهي اسم عند الأخفش، وعند المازني حرف (الحادي عشر) واو علامة المذكرين في لغة طيئ أو أزد شنوءة أو بلحرث ومنه:

"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار" (الثاني عشر) واو الإنكار نحو: الرجلوة بعد قول القائل: قام الرجل (الثالث عشر) الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قنبل: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ أأمنتم﴾ [الملك:١٥-١٦] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم﴾ [الأعراف:١٢٣] (والرابع عشر) واو التذكير (الخامس عشر) واو القوافي (السادس عشر) واو الإشباع كالبرقوق (السابع عشر) مد الاسم بالنداء (الثامن عشر) الواو المحولة مثل طوبى أصلها طيبي (التاسع عشر) واوات الأبنية كالجورب والتورب (العشرون) واو الوقت، وتقرب من واو الحال: اعمل وأنت صحيح (الحادي والعشرون) واو النسبة كأخوى في النسبة إلى أخ (الثاني والعشرون) واو عمرو لتفرق بينه وبين عمر (الثالث والعشرون) الواو الفارقة كواو أولئك وأولى لئلا يشتبه بإليك وإلى (الرابع والعشرون) واو الهمزة في الخط نساؤك وشاؤك وفي اللفظ كحمراوان وسوداوان (الخامس والعشرون) واو النداء والندبة (السادس والعشرون) واو الحال: أتيته والشمس طالعة (السابع والعشرون) واو الصرف، وهو أن تأتي الواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها كقوله:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فإنه لا يجوز إعادة "وتأتي مثله" على "تنه" سمى صرفا إذ كان معطوفا ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي فيما قبله، قاله في "القاموس" قوله: لا يجوز إعادة وتأتي إلخ كذا في النسخ ونص الفراء ألا ترى أنه لا يجوز إعادة "لا" على "وتأتي مثله" فلذلك سمى صرفا، اهـ. من شرح

القاموس، ولنرجع إلى الكلام على لغة البيت (ادع) فعل أمر من دعا وتقدم الكلام عليه بمعنى الرغبة وغيرها عند قوله (اذن داع أول) والداعية صريخ الخيل في الحروب، وداعية اللبن: بقيته التي تدعو سائره، ودعا في الضرع: أبقاها فيه، ودعاه الله بمكروه: أنزله به ودعوته زيداً وبزيد: سميته به، وادعى كذا: زعم أنه له حقاً أو باطلاً والاسم: الدعوة والدعاوة ويكسران، والدعوة الحلف والدعاء إلى الطعام ويضم كالمدعاة وبالكسر: الادعاء في النسب، والدعي كغني: مَنْ تبنيته والمتهم في نفسه، وادعاه: صيره يدعي لغير أبيه، والأدعية والأدعوة مضمومتين: ما يتداعون به، والمداعاة المحاجاة، وتداعى العدو: أقبل والحيطان: انقضت، وادعيناه: هدمناه، ودواعي الدهر: صروفه وما به دعوى كترکی أحد واندعى: أجاب (إذا روى ذا أراوى) هذه الكلمات كلها تقدم الكلام عليها فلا فائدة في إعادته أيضاً إلا أن الهمزة في أراوى للنداء نحو "أزيد" تريد": يازيد ينادى به القريب أي لا البعيد، والسر في ذلك أن نداء البعيد يحتاج لرفع الصوت وإلى مده وهو يحصل بأن يكون في آخره ألف، والمعنيان منتفيان عن الهمزة، فجعلت لنداء القريب، اهـ دماميني، قاله الدسوقي على المغني، وفيه ينادى به القريب؛ لأن القريب لا يحتاج لمد صوت والهمزة لا تمد بصوت، بخلاف البعيد؛ فإنه يحتاج لمد صوت وختم الحرف بألف، وكلاهما منتفيان عن الهمزة، والمراد من القريب من يتأتى منه النداء (أي) بفتح الهمزة وتشديد الياء: اسم يأتي على خمسة أوجه شرطاً نحو: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠] ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾

[القصص:٢٨] والثاني: أن تكون استفهاماً نحو: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة:١٢٤] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥] وقد تخفف أي الاستفهامية كقوله:

تنظرت نصرا والسماكين أيهما   على من الغيث استهلت مواطنه

قوله: تنظرت، أي: انتظرت في مهلة، ونصرا: اسم رجل وهو في "المغني" بالصاد وفي "القاموس" بالسين، والسماكين اسم كوكبين وقوله: أيهما: أي: استفهامية، والهاء مضاف إليه، وقوله: استهلت أي صبت، وعلى متعلق به، وقوله: مواطن: صفة لمحذوف أي سحائبه المواطن، والثالث: أن تكون موصولاً نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم:٦٩] التقدير: لننزعن الذي هو أشد. قاله سيبويه، وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين، أي: خالفوه في التي في الآية في أنها تأتي موصولة، وزعموا أن التي في الآية استفهامية، وأنها مبتدأ، وأشد خبره، انظر بقية الكلام في "المغني" و"الدسوقي" عليه أو في المفسرين، والرابع: أن تكون دالة على معنى الكمال فتقع صفة للنكرة نحو: "زيد رجل"، أي: كامل في صفات الرجال، وحالاً للمعرفة كمررت بعبد الله أي رجل، والخامس أن تكون وصلة أي يُتَوَصَّل بها إلى نداء ما فيه "أل" نحو: يا أيها الرجل، فأي منادى، والرجل صفة لأي، وفي "القاموس": وأجيز نصب صفة أي، فتقول: يا أيها الرجلَ أقبل (وفي الدسوقي) على "مغني اللبيب": فإن قلت الرجل جامد فكيف يكون نعتاً وشرط النعت الاشتقاق؟ قلت: إنه يؤول بالمدعو أو المتصف بالرجولية، فهو مشتق بحسب التأويل، وحقق بعض أن مدخول "أل" إن كان جامداً فبيان، وإن

كان مشتقا فصفة، وقيل: إنه بيان مطلقاً، قوله: رواة: جمع راو وتقدم الكلام عليه أيضاً (أص) أصه كمده: كسره وملسه، والشيء ينص برق والناقة تؤص وتئص: اشتد خمها وتلاحكت ألواحها وغزرت، قيل: ومنه أصبهان، أصله: أصت بهان، أي: سمنت المليحة، سميت لحسن هوائها وعذوبة مائها وكثرة فواكهها فخففت، والصواب أنها أعجمية وقد تكسر همزتها وقد تبدل باؤها فاء فيهما، وأصلها: أسباهان، أي: الأجناد لأنهم كانوا سكانهم، أو لأنهم لما دعاهم نمروذ إلى محاربة من في السماء كتبوا في جوابه أسباه آن نه كه باخدا جنك كنذ، أي: هذا ليس ممن يحارب الله أو من أصب، وأص بعضهم بعضاً: زحم والأصوص: الناقة الحائل السمينة، والأص جمعه أصص والأص "مثلثة": الأصل، جمعه أصاص، والأصيص كأمير: الروعة والذعر وما تكسر من الأنية، أو نصف الجرة تزرع فيه الرياحين ومركن أي آنية معروفة أو باطية يبال فيه، والبناء المحكم، وشيء كالجرة له عروتان يحمل فيه الطين، والأصيصة: البيوت المتقاربة، وهم أصيصة واحدة أي: مجتمعون والتأصيص الإيثاق والتشديد والإزلق بعض ببعض، وتأصصوا: اجتمعوا كائتصوا (ذا) تقدم الكلام عليه عند قوله وراغ ذا. وكذلك إذا (وزاو) اسم فاعل من وزى أي: جمع، وتقدم الكلام عليه في البيت قبله (الإعراب) ادع فعل أمر فاعله مستتر وجوباً تقديره أنت، قال ابن مالك:

ومن ضمير الرفع ما يستتر كافعل أوافق نغتبط إذ تشكر

يعني أن أربعة من ضمائر الرفع تستتر وجوبا، أحدها: فاعل الأمر للواحد المذكر، ثانيها: فاعل المضارع إذا كان مبدوءاً بهمزة

المتكلم، ثالثها: فاعل الفعل المضارع إذا كان مبدوءًا بنون الجمع المتكلم وحده أو الواحد المعظم نفسه، رابعها: فاعل الفعل المضارع إذا كان مبدوءًا بتاء المخاطب (إذا) ظرف، روى: فعل ماض مبني للمجهول (ذا) نائبه (أراوي) منادى أي مبتدأ (رواة) مضاف إليه (أصن) فعل ماض فاعله ضمير يرجع إلى المبتدأ وهو الرابط (وذا) مفعوله، والجملة خبر المبتدأ (وزاوي) عطف على الخبر (المعنى) يعني أنك تطلب الله وترغبه في الدعاء لي إذا رويت هذا الكلام يا رواه وأي رواة للعلم ملس هذا وكسره، أو قال: هذا الذي هذا وصفه من قصيدة ليس فيها حرفين متلاصقين، وأيهم جمع منه هذا القدر الذي هو اثنا عشر بيتاً؟ بل ما رأيت عن صنع شيئاً كذلك غير بيتين متقدمين لبعض البلغاء رأيتهما عند بعض أهل العلم دهرى حاجا، وقلت معهما اثنين وطال عهدي بالجميع ثم إن الله تبارك وتعالى تفضل عليّ بهذه القصيدة التي لو شئت لجعلتها ألفية كاملة، لكني اقتصرت فيها على عدة الشهور لعل الله يتقبلها كما تقبلهم في الدهور، ثم لتعلم أن الناظم طلب منك أيها الراوي لهذا النظم أن تدعو له، وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية واستمداده إياه المعونة (قال أبو سليمان) الخطابي: الدعاء مصدر من قولك دعوت الشيء أدعوه دعاء، ثم أقيم المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتاً، وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم: رجل عدل، وإنما قلت للراوي أن يدعو لي لما في دعاء المؤمن لأخيه من الفائدة لهما لا سيما بظهر الغيب، فقد قال ﷺ: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا

لأخيه بخير قال الملك: آمين، ولك بمثل ذلك» أخرجهما "الجامع الصغير" (وفي تيسير الأصول) قال ﷺ: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل هذا» أخرجه مسلم وأبو داود، وزاد: إلا قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل هذا، ولما فضل الدعاء جملة فما اشتهر كتاباً وسنة وإجماعاً، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»وقال: «الدعاء مخ العبادة» قال في "النهاية" مخ الشيء: خالصه، وإنما كان مخها لأمرين: أحدهما: أنه امتثال أمر الله حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهو مخ العبادة وخالصها، والثاني: إذا رأى إنجاح الأمور من الله قطع أمله عن سواه، ودعاه لحاجته وحده، فهذا هو أصل العبادة؛ لأن الغرض من العبادة هو الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء. اهـ. من "شرح الترمذي" للسيوطي، وقال ﷺ: «الدعاء مفتاح الرحمة، والوضوء مفتاح الصلاة، والصلاة مفتاح الجنة» وقال: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض» وقال: «الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» وقال: «الدعاء جند من أجناد الله مجند يرد به القضاء بعد أن يبرم، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» وقال: «الدعاء يرد البلاء» أخرج هذه الأحاديث "الجامع الصغير" و"راموز الحديث" (ومن أوقاته المستحبة له) بين الأذان والإقامة، قال ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة» وقال: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا» وقال:

«الدعاء مستجاب ما بين النداء» أخرج هذه الأحاديث "الجامع الصغير" وفي "التحفة المرضية" للشيخ عبد المجيد - رضي الله عنه -: وفي وقت السحر، ووقت الفطر، وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين إلى أن يسلم من الصلاة، وعند نزول المطر، وعند التقاء الجيش في الجهاد، وفي الثلث الأخير لما جاء في الحديث: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه» (قلت) وفي بعض كتب الخواص أن من تلا من آخر الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧] إلخ وقال: "اللهم بحق هذه الآية أيقظني في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء" فإنه يستيقظ لا محالة وقال لي شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه: إن من تلاها عند المنام وقال: أريد أن أتيقظ في الساعة الفلانية سمّى أي ساعة فإنه يتيقظ في تلك الساعة لا محالة، وجربت ذلك أي تجربة ولله الحمد (ومن أوقات الإجابة) حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء، وحالة السفر والمرض، وهذا كله جاءت به الآثار، وفي "الحصن الحصين": أوقات الإجابة: ليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة الجمعة ونصف الليل الثاني، وثلث الليل الأول، وثلث الليل الأخير، وجوفه ووقت السحر، وساعة الجمعة أرجى ذلك، ووقتها ما بين أن يجلس الإمام في الخطبة إلى أن تنقضي الصلاة، ومن حيث تقام الصلاة إلى السلام منها والداعي قائم يصلي، وقيل: وبعد العصر إلى غروب الشمس، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة، وقيل: بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس

وذهب أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - إلى أنها بعد زيغ الشمس بيسير إلى ذراع، وقال صاحب "الحصن الحصين": والذي أعتقده أنها وقت قراءة الإمام الفاتحة في صلاة الجمعة إلى أن يقول أمين جمعاً بين الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ (قلت) وقال لي شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - إنها الساعة السادسة من الليل ورأيت بعد ذلك في بعض الكتب ما يعضده، وفي "الحصن الحصين": أحوال الإجابة: عند النداء بالصلاة، وبين الإقامة، وبين الحيعلتين لمن نزل به كرب أو شدة، وعند الصف في سبيل الله، وعند التحام الحرب بعضهم بعضاً، ودبر الصلوات المكتوبات وفي السجود، وعقب تلاوة القرآن ولا سيما عند الختم خصوصاً من القارئ وعند شرب ماء زمزم، والحضور عند البيت وصياح الديكة، واجتماع المسلمين، وفي مجالس الذكر، وعند قول الإمام ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] وعند تغميض الميت، وعند إقامة الصلاة وعند نزول الغيث، وعند رؤية الكعبة، وبين الجلالتين في الأنعام، اهـ. (قلت): وقال لي شيخنا - رضي الله عنه - إن في القرآن لفظ "قريب" ثلاث مرات، كلها موضع إجابة،الأولى في البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] والثانية في هود: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ [هود:٦١] والثالثة في سبأ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠] وأما الذين يستجاب لهم: المضطر والمظلوم وإن كان فاجراً، بل ولو كان كافراً والوالد البار، والرجل الصالح، والمسافر، والصائم حين يفطر، والمسلم لأخيه بظهر الغيب، والمسلم ما لم يَدْعُ بظلم أو قطيعة رحم أو يقول دعوت فلم أُجبْ، (ويروى) أن لله عز وجل عتقاء في كل يوم وليلة، لكل

عبد منهم دعوة مستجابة، اهـ. (وممن يستجاب له) المرأة الصالحة لا سيما الزوجة الصالحة، وقال لي شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - أن صالحات النساء لا ترد دعوتهن، وقال لي: إن ذلك من قلة الصلاح فيهن فصارت من كانت منهن صالحة لا ترد دعوتها إكراماً لها، ووجدت في بعض "شروح الترياق في علم الأوفاق" أن دعاء الزوج إلى زوجته والمعلم إلى متعلمه لا يرد، وأن الدعاء عند قضاء الدين وعند الصدقة مستجاب وأن الليل كله ساعة إجابة لا سيما عند السحور والساعة التاسعة من كل ليلة. وأما ما يستجاب به فمنه مرعاة الأداب في الدعاء وتلك منها ما يبلغ أن يكون ركنا وأن يكون شرطاً وأن يكون غير ذلك من مأمورات ومنهيات وغيرها، وهي تجنب الحرام في المأكل والمشرب والملبس والمكسب، والإخلاص لله تعالى، وتقديم عمل صالح، وذكره الشدة، والتنظف والتطهر والوضوء، واستقبال القبلة، والصلاة، والجثو على الركب، والثناء على الله تعالى أولاً وآخراً، والصلاة على النبي ﷺ كذلك، وبسط اليدين ورفعهما، وأن يكون رفعهما حذو المنكبين وكشفهما والتأدب والخشوع والتمسكن مع الخضوع، وأن لا يرفع بصره إلى السماء، وأن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأن يجتنب السجع وتكلفه، وألا يتكلف التغني بالأنغام، وأن يتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده، وخفض الصوت، والاعتراف بالذنب واختيار الأدعية الصحيحة عن النبي ﷺ؛ فإنه لم يترك حاجة إلى غيره وتخير الجوامع من الدعاء، وأن يبدأ بنفسه، وأن يدعو لوالديه وإخوانه المؤمنين، وألا يخص نفسه بالدعاء إن كان إماماً، وأن يسأل بعزم، وأن

يدعو برغبة، وأن يخرجه من قلبه بجد واجتهاد، وأن يحضر قلبه ويحسن رجاءه، وأن يكرر الدعاء وأقله التثليث، وأن يلح فيه وألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، وألا يدعو بأمر قد فرغ منه، وألايعتدى في الدعاء بأن يدعو بمستحيل أو ما في معناه، وألا يحجر، وأن يسأل حاجته كلها، وتأمين الداعي والمستمع، ومسح وجهه بيديه بعد فراغه، وألا يستعجل بأن يستبطئ الإجابة أو يقول: دعوت فلم يستجب لي. هكذا في "الحصن الحصين" وغيره، ومنه - أي: ما يستجاب به - التوسل إلى الله باسمه الأعظم (وفي الحديث) اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، وفيه أنه: «اللهم أني أسألك بأني أشهد أنك أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وفيه أنه: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد لم يلد» إلخ وفيه أنه: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الحنان المنان بديع السموات والأرض ياذا لجلال والإكرام يا حي يا قيوم» وفيه: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1] وفاتحة آل عمران ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفيه: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور: البقرة، وآل عمران، وطه» قال القاسم: فالتمستها فوجدت أنه "الحي القيوم". وأسماء الله الحسنى التي أمرنا بالدعاء بها تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، وأمرنا بها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

(١) [البقرة:١٦٣]

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] (وفي الحديث): «لا يحفظها أحد إلا دخل الجنـــة» ولا بد من الإتيان بها وبعض خواصها مفسرة معانيهـــا لينتفع بذلك إن شاء الله راويها ﴿هُوَ اللَّـــهُ الَّـــذِي لَـــا إِلَـــهَ إِلَّـــا هُـــوَ﴾ [الحشر:٢٣] وهذا الاسم جامع معاني أسماء الذات والصفات، فإذا دعوت الله به فقد دعوته بجميع أسمائه وصفاته، ومعنى الله: مخرج الأشياء من العدم، ولذلك كان بعض الأولياء يختار في التدبر عند الذكر به "الخـــالق" ومنهم شيخنا – رضي الله عنه وأرضاه – لأن "الخـــالق" هـــو مخـــرج الأشياء من العدم، من قرأ هذا الأسم ألف مرة بلفظ "يا الله" فإنه يُعْطَـــى كمال اليقين، وهو استقرار الإيمان والمعرفة في القلـــب (الـــرحمن) ذو الرحمة الواسعة في الدنيا على المؤمنين وغيرهم. قيل: المـــنعم بجلائـــل النعم كالإيمان بالله. ومن قال: "يا رحمن" مائة مرة بأثر كل فـــرض زال عنه النسيان والغفلة وقساوة القلب وعدم انقياده للطاعة، وأعين على أمور الدنيا (الرحيم) ذو الرحمة الخاصة بعباده المـــؤمنين فـــي الآخـــرة دون غيرهم. من واظب على مائة منه كل يوم لانت له القلوب (المَلِك) بكسر اللام معناه: ذو المُلْك، أي ذو القدرة على التصرف في الأشياء؛ لأن فائدة الملك التصرف، ومن داوم على مائة منه وإحدى وعشرين بـــين صـــلاة الفجر وصلاة الصبح أغناه الله إما بسبب أو بلا سبب، وإلا فعند الـــزوال (القدوس) أي الطاهر المطهَّر من العيوب وصفات الحوادث. من قـــرأه كل يوم عند الزوال مائة مرة كان قلبه صافياً ولْفٌ منه آخر الليل تزيـــل البلاء عن الجسم والقلب (السلام) الذي سلم من كل عيب وبرئ من كـــل آفة. من قرأه مائة وإحدى وعشرين على مريض شـــفاه الله، وكـــذلك إن

حملها وفي رواية مائة وستين وفي رواية عشر فقط اعني حملها (فائدة) من قال كل يوم سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته مائة مرة لا يذوق حرارة الموت ويسر أمره ولا يقع في عسر بإذن الله (المؤمن) الذي يصدق عباده وعده فهو من الإيمان أي التصديق أو يؤمنهم يوم القيامة من عذابه فهو من الأمان ومن تلاه ستا وثلاثين فإنه يأمن على نفسه وماله لاسيما بأثر الفرائض (المهيمن) الشاهد الذي لا يغرب عنه شيء وقيل الأمين وأصله مؤتمن فقلبت الهمزة هاء وقيل الرقيب والحافظ .ومن تلاه مائة مرة بأثر الغسل ثبت النور في قلبه وتلاوة عدده بعد العشاء من استدامها شاهد ما يقع في الكون قبل وقوعه (العزيز) أي القاهر كقولهم من عزيز وقيل عديم الأمثال وخاصيته وجود الغنى في الدارين لمن قرأه إحدى وأربعين مرة بعد صلاة الصبح وفي رواية اربعين مرة (الجبار) معناه المصلح لأمور العباد وقيل هو الذي أجبر الخلق وقهرهم على ما أراد من أمر ونهي وقيل هو العالي فوق خلقه ومن تلاه عده كل يوم أو بعد كل فريضة لا يقدر جبار على ظلمه وان فعل انتقم الله منه ويقرأ إحدى وأربعين للحفظ في الحضر والسفر (المتكبر) أي المنفرد بالعظمة المتعالي عن صفات الخلق وقيل الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم والتاء في متكبر تاء المنفرد والمتخصص لا تاء المتعاطي المتكلف وقيل المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله تعالى لا من الكبر الذي هو مذموم خاصيته أن ذاكره تنقاد له الجبابرة ويكون نافذ الكلمة فيهم وفيه سر الربط والعقد حتى أنك إن تلوته عشرا على ذي

فواحش بنية عقده منها عقد (الخالق) معناه المقدر المبدع للشيء المخترع على غير مثال سبق يذكره من ضاع له مال أو أبق له عبد خمسة آلاف فيأتي طوعا أو كرها وكذلك الغائب إذا طالت غيبته تجربة صحيحة ومن فعلها بلفظ يا خالق من في السماوات والأرض وكل إليه معاده فحسن وإلا فيكفيه الإسم وحده (الباريء) معناه المحدث الذي خلق الخلق لا عن مثال إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لغيره من المخلوقات وقل ما يستعمل في غير الحيوان فيقال برأ الله النسمة وخلق السماوات والارض(وفي القاموس) برأ الله الخلق برءا وبروءا خلقهم . من قرأه كل يوم مائة مرة ستة أيام لا يبتلى في قبره وفي رواية سبعة أيام لم يتركه الله بلا مؤنس في القبر ومن تلاه كل ليلة إلى سبع ليال جعل الله شفاء الأمراض في يده (المصور) مبديء الصور ومزينها وقيل هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل ومن قرأه سبعة أيام عند الإفطار على ماء وينفث فيه وتشربه امرأة عقيمة يفعل ذلك بعد الغروب وقبل الإفطار فإنها تلد بإذن الله والاسم يوفي إحدى وعشرين مرة ومن آوى إلى فراشه وكرره عشر مرات قبل كشف العورة وقبل الوطء فإنه يرزقه ولدا صالحا بإذنه (الغفار) هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة وأصل الغفر الستر والتغطية فالله تعالى غافر لذنوب عباده ساترها تارك العقوبة عليها أي لا يؤاخذ بها وخاصيته وجود المغفرة فمن ذكره إثر صلاة الجمعة مائة ظهرت له آثار المغفرة وفيه سر لتغيير ما في النفوس وتسكين الغضب لمن غضب عليك (القهار) هو الذي له الغلبة

التامة على ظاهر كل أمر وباطنه وتحت قهره كل موجود وخاصيته إذهاب حب الدنيا وعظمة ما سوى الله من القلب فمن أكثر من ذكره كان له ذلك وظهرت له آثار النصر على عدوه بقهره ومن له حاجة يقول مائة مرة يا قهار في بيته أو في المسجد ويرفع يديه ويكشف رأسه قضى الله حاجته ومن سجد بعد صلاة الضحى وقاله سبع مرات بصيغة يا قهار أغناه الله (الوهاب) كثير الهبة دائم العطية لكثرة نعمه وخاصيته كحصول الغنى والقبول والهيبة والإجلال لذاكره ومن داوم عليه في سجود الضحى كان له ذلك ويذكر مع اسمه الكريم ذي الطول للبركة في المال وغيره وكذلك مع اسمه الكافي للبركة أيضا في كل شيء (الرزاق) خالق الأرزاق ومعطيها وقيل ممد كل كائن بما تحفظ به صورته ومادته فأمد الأجسام بالأغذية والعقول بالعلوم والفهم والأرواح بالتجليات وخاصيته لسعة الرزق يقرأ لذلك قبل صلاة الفجر في كل ناحية من نواحي البيت عشرا يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها في كل ناحية إن أمكن ومن داوم عليه قضيت حاجته عند الملوك و ولاة الأمر وإن أردت ذلك فقف مقابلة المطلوب و اقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوما على الريق رزق ذهنا يفهم به الغوامض ومن قراه بعد صلاة الجمعة مائة مرة للمسجون سرح والمريض يبرأ وكذلك المضيق يفرج عنه (الفتاح) هو الحاكم بين عباده ويقال فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما ويقال للحاكم الفاتح وقيل هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده والمنغلق عليهم من أرزاقهم (قال تعالى) ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

وقيل معناه الناصر وقيل هو المتفضل بإظهار الخير والسعة على أثر الضيق وانغلاق باب الأرواح والأشباح في الأمور الدنيوية والأخروية وخاصيته تيسير الأمور وتنوير القلب والتمكين من أساب الفتح فمن قراه إثر صلاة الفجر إحدى وسبعين مرة ويده على صدره طهر قلبه وتنور سره وتيسر أمره وفيه سر تيسير الرزق وغيره (العليم) أي العالم والعالم من قام به العلم وهو صفة معنوية متعلقها المعلومات واجبة وجائزة ومستحيلة فهو تعالى يعلم ذاته وصفاته وأسماءه ويعلم ما كان وما لا يكون من الجائزات وأنه لو كان كيف يكون ويعلم المستحيل من حيث استحالته وانتفاء كونه وما يترتب عليه أن لو كان كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وخاصيته تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه الذي يليق به ومن داوم على مائة من يا عالم الغيب والشهادة بأثر كل فريضة صار صاحب كشف إيماني (القابض) الذي يمسك الرزق عن عباده بلطفه وحكمته فهو المضيق على من شاء ما شاء كيف شاء ومتى شاء وهو الذي يقبض الأرواح من الأشباح إلى الممات وخاصيته قبض النفوس والأرواح والأجسام حتى أن من كتبه أربعين يوما على أربعين لقمة من الخبز لم يحس بألم الجوع ومن تلاه ألفا بنية حبس الظلام عنه أو عن غيره لم يقدروا عليه في تلك الليلة ولا في ذلك اليوم ولو فعلوا ما فعلوا ومائة منه ليلة الجمعة تؤدي للقرب من الله ومن داوم عليه لو شاء أن يحبس الطيور في الجو لفعل (الباسط) الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته وقيل الذي ينشر الأرواح حال الحياة في

الأجساد فهو تعالى الجامع بين العطاء والمنع والحياة والموت وخاصيته البسط في كل شيء وخصوصا الرزق فمن ذكره أثر صلاة الضحى عشرا كان له ذلك ومن ذكره رافعا يديه إلى عنان السماء ثم مسح بهما وجهه فتح له باب من الغنى (الخافض) هو الذي يخفض الفراعنة والجبابرة أن يضعهم ويهينهم وقيل هو الذي يحط الشيء عن مرتبته إلى ما هو ادنى منها وخاصيته من قرأه خمسمائة قضيت حاجته وكفي ما اهمه ومن كرره ألف مرة أمن من جميع الأعداء (الرافع) الذي يرفع أولياءه ويعزهم ويرفع من شاء الى رتبة فوق رتبته وخاصيته الأمن من الظلمة والمتمردين يقرأ لذلك سبعين مرة ومن قال يا رافع مائة مرة وأربعين في يوم الإثنين أو في ليلة الجمعة بعد المغرب إو بعد العشاء كانت له هيبة بين الخلائق ولا يخاف إلا من الله تعالى وقراءته آخر الليل مائة مرة تغني وترفع القدر (المعز) هو معطي العزة لمن شاء من عباده وقيل هو جاعل الشيء كاملا مرغوبا فيه . وخاصيته حصول الاعزاز والهيبة في قلوب الخلق فمن قرأه بعد صلاة المغرب ليلة الإثنين وليلة الجمعة أربعين مرة أسكن الله في قلوب الخلق هيبته (المذل) أي القاهر لمن شاء من خلقه بإذلاله له وجعله للشيء ناقصا مرغوبا عنه وخاصيته الأمن من الظالم والجائر يقرأ خمسا وسبعين مرة ثم يدعو في سجوده فإنه يتخلص من حينه وهذا هو سواء ظالم او حاسد أو سبع أو غير ذلك (السميع البصير) صفتان ينكشف بهما كل شيء إنكشافا تاما وفي القاموس السميع المسمع والبصير المبصر وخاصية السمع إجابة الدعاء فمن قرأه يوم

الخميس بعد صلاة الضحى خمسمائة مرة كان مجاب الدعوة ومن كثر منه شفى سمعه من ثقل السمع وخاصية البصير وجود التوفيق فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرة فتح الله بصيرته ووفقه لصالح القول والعمل ومن تلاه مائة بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح يوم الجمعة خصه الله تعالى بنظر العناية ومن كثر منه شفى الله بصره من ضعف البصر (الحكم) هو الذي يفصل بين مخلوقاته بما شاء ويملك ما بيد أحد الحكمين للآخر وذلك هو الذي لا مرد لقضائه وسلم له الحكم ورد إليه ومن قرأه مائة مرة في جوف الليل على جمع وطهارة مدة جعل الله باطنه محل الأسرار الإلهية (العدل) هو الذي لا تميل به الأهواء فلا يجور في الحكم ولا يفعل إلا ماله فعله فهو بريء من الظلم في احكامه وهو منزه عن الجور في أفعاله فمن قرأه وكتبه على عشرين لقمة خبز ليلة الجمعة وأكل ذلك سخر الله له جميع القلوب ومن داومه من ولاة الأمر انتشر عدله وكذلك علمه إن كان عالما ومن دعا به على ملك جائر عزل (اللطيف) الذي يوصل النعم وقيل هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية وقيل العليم بخفيات الأمور وخاصيته دفع الآلآم فمن ذكر عدده الواقع عليه وهو يشاهد حالة من خوف أو مرض دفع الله عنه ذلك ومن ذكره مائة مرة أو مائة وثلاثة وثلاثين وسع الله عليه ما ضاق وكان ملطوفا به ومن قرأ اللطيف بالتعريف مائة وستين مرة وقرأ معها لا تدركه الأبصار إلى الخبير عشرا لخوف أمن منه وإن طلبت الرزق قرأت معه آية من آيات الشفاء نحو الذي خلقني فهو يهدين إلى آخرها . ولنا في تلاوته وجوه أخر لا يسمح بها إلا

بالمشافهة وبالجملة فهو إسم سريع الإجابة للفرج وغيره (الخبير) أي العليم بما كان وما يكون . وخاصيته حصول الأخبار بكل شيء فمن ذكره سبعة ايام أتته الروحانية بكل خبر يريده من اخبار السنة وأخبار الملوك أو الغائب أو غير ذلك ومن كان في يد شخص يؤذيه فليكثر ذكره فإنه يصلح حاله معه ومن كثر من ذكره كثيرا امن من سوء الخلائق ومن شر نفسه (الحليم) هو الذي يسامح الجاني ويمهله من استحقاقه العقوبة والمؤاخذة بالذنب فلا يستفزه غضب ولا يحمله غيظ على إستعجال العقوبة .وخاصيته ثبوت الرياسة ووجود الراحة فإذا اتخذه الرئيس ذكرا كان له ذلك ومن كتبه في قرطاس وغسله بماء ومسح به حرفته وآلته ظهرت فيها البركة وإن كانت سفينة سلمت من الغرق أو دابة أمنت من كل شيء كذلك . ومن كتبه على ورقة وغسلها ورش زرعه بذلك الماء يقيه الله من كل آفة (العظيم) الذي لا تحيط بكنهه بصيرة ولا يتصوره عقل ومن خواصه يقرأه الخائف من الشيطان أو السلطان اثنتي عشرة مرة وينفث على نفسه فإنه يأمن ومن خواصه الشفاء من كل وجع للكثر منه ومنها القبول والجاه والعز والإكرام لذاكره ومنها أن من تلاه سبعة آلاف كل ليلة وكل يوم مدة من الشهر عظم الله قدره في السماء والأرض وأتته الدنيا بحذافيرها (الغفور) كثير الستر للذنوب في الدنيا وعدم المؤاخذة بها في الآخرة فهو من أبنية المبالغة في الغفران والغفور هو معنى إسمه الغفار إلا ان اسمه الغفار يقتضي العموم في الأزمان والأفراد والغفور يقتضي المبالغة في كثرة ما يغفر والمغفرة مأخوذة من الغفر وهو نبت إذا

وضع على الجرح بريء لحينه والمغفرة تبريء جراح الذنوب كما يبريء هذا النبت جراح الأبدان وقيل من المغفر وهو الجنة التي تجعل على الرأس عند الحرب . وخاصيته لدفع الآلآم حتى أنه يكتب للمحموم ثلاث مرات فيبرأ وإن كتب سيد الإستغفار وجرع لمن صعبت عليه الموت إنطلق لسانه وسهل عليه الموت تجربة صحيحة وسيد الإستغفار هو اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فإغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ومن به مرض أو وجع رأس أو حصر يكتبه أي الغفور على ثلاث ورقات ثلاثة أسطر في كل واحد يا غفور يا غفور يا غفور في الأول والثاني والثالث ثم يبلعهن يشفيه الله منه وكذلك يا غفار يا غفار يا غفار في كل واحدة (الشكور) هو المجازي بالخير الكثير على العمل اليسير فيجازي عباده ويثيبهم على أفعالهم الصالحة وقيل هو المثني على المطيعين وشكر الله لعباده إنما هو مغفرته لهم وقبوله لعبادتهم ومن خواصه التوسعة ووجود الراحة والعافية في البدن وغيره فمن به ضيق عيش أو عسر او كدرة في قلبه أو ظلمة في بصره قرأه إحدى وأربعين مرة على ماء ومسح بذلك الماء على عينيه ويشرب منه ويرش منه معيشته فإنه يجد لذلك بركة عظيمة (العلي) المستحق لنعوت الكمال ومن خواصه الرفع عن أسافل الأمور إلى أعاليها وانه يكتب ويعلق على الفقير فيجد غنى بفضل الله تعالى ويعلقه الغائب ويقرأه فيرده الله لأهله سالما ويعلق أيضا على الصغير فيبلغ (الكبير) هو الموصوف بالجلال وكثرة الشأن

من أكثر من ذكره صغر عنده كل شيء ولا يره أحد إلا هابه يذكر عند الملوك والجبابرة فتتضاءل نفوسهم لكبرائه وهذا الإسم يوافق الملوك لتنفذ كلمتهم ومن داوم عليه كان كبيرا في عالم الظاهر والباطن (الحفيظ) المحيط بكل معلوم ولا ينسى ولا يسهو ويمكن أن معناه حافظ للموجودات عن الضياع وخاصيته الحفظ من نار وماء وحر وبرد وفزع باطن وعين معيان وغير ذلك لحامله وقارئه وما حمله أحد لا سيما في عضده ولا ذكره في موضع الأهوال إلا وجد بركته حتى أنه لو نام بين السباع ما ضرته (المقيت) هو خالق الأقوات البدنية والروحانية وهو الذي يعطيها للخلائق أي معطي كل موجود ما به قوامه من القوت والقوة الحسية والمعنوية وخاصيته وجود التقوية والقوة ولأجل ذلك إذا كتبه الصائم أو قرأه على التراب وبله ثم شمه قواه على ما هو فيه ومن قرأه على كوز سبعا ثم كتبه عليه وكان يشرب فيه في السفر أمن من الوحشة فيه لاسيما إذا اضاف قراءة سورة قريش صباحا ومساءا فإنها مجربة لذلك ومن لم يجد كوزا فالقدح ونحوه يقوم مقامه (الحسيب) الكافي في الأمور وقيل معناه المحاسب للخلق يوم القيامة وقيل الشريف من خاف سارقا أو معيانا أو حاسدا وقال تسعا وتسعين في الصباح حسبي الحسيب وتبتديء بالخميس الى سبعة ايام أمن مما يخافه وفي رواية سبعا وسبعين قبل الطلوع وقبل الغروب فإنه يأمن من حسد القرابة وغيرهم (الجليل) هو المنعوت بنعوت العظمة الذي عظم شأنه وظهر امره فلا يوازيه غيره ولا يدانيه في ذات ولا صفة ولا فعل وخاصيته الظهور بجلالة القدر

لـذاكره وحاملـه لاسـيما ان كتـب بمسـك وزعفـران ونحـوه (الكـريم) المعطي من غير مسألة ولا وسيلة وقيل الذي لا يستقصـى فـي العتـاب وقيل المنزه عن العيوب وقيل رفيع القدر كبير الشأن ومن ذلك المعنـى ان هذا إلا ملك كريم وقيل الجميل ومنـه كـريم الطبـاع أي جميلهـا ومـن خاصيته وجود الكرم والإكرام ومن اكثر من ذكره عند النوم دائما أوقع الله في القلوب إكرامه وتدعوا له الملائكـة بكرامـة الـدنيا والآخـرة ومـن ذكـر الكـريم ذا الطـول الوهـاب ملازمـا ظهـرت لـه البركـة فـي أسبابه وأحوالـه (الرقيـب) هـو الحـافظ الـذي لا يغيـب عنـه شـيء المطلـع علـى الأشياء فلا يعزب عنـه مثقـال ذرة فـي السماوات ولا فـي الأرض ولا يغفل ولا يذهل ولا يجوز عليه فلا يحتـاج إلـى مـذكر ولا منبـه . ومـن خواصه جمع الضوال والحفظ في الولد والأهل والمال فصاحب الضالة يكثر قراءتـه تجتمع عليـه ويقرأه من خـاف علـى الجنين فـي بطـن أمـه سبع مرات يثبت وكذا لـو أراد سفرا ووضـع يـده علـى رقيـة مـن خـاف عليه المنكر من اهل او ولد وقاله سبعا ولو بقلبـه فإنـه يـأمن عليـه ومـن قـرأه خمسين بنيـة حفظ مـا غـاب عنـه فإنـه يحفظ ممـا خـاف عليـه منـه (المجيـب) هـو الـذي يقبـل دعـاء عبـاده ويسـتجيب لهـم فيسـعف السـائل بمقتضى فضله حالا ومآلا بـأن يعطيـه مـراده او مـا هـو افضـل منـه أو أسلم أو أصلح فـي عملـه ومـن خاصـيته إسـراع الإجابـة بـأن يـذكر مـع الدعاء لاسيما مع اسمه السريع . ومن داوم علـى تلاوتـه تسـعا وتسـعين بـأثر صـلاة الصـبح تـآلف عيالـه وأتباعـه وتلاوتـه خمسـا وخمسـين عنـد طلوع الشمس تورث استجابة الدعاء (الواسع) الذي وسع غناه كل فقر

ورحمته كل شيء ويقال وسع علمه ورحمته كل شيء وخاصيته حصول السعة والجاه وسعة الصدر بسلامته من الغل والحرص ووجود القناعة لذاكره . ومن اكثر منه يشاهد من المغيبات ما لا يبلغ عمره ومن تلاه مائة عند مزرعته أو في موضع حيوانه كثر حيوانه واستغنى (الحكم) هو المحكم للأشياء حتى صارت متقنة على وفق علمه وإرادته ومشيئته بقضائه وقدره والحكمة عبارة عن كمال العلم وإتقان العمل وخاصيته دفع الدواهي وفتح باب الحكمة من اكثر من ذكره صرف الله عنه ما يخشى من الدواهي وفتح له باب الحكمة (الودود) هو كثير الود لعباده والتودد إليهم بتواتر النعم وصرف النقم وصرف النقم وإيصال الخيرات ودفع المضرات ويحب الخير لجميع الخلائق ويحسن إليهم وقيل المحب لجميع اوليائه فعول بمعنى أنه يود عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم وخاصيته ثبوت الوداد لاسيما بين الزوجين فمن قرأه ألف مرة على طعام واكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته , ومن استدام على أربعمائة منه بأثر الفرائض لا يراه أحد إلا ومال إليه بالمحبة طبعا وقد روي أنه اسم الله الأعظم في دعاء التاجر يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبديء يا معيد أسألك بنور وجهك الذي ملأ اركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا انت يا مغيث أغثني يا مغيث اغثني يا مغيث اغثني وقد ذكره غير واحد من الأئمة (المجيد) فعيل من المجد وهو نهاية الشرف فهو الذي له الشرف الكامل والملك الواسع الذي لا غاية له ولا تمكن الريادة فيه

ولا الوصول الى شيء منه ويقال هو الواسع الكريم الشريف . ويقال هو العظيم الرفيع القدر جزيل العطاء . وخاصيته تحصيل الجلالة والمجد والطاعة ظاهرا وباطنا حتى في عالم الابدان والصور ومن قرأه تسعا وتسعين بعد صلاة الصبح ونفث في يديه ومسح بهما وجهه أو نفث على نفسه مرة بعد مرة تكون له عزة وهيبة ومودة بين اقاربه ومن خاف من البرص والجذام فليصم الأيام البيض ويقرأ مائة مرة عند الإفطار يتخلص منه ويبرأ بإذن الله (ويروى) أن البرص إذا جاوز خمس سنين لا يبرأ لأنه سرى في كلية التركيب فلا يزول إلا بتحويل الذات وذلك موقوف على الموت (قلت) لعله إلا نادرا لأنا ولله الحمد وجدناه بريء بعدها (الباعث) هو الذي يبعث الخلق بعد الموت يوم القيامة ويبعث الرسل للأمم ويبعث الهمم إلى الترقي في ساحات التوحيد وخاصيته بعث عالم القلب فمن وضع يده على صدره عند النوم وقرأه مائة وواحدا نور الله قلبه ورزقه العلم والحكمة ويصلح لمن ضعفت عزيمته عن أمر ومن اكثر من ذكره انبعث على كل خير (الشهيد) هو الذي لا يغيب عنه شيء يقال شاهد وشهيد كعالم وعليم أي انه حاضر يشاهد الأشياء ويراها . ومن خواصه الرجوع عن الباطل إلى الحق حتى أن من قرأه إحدى وعشرين مرة في السحر او في الصباح آخذا بجبهة ولده العاق او الزوجة أصلح الله حالهما . ومن داوم على ذكره أثمر له المراقبة ويصلح لمن يطلب مرتبة الشهادة (الحق) هو الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال ولا العدم ولا التعبير وقيل

معناه المحق أي المظهر للحق والباطل . وخاصيته أن يكتب في كاغد مربع على أركانه الأربع من جعله في كفه سحرا ورفعه إلى السماء فإن الله يكفيه ما اهمه ومن أكثر ذكره ثبته الله على الطاعات وأظهر حقائق الأمور وأطلعه على خفيات الأسرار وبغض إليه الباطل ومن لازم لا إله إلا الله الحق المبين في كل يوم مائة مرة استغنى من فقره وحصل له تيسير أمره , ومن ذكره كل يوم ألفا حسنت أخلاقه وانصلحت طبائعه (الوكيل) هو الكفيل بأرزاق عباده القائم بأمورهم وبتحصيل ما يحتاجون اليه المتوكل بمصالحهم والكافي لهم في كل امر حقيقته الذي يستقر بأمر الموكول اليه ومنه قوله تعالى حسبنا الله ونعم الوكيل . وخاصيته نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحا أو صاعقة ونحوها فليكثر منه فإنه يصرف عنه ويفتح له ابواب الخير والرزق (القوي) هو كامل القدرة الذي لا يعجزه شيء ولا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور . وخاصيته ظهور القوى في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة ولا ذو جسد ضعيف إلا كان له ذلك ولا ذكره مظلوم فقصد إهلاك ظالم أمرة الألف كان له ذلك , ومن اكثر من ذكره قوي على حمل الأثقال الظاهرة والباطنة (المتين) شديد القوة الذي لا تلحقه في أفعاله مشقة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يداني ولا يقبل الضعف في قوته ولا يمانع في امره بل هو الغالب الذي لا يغلب ولا يحتاج في قوته لمادة ولا سبب وفي قوله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين إشارة إلى ذلك ومن اكثر من ذكره لا يضعف عن امر قوى

عليه ولو ضوعف وينبغي أن يكثر من ذكره من تخوف من انقطاع قوت عن امر من الأمور وإذا أضيف إليه القوي كان في غاية من سرعة التأثير ولو ذكر على شابة فاجرة عشر مرات لرجعت وكذلك الشاب ومن سقاه لامرأة قليلة اللبن كثر لبنها بإذن الله (الولي) الناصر وقيل المتولي للأمور والقائم بها كولي اليتيم وقيل المحب وخاصيته ثبوت الولاية لمن لازمه ومن قرأه ألفا حوسب حسابا يسيرا وتيسر أمره ومن قرأه كل ليلة جمعة ألفا صار وليا من اولياء الله (الحميد) المحمود الذي أستحق الحمد بفعله وهو فعيل بمعنى مفعول ومن خاصيته أن من ذكره تسعا وتسعين مرة بعد صلاة الصبح وتفل في يديه ومسح بهما وجهه أعزه الله ونصره وجعل وجهه نيرا ومن تلاه اثنين وستين مرة بعد المغرب والصبح صار محمود الفعال واكتسب المحامد في افعاله وأقواله ومن تلاه مائة مرة بأثر كل فريضة صار من الصالحين (المحصي) هو الذي حصر كل شيء بعلمه فلا يفوته شيء من الأشياء دق او جل فهو المحيط بكل شيء على التفصيل وقيل القادر الذي لا تشذ عن قدرته مقدور . وخاصيته تسخير القلوب فمن قرأه عشرين مرة على كل كسرة من الخبز والكسور عشرون وأكل ذلك فإنه يسخر له الخلق ومن قرأه الفا ليلة الجمعة نجاه الله من الحساب والعقاب والعذاب يوم القيامة (المبديء) الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء وهو المظهر للأشياء بعد العد إلى الوجود . ومن خاصيته الفصاحة والفهم والنطق بالشعر ومنها أن من قرأه على بطن حامل سبعة عشر مرة يدور بسبابته على بطنها فإن الله يمنعها من

الإسقاط ولا يحصل لها ضرر ومن كثر من قراءته كل يوم وليلة بلا عدد مدة من الشهر فإن الله يكثر عليه الأموال حتى لا يكون لها عدد (المعيد) هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة غلى الممات وبعد الممات إلى الحياة فهو خالق الأشياء بعد العدم وخاصيته أن يكرر مرارا ليذكر المحفوظ غذا نسي لا سيما ان اضاف اليه المبديء ويقرأ سبعين بعد نوم اهلك على اركان بيتك للغائب فيجيء سالما تفعل هذا سبعة ايام وفي رواية يقرأها على الجهات الأربع (المحيي) خالق الحياة ومعطيها لمن شاء حياته على وجه يريد ومديمها لمن أراد دوامها له كما شاء بسبب وبلا سبب وخاصيته وجود الألفة لمن فمن خاف الفراق والحبس فليقرأه على جسد عدده . ومن داوم على عدده بأثر كل فريضة أخرج الله من جسده كل علة ومرض (المميت) خالق الموت ومسلطه على من شاء من الأحياء متى شاء بسبب وبلا سبب وخاصيته ان يكثر منه المسوف الذي لم تطاوعه نفسه على طاعة فلها تطاوعه عليها ومن اكثر من ذكره ودعا على ظالم أهلكه الله تعالى لوقته (الحي) التي لا يجوز عليها فناء ولا موت يعتريها ولا قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم وخاصيته ثبوت الحياة في كل شيء ومن داوم عليه عدده بأثر الفرائض أحيا الله ذكره في الأنام ومن تلاه ثلاثمائة ألف لم يمرض وقل مرضه (القيوم) هو القائم بنفسه الذي لا يفتقر إلى غيره من خلقه فهو القائم بأول الأمور وآخرها وظاهرها وباطنها وفي القاموس القيوم والقيام الذي لا ند له من أسمائه عز وجل . وخاصيته حصول القيام والقيومة ذاتا وصفاتا قولا وفعلا فمن ذكره

مجردا أذهب الله عنه النوم ومن ذكر يا حي يا قيوم من مبدأ الفجر إلى طلوع الشمس فيجد ذاكره من الخصلة والنهضة والتوفيق ما لا مزيد عليه إن استدام على ذلك سبعة ايام متوالية (فرع) ومن اراد النوم فليعلق قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقوله فضربنا على آذانه في الكهف سنين عددا فإن شئت اقرأهما لنومك أو نوم غيرك في اذنه لينام وجرب فصح . ومن أراد ان يحيا قلبه فلا يموت أبدا فليقل كل يوم بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح يا حي يا قيوم لا إله إلا انت أربعين مرة ومن كرر إسم القيوم في السحر كان له التصرف في قلوب الناس (الواجد) هو الغني الذي لا يفتقر الغني في كل شيء وبكل شيء بحيث كل شيء حاضر لديه كما قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه فهو من الجدة والغنى فهو الذي يجد كل ما يريده . وخاصيته تقوية القلب وذلك لمن قرأه على كل لقمة من طعامه (الماجد) الرفيع القدر العظيم الشرف وهو بمعنى المجيد . وخاصيته تنوير القلب فمن ذكره حتى يغلب عليه منه حال تنور قلبه وقال لي شيخنا رضي الله عنه أن من استدام على أربعمائة منه مساءا وصباحا سمع كلام البهائم وغيرهم تجربة صحيحة (قلت) حتى أنه ربما اشتبه عليه كلامهم بكلام بني آدم أو ظن أنهم هم من شدة ظهوره عنده (الواحد) هو المنفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر وقيل هو المنقطع القرين والشريك فهو المفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ولا ينقسم ولا يشبهه شيء وخاصيته إخراج خوف الخلق من القلب فمن

قرأه ألف مرة خرج خوف للخلق من قلبه، وهو أصل كل بلاء في الدنيا والآخرة (وفي الحديث): «**أنه عليه السلام سمع رجلاً يقول في دعائه: اللهم إني أسألك باسمك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال عليه السلام: لقد سأل الله باسمه الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى**» (فرع) للفرق بين الواحد والأحد أن 'أحد' بني لنفي ما يذكر معه من العدد، فهو يقع على المذكر والمؤنث يقال: ما جاءني أحد، أي: لا ذكر ولا أنثى، وأما الواحد فإنه وضع لمفتتح العدد تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول فيه: جاءني أحد من الناس قالوا: "أحد" بني على انقطاع النظير والمثل، و"الأحد" بني على الانفراد والوحدة عن الأصحاب، "فالواحد" منفرد بالذات، و"الأحد" منفرد بالمعنى قاله في 'تيسير الأصول'، وكثيراً ما كانت أسمع شيخنا - رضي الله عنه - يقول: "الواحد": الذي لا ثاني له، والأحد: الذي لم يتولد وجوده من شيء، ولم يتولد من وجوده شيء فهو الذي لم يلد ولم يولد، ومن خاصية "الأحد" ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره ألفاً في خلوة وطهارة ظهرت له من الغرائب والعجائب بحسب قوته وضعفه، ويروى أن من داوم على عدده بإثر كل فريضة شاهد من سر الله في تصاريفه ما لا تنبغي عنه العبارة، وفيه سر لطيف لمن أراد عقم رجل أو امرأة عن الولادة (واعلم) أني إنما جئت بهذا استطراداً ولما المعدود في النسخة إنما هو الواحد (الصمد) هو السيد الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم أي: يقصدونه، وقيل الذي يُطْعِم ولا يُطْعَم، وقيل: المنزه عن الآفات وقيل: الباقي الذي لا يزول، وخاصيته: حصول الخير والصلاح، فمن

قرأه عند السحر مائة وخمساً وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية، ويروى أن ذاكره لا يحس بألم الجوع مادام متلبساً بذكره ومن قرأه أربعاً وثلاثين بإثر كل فريضة لا يكون للجوع عليه سلطان ومن قرأه كل يوم ثلاثمائة وخمسين مرة قويت إرادته واستعان على الخير ولم يحس بألم الجوع، ومن داوم على تلاوته في موضع خال من الناس يوسع الله رزقه ويطول عمره (**القادر**) هو المتمكن من الفعل بلا معالجة ولا واسطة، الذي لا يلحقه عجز فيما يريد إنفاذه. وخاصيته: إثارة القوة بإذن الله، يذكر مائة أو مائتين بعد صلاة ركعتين عند ضعف الظاهر والباطن في العبادات، وإن ذكره بعد الوضوء قهر الأعداء وظفر بهم (**المقتدر**) مفتعل من القدرة، وهو أبلغ من "قادر"، وقيل: إنهما بمعنى وقيل: أخص منه، قال بعض المشايخ: هو من الاقتدار، وهو الاستيلاء على كل من أعطاه حظاً من القدرة، وخاصيته: وقوع التدبير من مولاه فمن قرأه عند انتباهه من نومه نظراً أي قاصداً التدبير دبر الله له فيما يريد حتى لا يحتاج إلى تدبير فيه (**المقدم**) الذي يقدم الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو بكسر الدال بمعنى أنه يقدم بعض الأشياء على بعض بالشرف كتقديم الأنبياء والصالحين على من عاداهم، وبالمكان به كتقديم العالم العلوي على السفلي، وبالزمان كتقديم بعض القرون على بعض وخاصيته: للقوة في الحرب والتقديم فيه لمن كتبه وعلقه أو كثر من ذكره عند دخول المعركة أو محل الخوف فإنه لا يناله ضرر، ومن أكثر من ذكره كان له تصريف في عالم القدرة (**المؤخر**) هو الذي يؤخر الأشياء إلى أماكنها، فالذي يستحق التقديم قدمه والذي يستحق التأخير أخره، وهو

بكسر الخاء، ويؤخر من يشاء في الشرف وفي المكان وفي الزمن إلى غير ذلك، ومن خواصه: التأخير عن كل قبيح، فمن أكثر منه فتح عليه باب التوبة والتقوى، ومنها أن من قرأه كل يوم مائة سكّن الله قلبه، ومنها أن من أكثر من ذكره كان له تصريف قهري في العالم، وينبغي لمن أراد أن يجعله ذكراً ألّا يذكره إلا مع المقدم (الأول) هو السابق للأشياء كلها فهو موجدها. وخاصيته: جمع الشمل، فإذا واظب عليه المسافر في كل جمعة انجمع شمله، ومن داوم على ذكره كان سابقاً إلى الفضائل، ومن كثر ذكره عند ابتداء أي أمر تم له ذلك الأمر على أحسن حالة (الآخر) هو الباقي بعد الأشياء كلها، وخاصيته صفاء الباطن عما سوى الله، فإذا واظب عليه إنسان في كل يوم مائة مرة أخرج من قلبه ما سوى الحق سبحانه، ومن جعله ورداً فإن الله تعالى يختم له بخير، ومن داوم على مائة منه بعد صلاة العشاء الأخيرة يكون آخر عمره خيراً من أوله (الظاهر) هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلاه وهو الجلي وجوده بآياته الظاهرة، فهو واضح الربوبية بالدلائل، وخاصيته ظهور نور الولاية على قلب قارئه وقالبه إذا قرأه عند الإشراق، ومن داوم على ذكره أظهر الحق تعالى له خفيات الأمور، وبه يستخرج الكنوز، ومن داوم على خمسمائة منه عند الإشراق بعد الضحى نور الله بصره وبصيرته (الباطن) هو المحتجب عن أبصار الخلائق، وحجابه العظمة والجلال فالأوهام لا تدركه من جهة التكييف، وخاصيته: الأمن لمن قرأه في اليوم ثلاث مرات في كل مرة ساعة زمانية، ومن أكثر من ذكره أمن مما يخافه واطمأنت نفسه واتسع قلبه ونار باطنه، ومن داوم على ذكره لا

يأتي أرضاً إلا وفزع إليه أهلها بالبر والطاعة، ومن قرأه كل يوم ثلاثا وثلاثين جعله الله من أهل اليقين، ومما يقضى به جميع الحوائج والمطالب قول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣] خمسا وأربعين مرة بعد صلاة ركعتين (الوالي) مالك الأشياء المتصرف فيها والمتولي لها الذي يباشر الحكم لإصلاح المولى عليه، وخاصيته دفع الآفات من الصواعق وغيرها، ومن أكثر من ذكره كان مهاباً، ويصلح للولاة والأقطاب والمستخلفين والمشايخ والمرشدين ولكل من له رغبة يتولى أمرها (المتعالي) هو المنزه عن صفات المخلوقين، تعالى أن يوصف بها، وخاصيته: وجود الرفعة وإصلاح الحال حتى إن المرأة إذا لازمته في أيام حيضها أو نفاسها يقيها الله من الآفات ويصلح حالها (البر) هو العطوف على عباده ببره ولطفه، وهو المحسن إلى كل الخلائق بإيجاده وإمداده ويوصل الخيرات لمن كتبها له بلطف وإحسان، وخاصيته: حصول البر في الوجود، فإذا قرئ على صبي سبع مرات وجعله وديعة لله تعالى فإنه يحفظه إلى البلوغ إن شاء الله، وحدثني من أثق به أن من جعل يده على نحلة رأس ولده - وهي محل قرنه الوسطى - وتلا عليه "البر" خمس عشرة مرة وقال: "اللهم ببركة هذا الاسم ربه لايتيماً ولا لئيماً" فإنه يربى كذلك إن شاء الله (التواب) هو الذي يتوب على عباده ويكثر ذلك منه لهم على كثرة عصيانهم، فهو القابل توبة العبد، وقيل: هو الذي يلهمهم التوبة، وخاصيته: دفع الظلم وتحقيق التوبة، فمن قرأه أثر صلاة الضحى ثلاثمائة وستين مرة تحققت توبته، ومن قرأه على ظالم عشر مرات

تخلص من مظلومه، ويقال: إن من قاله بعد الضحى ثلاثمائة وستين مرة جعله الله من التائبين المقبولين، وأما مستديم خمسمائة منه فإنــه يتــوب ولابد أن يتوب غيره على يده، وفيه سر جميل لطرد الذباب، وينبغي لكل أحد ألا يخلو من ذكره كل يوم وليلة ولو زمناً ما (**المنتقم**) هو المبالغ في العقوبة ممن يشاء، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغ بــه الكراهيــة حــد السخط، فهو المعاقب للعصاة والمؤاخذ لمن شاء بأشد ســطوة وأعظــم عقوبة كما أراد وبما أراد وعلى ما أراد، وخاصيته: أن يــذكره مــن لا يقدر على الانتقام من عدوه فينتقم الله منه، فمن أكثر من ذكره ودعا على ظالم أُخذ لوقته (**العفو**) هو الذي ترك المؤاخذة بالذنب حتى لا يبقى لــه أثر فيعفو أثره أي يندرس ويذهب، من قولهم: "عفا الأثر" إذا ذهب، فهو الذي يمحو السيئات، وخاصيته: من أكثر منه فتح له باب الرضا وحبــب إليه مكارم الأخلاق وعدم المؤاخذة بالذنب، ومن فعل ذنباً وخاف عليــه عقاباً من ملك أو غيره فذكر هذا الاسم بعدد حروفه أمنه الله تعالى ممــا يخافه، وذاكر هذا الاسم لا يصيبه هم ولا فزع ولا وجل ولا يذوق نوائب الدهر (تنبيه) اعلم أن اسمه "الغفور" و"الغافر" و"العفــو" نظــم متقــارب يصلح لدفع المؤلم خصوصا من آلام الدين والدنيا (**الــرؤوف**) العــاطف برأفته على عباده، وهي أشد الرحمة، والفرق بين الرأفــة والرحمــة أن الرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة، والرأفة لا تكاد تقع في الكراهيــة، وخاصيته يقرأ للحب ومن ذكره عند الغضب عشراً وصلى على النبــي ﷺ عشراً سكن غضبه، وكذا من ذكره بحضرته، ومن أكثر مــن ذكــره رق قلبه ولطفت روحه ورزق شفقة على خلق الله تعالى، وحامله إذا لقي

جباراً رق له قلبه، ومن داوم عليه كل من رآه حن إليه بسره وعطف عليه بقلبه (**مالك الملك**) هو الذي له التصرف المطلق في كل مملوك ومالك بلا حجر ولا تردد ولا استثناء، فهو الذي تنفذ مشيئته في ملكه، لا مرد لقضائه، وخاصيته: وجود الإكرام، فمن داوم عليه أعطاه الله مالاً وأغناه بفضله (**ذو الجلال والإكرام**) هو الذي له العظمة والكبرياء والإفضال التام المطلق، فهو ذو العظمة والإحسان إلى غيره، وخاصيته وجود العز والكرامة وظهور الجلالة حتى لقد جاء في الحديث: «**ألظوا بياذا الجلال والإكرام**» ومعنى ألظوا أي الزموا وألحوا ومما تُملك به البلاد بلا عناد ثلاث وثلاثون وثلاثمائة من هذين الاسمين وهما: مالك الملك ذو الجلال والإكرام (**المقسط**) أي العدل في حكمه، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقَسَطَ إذا جار فهو قاسط، فهو الحاكم بالعدل الذي لا يلحقه جوْر في حكمه ولا يجور في فعله، وهو العادل في حكمه الذي ينتصف للمظلومين ويرد عنهم ظلم الظالمين، وخاصيته نفي الوسواس في العبادة، فمن داوم عليه كان له ذلك وينجو منه، وذلك أن من أكثر من هذا الاسم ألهم أسرار الموازين واتصف بالعدالة وكُفِيَ شر الإفراط والتفريط (**الجامع**) هو الذي يجمع الخلائق ليوم الحساب، وقيل: هو المؤلف بين للمتباينات في الوجود، وقيل: هو للذي له الكمالات كلها ذاتاً ووصفاً وفعلاً، وجامع ما شاء كما شاء لمن شاء متى شاء. وخاصيته: الجمع لمن داوم عليه فمن داوم عليه انجمع بما قصده وأحبابه، ويحسن أن يذكره أصحابه الضوال، ومن ذلك أن يقال عندها: "يا جامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع علي ضالتي" (**الغني**) لا يحتاج إلى

شيء، فمن ذكره على مريض أو بلاء أذهبه الله عنه، ومن قرأه ومسح بيديه جميع أعضائه دفع الله عنه البلاء، وفيه سر الغنى ومن داوم على ألف منه كل يوم أغناه الله **(المغني)** أي: معطي الغنى لغيره فضلاً منه. وخاصيته: وجود الغنى فيقرأه البائس من الخلق.كل يوم ألفاً فإن الله يغنيه. ومن قرأه كل ليلة ألفا ومائة وأحد عشر لا تصفر يده أبدا. ومن قرأه عشر جمع كل ليلة عشرة آلاف ظهر عليه أثر الغنى بأثرها غاية **(المانع)** هو الناصر الذي يمنع أولياءه أن يؤذيهم أحد، وهو الذي يمنع ما شاء فلا معطي لما منع. وخاصيته: من أكثر من ذكره حماه الله تعالى من كل ما يخافه، ويصلح لمن يبتلى بالشهوات. ومن ذكره بقلبه عند النوم ذهب مابينه وبين زوجته من الغضب **(الضار)** هو موصل الضر لمن أراد كيف أراد عدلاً لا جوراً. وخاصيته: القرب من الحق لمن ذكره كل ليلة جمعة مائة، ويصلح لتسليط الأمراض والأسقام على الظالم **(النافع)** هو مقدّر النفع وموصله لمن أراد كيف أراد فضلاً لا استحقاقاً. وخاصيته: أن من ذكره بقلبه حال الجماع أحبته زوجته، وفيه شفاء لكل سقيم ومعافاة لكل مبتلى فمن أكثر من ذكره في حالة ضر عافاه الله تعالى منه، فإن كان صاحب حال صادقة وواظب على ذكره إلى أن يوافق بعض عوالمه لا يمسح بيده على مضرور إلا مسح ضره **(النور)** هو الذي يبصر بنوره ذا العماية، ويرشد بهداه ذا الهداية، وهو مظهر الأعيان من العدم إلى الوجود. وخاصيته: تنوير قلب ذاكره وجوارحه، ومن جمع بينه وبين "النافع" شاهد أموراً عجيبة من سر الأمداد بالحياة باطناً وظاهراً **(الهادي)** هو المرشد لعباده، وهو الذي خلق كل شيء ثم

هداه إلى صالحه، وقيل: المتقدم. وخاصيته: هداية القلوب لحامله وذاكره، وأن ذاكره يرزق التحكيم في البلاد، ويكفي من ذلك عدده بأثر كل فريضة، وأربعمائة منه بعد الفرائض مدة لها مدد عظيم (البديع) قيل: معناه المبدع وهو الذي أتى بما لم يُسبَق إليه، وقيل: الذي لا مثيل له ولا نظير في ذاته ولا في صفاته، وخاصيته: قضاء الحاجات ودفع المضرات، فمن قرأه سبعين ألفاً كان له ذلك، ومن قال: "يا بديع السموات والأرض" ألفاً زال همه وحزنه وكربه، ويصلح لمن أراد إظهار صنعة لم يسبق إليها (الباقي) هو الذي لا يجوز عليه العدم ولا الفناء، فهو الدائم الذي لا يفنى، وخاصيته أن من ذكره ألفاً تخلص من ضر أهمه، ومن قال مائة مرة: "يا باقي" كانت أعماله مقبولة، ومن استدام عدده بأثر كل فريضة وهو في مرتبة لا يعزل عنها ولو اجتمع عليه الثقلان (الوارث) هو الذي له مرجع الأملاك ومالكيها بوجه لا تبقى معه دعوى ملك لأحد (قال تعالى) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ [مريم:٤٠] فهو الباقي بعد فناء الموجودات، وخاصيته: زوال الحيرة، فإن ذكره أحد ألفاً بعد المغرب والعشاء زالت حيرته، ومن قرأه مائة مرة قبل طلوع الشمس لم يضره شيء في جسده في حياته وبعد مماته (الرشيد) هو الذي يدبر الأشياء على وجه السداد من غير استشارة ولا إرشاد، وقيل: هو المرشد، فيكون بمعنى الهادي وقيل: الموصوف بالعدل في حكمه، وقيل: متولي الأمور على وجه لا يتعقب. وخاصيته: قبول العمل، فيذكر لذلك بعد صلاة العشاء مائة مرة، ومن لم يعرف تدبير حاله قرأه بين المغرب والعشاء ألف مرة فإنه يعرف تدبيره (الصبور) هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام

منهم، بل يؤخر ذلك إلى أجل مسمى ثم إن شاء بعد ذلك أخذهم وإن شاء عفا عنهم، فمعنى الصبور في صفة الله تعالى قريب من معنى الحليم إلا أن الفرق بين الأمرين أنهم لا يؤمنون العقوبة في صفة الصبور كما يأمنون منه في صفة الحليم، وخاصيته: لدفع البلايا، فمن ذكره قبل طلوع الشمس مائة لم تصبه نكبة، ومن أكثر من ذكره رزقه الله الثبات عند المصائب ولا يعجز عن إتمام عمل ابتدأ فيه، ويصلح لأهل المجاهدات بالتمام (انتهى) الكلام على التسعة والتسعين بحسب الإمكان والاختصار وهذه رواية الإمام البخاري. وسمع ﷺ رجلاً وهو يقول: **«يا ذا الجلال والإكرام، فقال: قد استُجيب لك»** وقال ﷺ: **«إن لله ملكاً موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل»** ومر برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال: **«سل فقد نظر الله إليك»** وقال ﷺ: **«من سأل الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»** ويروى عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله هل من الدعاء شيء لا يرد؟ قال: **«نعم تقول أسألك باسمك الأعلى الأجل الأكبر»** وقد أرسلت يوماً لشيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - أني أريد حكمة لا يقولها أحد ويسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، فكتب لي: "الله الله الله ربي لا أشرك به شيئا، اللهم إني أسألك باسمك العظيم ورضوانك الأكبر ياذا الجلال والإكرام أن تفعل لي كذا وكذا" فإنه يكون لا محالة، وقد جربتها ولله الحمد غير ما مرة وإني أعزم بالله ونبيه ﷺ على من وقف عليها وتعلمها ألا يجعلها إلا فيما يرضي الله، وكذلك كلما جعلته في كتبي

لا سيما كتابي هذا، وإني قد أذنت لتلامذتي وكل من وصله شيء من كتبي على الانتفاع بكل ما فيها (واعلم) أن الدعاء كما تقدم الرغبة إلى الله تعالى، والرغبة إلى الله تعالى تكون بأمور منها الرغبة إليه بفعل طاعته واجتناب معاصيه - وهي أفضلها - ومنها الرغبة إليه بذكره ودعائه، ومنها الرغبة إليه بالإحسان إلى خلقه والتودد إليهم بما فيه مرضاته، وكل هذه الوجوه تحتها وجوه كثيرة لا تسعها هذه العجالة لكني بحول الله وقوته أتيك بأشياء تنفع ديناً ودنيا مع ما تقدم، وسأجعل لك ذلك في فائدتين: (الفائدة الأولى) فيما يرغب فيه الإنسان من شفاء أعضائه أو أعضاء غيره عضواً عضواً على التفصيل والإجمال، وذلك أني كنت يوماً جالساً مع شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - ومعه المصطفي بن بي[1] - رحمة الله علينا وعليه - وهما يتكلمان في أشياء حتى قال له شيخنا - رضي الله عنه: ما من عضو في ابن آدم إلا ومقابله له حكمة تتلى عليه لشفائه، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، فقلت في نفسي لابد أن أريد ذلك من شيخنا لعله يعطيه لي من كرمه وإحسانه، ففعلت ففعل لي ذلك - جزاه الله عني برضاه - ولم أر من جعل ذلك مستقلا في تأليف على حدته ولا من جعله في غير ذلك متواليا ولم أكن أسمح به في وقت واحد ولا لشخص ما إلا أني كلما طلب مني أحد شيئاً من ذلك أعطيه ما يستحقه منه عندي في ذلك الوقت حتى وجدت ما يقال في نشر العلم لمستحقيه ها أنا أجعل في هذا الكتاب منه

---

(١) هكذا بالأصل، وفيه سقط.اهـ. مصححه.

إن شاء الله ما يسر الناظر ممن هو غائب أو حاضر (الفائدة الثانية) في أذكار وأدعية وأفعال مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر الصحابة والعلماء العاملين لغفران الذنوب وغيره (واعلم) أن من تلا شيئاً من الآيات أو الأسماء أو كتبه ليعلق لأجل شفاء شيء فكأنه دعا الله ورغب إليه في شفاء ذلك ولو لم يقل "اللهم اشفه" ونحو ذلك (الفائدة الأولى) فاعلم أن مما يرقى به الرأس آية ﴿لَوْ أَنزَلْنَا﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة، ومنه ﴿المص﴾ [الأعراف: ١] ﴿طسم﴾ [الشعراء: ١] ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] ﴿حم عسق﴾ [الشورى: ١-٢] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] اسكن أيها الوجع بحق الذي ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣] اسكن أيها الوجع بحق الذي ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣] ومنه: تكرير يا رافع، ومما يرقى به البصر: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] وله أيضا: بسم الله الرحمن الرحيم دخل الرمد بسلامة ويخرج بسلامة، وانكفت الدمعة وانجلت الحمرة بألف لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] يقرأ على العين في كل صباح ثلاث مرات فإن الرمد يذهب بحول الله وكذلك غيره من أوجاع العين. ومن قرأ على ظهر إبهاميه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ

غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق:٢٢] سبع مرات، ويصلي على النبي ﷺ ثم يتفل على إبهاميه ويمسح بهما على عينيه فإنه نافع لنور البصر ونزوال الضرر عن العين، ومن قبّل ظفري إبهاميه ومسح بهما على عينيه أمن من وجع العينين، وهذا حين يقول المؤذن أشهد أن محمد رسول الله، ويقول مع ذلك: مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد ﷺ. ومن أراد أن يستشفي من ضعف بصره أو رمد أصابه فليتأمل الهلال أول ليلة، فإن غمّ عليه فليتأمل في الليلة الثانية أو الثالثة فإذا رآه فليمسح بيمينه على عينيه وهو يقرأ أم القرآن عشر مرات، يبسمل في كل مرة ويؤمن في آخرها، ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ثلاثاً ويمسح على عينيه ويقول: شفاء من كل داء برحمتك يا أرحم الراحمين سبع مرات (وفي رواية يزيد: يارب محمد) ومن قرأ كل يوم ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨] يا نور يا بصير خمس عشرة مرة بين سنة الصبح وفريضته وهو ماسك جبهته بيمينه ثم يقول: "يارب - خمس مرات - قوّ بصري، اللهم اشف أنت الشافي اللهم عاف أنت المعافي" لم يرمد أبداً بقدرة الله، ويعافيه الله من كل داء في بصره وكل مرض أصابه والله على كل شيء قدير، ومن ذهب بصره مع العين فليداوم على "يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يالطيف لما يشاء رد علي بصري"، ومما يرقى به السمع ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١] مع تلاوة "يا سميع" ما أمكن، ومما يرقى به الأنف إن كان به رعاف كف أيها الرعاف بحق الواحد القهار العزيز الجبار ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا

إنْ أمْسَكَهُمَا منْ أحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١] ﴿وَقِيلَ يَا أرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أقْلِعِي وَغِيضَ المَاء﴾ [هود:٤٤] وإن كان به وجع غير الرعاف فليقل: كف أيها الوجع إلخ. وللأنف أيضاً ﴿وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً أن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف:٥٧] ﴿وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأنَّ فِي أذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان:٧]، ومما ترقي به الأسنان ما تقدم للرأس من قوله ﴿المص﴾ [الأعراف:١] إلخ، وكذلك ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أنشَأكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام:٩٨] ﴿أوَلَمْ يَرَ الْإنسَانُ أنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٧-٧٨] وكذلك "يا حفيظ" سبعا وكذلك الفاتحة وتقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أوَلَمْ يَرَ الْإنسَانُ أنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧] إلى آخر السورة، وتقرأ آية الكرسي [البقرة:٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأبْصَارَ وَالْأفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٩] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وهذا سواء ضرسا أو غيرها من الأسنان، وإن كانت الضرس مثقوبة فاكتب قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام:٦٧] في ورقة صغيرة وأدخلها فيه إن أمكن واتركها ساعة فإنها تشفى بإذن الله، ومما يؤدي للعافية في الفم حكاية الأذان. وكذلك قراءة ﴿إنَّا أنزَلْنَاهُ﴾ [القدر] وسورة [قل يا أيها الكافرون] وفي النافلة، ويروى أن الاستياك بالسواك الرقيق جدا يؤدي للمرض في

الفم أو غيره فليجتنب، ومما يرقى به ما يكون في الوجه من كلف ونمش وقوب وغير ذلك قراءة البسملة أربع مرات، بل ولو مرة واحدة ويتفل المرء ريقه في يده ويطلبه به فإنه يذهب، لاسيما إن فعله صباحا قبل أن يذوق المرء شيئاً "تجربة صحيحة"، ومما ينفع للحزاز - وهو القوبى - سواء في الوجه أو في غيره من الجسد خذ خيطاً وتعقد عليه ثلاث عقد وتقرأ مع كل عقدة قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] ويعلق الخيط على من به ذلك يبرأ سريعا، ومما ينفع للحلقوم: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧] وهاتان تتليان على الرقبة، وللحلق أيضا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠] أعيذ فلان ابن فلانة من وجع الحلق وألمه بالله العظيم الذي قال في كتابه الكريم: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] "إلى آخر السورة" ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومما ترقي به الرقبة ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد:١٣-١٤] إلى آخر السورة، وكذلك ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣] إلى آخر السورة، ولوجع الصدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١] وله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح] إلخ ولوجع القلب: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ [المسد] إلى آخرها، وله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح] أيضاً، وله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ

يُطيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:٧-٨]، ولوجع الظهر: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٨٩-١٩٤] وله: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر] إلى آخرها تكتب ثلاثاً ولا يتكلم الكاتب حتى يتم كتابتها وتعلق على الصلب أي الظهر فإنه يبرأ بإذن الله، وله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر] وله اسمه تعالى (المتين) يتلى عليه، وله ولوجع البطن: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق] إلى آخرها، وللبطن: أعوذ بعزته وقدرته من شر ما أجد ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر] إلخ وللعضدين: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص:٣٥] ولليدين: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤] وللذكر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

[البقرة:٢٦٠] تقرأ على ماء وينضح به الذكر ويشرب الباقي، وله سورة والعاديات تتلى عليه لأجل ضعفه وكذلك اسمه تعالى: (القيوم) وإن أضيف (المحيي) فحسن، ومن استدام على مائة من هذه الأسماء مساء وصباحا لا يضعف ذكره أبدا ولا ينال اعتراضا أبداً وهي: (القادر المقتدر القيوم القوي المتين المتكبر المعين) عددهم سبعة ، ولوجع الأنثيين: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢] وللفخذين: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١] وللركبتين: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠] والحوقلة و﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣] وللركبتين أيضا والساقين: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة:٢٩-٣٢] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] وللقدمين: سورة قريش ثلاثا بعد المغرب والصبح. ومما يرقى به للجذام - أعاذنا الله منه - ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا

لهُ فكشفنا ما به من ضُرٍّ وآتيناهُ أهلَهُ ومثلَهُم معهُمْ رحمةً مِنْ عندنا وذكرى للعابدين﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤] ويتفل عليه فإنه يبرأ بإذن الله، وللبرص: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أنّي قدْ جئتكُم بآيةٍ مِّن ربّكُمْ أنّي أخلُقُ لكُم مِّنَ الطّينِ كهيئةِ الطّيْرِ فأنفُخُ فيهِ فيكُونُ طيْرًا بإذنِ اللّهِ وأُبْرِئُ الأكْمهَ والأبْرصَ وأُحْيِـي الموْتى بإذنِ اللّهِ وأُنبّئُكُم بما تأكُلُونَ وما تدّخِرُونَ في بُيُوتكُمْ إنّ في ذلك لآيةً لّكُمْ إن كُنتُم مُّؤْمنين﴾ [آل عمران:٤٩] ويتفل عليه فإنه يبرأ بإذن الله، وللجرب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فكسوْنا العظامَ لحْمًا ثُمّ أنشأْناهُ خلْقًا آخرَ فتبارك اللّهُ أحْسنُ الخالقين﴾ [المؤمنون:١٤]. وللجنون: ﴿ثُمّ أنزلَ عليْكُم مِّن بعْدِ الغمِّ أمنةً نُّعاسًا يغْشى طآئفةً مِّنكُمْ وطآئفةٌ قدْ أهمّتْهُمْ أنفُسُهُمْ يظُنُّون باللّهِ غيْرَ الحقِّ ظنّ الجاهليّةِ يقُولُون هل لّنا مِنَ الأمْرِ مِن شيْءٍ قُلْ إنّ الأمْرَ كُلّهُ للّهِ يُخْفُون في أنفُسِهِم مّا لا يُبْدُون لك يقُولُون لوْ كان لنا مِنَ الأمْرِ شيْءٌ مّا قُتِلْنا هاهُنا قُل لّوْ كُنتُمْ في بُيُوتِكُمْ لبرزَ الّذين كُتِب عليْهِمُ القتْلُ إلى مضاجِعِهِمْ وليبْتلِي اللّهُ ما في صُدُورِكُمْ وليُمحِّص ما في قُلُوبِكُمْ واللّهُ عليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤] ﴿مُّحمّدٌ رّسُولُ اللّهِ والّذين معهُ أشِدّاء على الكُفّارِ رُحماء بيْنهُمْ تراهُمْ رُكّعًا سُجّدًا يبْتغُون فضْلًا مِّن اللّهِ ورِضْوانًا سِيماهُمْ في وُجُوهِهِم مِّنْ أثرِ السُّجُودِ ذلك مثلُهُمْ في التّوْراةِ ومثلُهُمْ في الإنجِيلِ كزرْعٍ أخْرج شطْأهُ فآزرهُ فاسْتغْلظ فاسْتوى على سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاع ليغِيظ بِهِمُ الكُفّار وعد اللّهُ الّذين آمنُوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُم مّغْفِرةً وأجْرًا عظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩] ومما ينفع

لنزيف الدم أن يكتب هذا ويعلق على المرء، وهو هذا: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [هود:٤٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾ [الملك:٣٠] فإنه يبرأ بإذن الله، وكذلك سلس البول يكتب له فإنه يزول، ومما ينفع للقيء تكتب هذه الآية وتمحى وتشرب سبع مرات وهي: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٤٤] ومما ينفع الاحتقان وهو حبس البول أن يعلق على صاحبه ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١-١٢] فإنه ينطلق بإذن الله وله أيضا – أي: حصر البول – يقرأ في أذن صاحبه اليسرى: ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤]، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١-١٢] اذهب أيها الحصر بقدرة من يقول للشيء كن فيكون، ولكل مرض هذه الكلمات يكررها ويكثر منها المريض فإنه يشفى بإذن الله وهي: "سبحانك ما أعظمك، وبحالي ما أعلمك، وعلى فرجي ما أقدرك، كنت ثقتي ورجائي فاجعل حسن ظني فيك دوائي" (واعلم) أن هذا كله لابد أن يكون معه حسن الظن من صاحب المرض ومن العازم لأنه لا يقع الخلل وعدم النفع إلا من جهتهما إما معاً أو من أحدهما، وإلا فكتاب الله وأسماؤه لاشك في نفعهما وبركتهما والحمد لله رب العالمين (الفائدة الثانية) في

أذكار وأدعية وأفعال مروية عن النبي ﷺ وأكابر الصحابة والعلماء العاملين منْ فعلها حرمه الله على النار وأعتقه منها وغفر ذنوبه، من ذلك ما أتى به صاحب "التحفة المرضية في الأخبار القدسية" بقوله: اعلم أنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبدين يتحابان في الله يستقبل أحدهما الآخر فيصافحه ويصليان على النبي ﷺ لم يفترقا حتى يغفر الله ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر» وقال: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»، وعنه عليه السلام: «من صلى قبل الظهر أربعاً وبعده أربعاً حرمه الله على النار» وعن سهل بن سعد عن النبي : «من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يصلي ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر الله خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر» وورد في الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة وأتم السلام: «من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض» وقال: «من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار» وقال ﷺ: «أيما عبد قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين كان حقاً على الله أن يحرمه على النار» وقال: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله والله أكبر أعتقه الله من النار» وعنه ﷺ: «إذا قال العبد: يا معتق الرقاب يقول الله تعالى: ياملائكتي قد علم عبدي أنه لا يعتق الرقاب غيري، أشهدكم يا ملائكتي أني قد أعتقته من النار» وعن النبي ﷺ: «إذا علق الرجل القصعة استغفرت له القصعة وتقول: اللهم أعتقه من النار كما أعتقني من

الشيطان؛ لأن الشيطان يلعقها عند فراغها» وقال: «من لعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة»، وعن النبي ﷺ: «اغسلوا القصعة واشربوها فمن فعل ذلك كان كمن أعتق أربعين رقبة من ولد إسماعيل» وقال أنس - رضي الله عنه: أحب الشيء إلى الله تعالى أن يرى عبده المؤمن مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر الله إليهم بالرحمة ويغفر لهم قبل أن يفترقوا. وقال علي - كرم الله وجهه: أعجزُ الناس مَنْ عَجَزَ عن اكتساب الإخوان وقال ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» قالت عائشة - رضي الله عنها - قال لي النبي ﷺ: «إذا قال العبد: يارب الأرباب قال الله تعالى، لبيك ياعبدي، سل تعط» اهـ. ما في التحفة (وفى راموز الحديث): «من أكل فشبع، وشرب فروي فقال: الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني وسقاني وأرواني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» و«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك» و«من قال كل يوم حين يصبح وحين يمسي: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة صادقاً بها أو كاذباً» و«من قال: لا إله إلا أنت سبحانك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم غفرت ذنوبه ولو كان فاراً من الزحف»

و«من قال: لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر» و«من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قيل: أفلا أبشر الناس؟ قال: إني أخاف أن يتكلوا» وفي رواية قالوا: يا رسول الله فما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزكم عن كل ما حرم الله عليكم» و«من قال: لا إله إلا الله قبل كل شيء، ولا إله إلا الله بعد كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء، عوفي من الهم والحزن» و«من قال: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه كتبت كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمحوه ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله وهي مختومة كما قالها» و«من قال وهو ساجد ثلاث مرات: رب اغفر لي رب اغفر لي لم يرفع حتى يغفر له» و«من قال كل يوم مرة: سبحان القائم، سبحان الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الله العظيم وبحمده، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يُرَى له» فعض أخي بالنواجذ على هذه الفوائد فإنها وإن كانت قليلة لكن فائدتها حالة، ولو نظرت فيها بعين الإنصاف لو جدتها كما قال الناظم في النظم:

أي رواة أص ذا وزاوي

وذلك أنه - ولله الحمد - جمع الأسامي ومعانيها وخواصها مع تتبع أعضاء ابن آدم وغير ذلك مما لا نجده مجتمعا في تأليف واحد وقوله: أي رواة أص ذا وزاوي ، تقدم لي ما رأيت - ولله الحمد - من قال مثل هذا الذي هو اثنا عشر بيتاً ليس فيها حرفين مجتمعين، مع أني - ولله الحمد - لو شئت لقلت أكثر بكثير؛ لأنه فتح من الله من غير

تكلف مني له ولا تعسف، ويدل على ذلك أني قلته في بعض ما بين الظهر والعصر من يوم واحد، وقد كنت أقرأ القرآن حتى طرأ عليّ حال متفكراً في كون القرآن كلام الله ويستحيل عليه الوصف بالجمع والافتراق والتقديم والتأخير ومع ذلك جعله لنا بفضله على هذا النسق العذب الفرات السائغ شرابه للعقول والنقول إلى أن تحيرتُ في هذا الكون وصار عندي من عرشه إلى فرشه بل وما فوق العرش من الحجب وما تحت العرش منها كأنه شيء واحد لا فرق فيه ولا بعد ولا مسافة مع ذلك؛ إذ كل ذرة من ذلك كأنها أمم في أمم وفيها التباين والتخالف والتباعد ما لا تسعه العبارة، فبقيتُ في ذلك ما شاء الله، وإذا الكون كله أمر واحد بيد حكيم عليم مدبر عليه من حيث لا يشعر وقائم به بحيث لا يبصر، ومتصرف فيه من جهة لا ينكر، وهو مع ذلك بين متسبب في زعمه ومتوكل في فهمه؛ والجميع مجعول في ذلك من حيث يدري ومن حيث لا يدري ومجتمع ومفترق ومستبق وملتحق ومسلم ومنتقد ومؤتمن ومرتعد فالتفت قول هذا الكلام على هذا المنوال الذي لم أر من سبقني به من الرجال فتفضل الله عليّ بقوله في بعض ساعة ينال، والتحدي لم يزل من شأن العقلاء والبلغاء إلا أن منهم من يفعله على سبيل الإعجاز كما قال تعالى في القرآن في مواضع ، أحدها قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ [القصص:٤٩]. وثانيها قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨] وثالثها قوله: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود:١٣] . ورابعها قوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ

مِّن مِّثْلِه﴾ [البقرة:٢٣] ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول: ائتني بمثله، بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألة مثله، فإن هذا هو النهاية في التحدي وإزالة العذر.

(مسألة) الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِه﴾ [البقرة:٢٣] إلى ماذا يعود؟ وفيه وجهان، أحدهما: أنه عائد على "ما" في قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣] أي: فأتوا بسورة مما هو على صفته في الفصاحة وحسن النظم، والثاني: أنه عائد عن عبدنا أي فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء، والأول مروي عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن وأكثر المحققين، قاله الفخر الرازي (واعلم) أن كون القرآن معجزاً يمكن بيانه من طريقين: الأول أن يقال: إن هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة: إما أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء، أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة، أو: زائداً عليه بقدر ينقض للعادة والقسمان الأولان باطلان فتعين الثالث، وإنما قلنا: إنهما باطلان لأنه لو كان كذلك لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين أو منفردين، فإن وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون الشبهة، وذلك نهاية في الاحتجاج؛ لأنهم كانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية، وكانوا في محبة إبطال أمره في الغاية حتى بذلوا النفوس والأموال وارتكبوا ضروب للمهالك والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل، وكل ذلك يوجب الإتيان بما يقدح في قوله، والمعارضة أقوى قادح، فلما لم يأتوا بها علمنا

عجزهم عنها فثبت أن القرآن لا يماثل قولهم ولن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتا معتادا، فهو إذاً ناقض للعادة، فوجب أن يكون معجزاً فهذا هو المراد من تقرير هذه الدلالة، فظهر أنه سبحانه كما لم يكتف في معرفة التوحيد بالتقليد، فكذا في معرفة النبوة لم يكتف بالتقليد، وذلك أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وإبطال القول بالشريك عقّبه بما يدل على النبوة والدلائل القاهرة على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] أي تعلمون أن هذه الدلائل لم يفعلها غير الصانع الذي لا شريك له، وقد تقدم بعض الكلام على هذه الآية، ولابد من ضرب مثال عليها هنا، وذلك أنه تعالى قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولاً لأنه سابقة لأصول النعم ومقدماتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما، ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لابد لهم منه وهي منزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا الكون ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمضلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبراً ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف، ونعمة يعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم، وأن شيئاً من هذه

المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها، فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أنداداً وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو قادر (وقوله): ﴿جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٢] إما أن يكون في محل النصب وصفاً ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١] أو على المدح والتعظيم، وإما أن يكون رفعاً على الابتداء، وفيه ما في النصب من المدح، قاله "الكشاف"، والذي عقبه بما يدل على النبوة هو أنه لما كانت نبوة محمد ﷺ مبنية على كون القرآن معجزاً أقام الدلالة على كونه معجزاً بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣] (واعلم) أن العرب اتفقوا على أنه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته، ومع ذلك فإنهم اتفقوا على أنه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها وراءها، فدل ذلك على كونه معجزاً (أحدها) أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة وليس في القرآن من هذه الأشياء فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم ومع ذلك حصلت (وثانيها) أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب في جميعه وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيداً، ألا ترى أن لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما أسلما نزل شعرهما ولم يكن شعرهما الإسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي، وأن الله تعالى مع ما تنزه عن الكذب والمجازفة جاء بالقرآن فصيحاً كما ترى (وثالثها)

أن الكلام الفصيح والشعر الفصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين والباقي لا يكون كذلك، وليس كذلك القرآن؛ لأنه كله فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته **(ورابعها)** أن كل من قال شعراً فصيحاً في وصف شيء فإنه إذا كرره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الأول، وفي القرآن التكرار الكثير ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت أصلاً **(وخامسها)** أنه اقتصر على إيجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة وأمثال هذه الكلمات توجب تقليل الفصاحة وهي لم تقل فيه **(وسادسها)** أنهم قالوا إن شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الخوف، وشعر الأعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء، وبالجملة فكل شاعر يحسن كلامه في فن فإنه يضعف كلامه في غير ذلك الفن، أما القرآن فإنه جاء فصيحاً في كل الفنون على غاية الفصاحة (ألا ترى) أنه سبحانه وتعالى قال في الترغيب: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة:١٧]. وقال تعالى: **﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾** [الزخرف:٧١] . وقال في الترهيب: **﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾**[الإسراء:٦٨] والآيات، وقال **﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم﴾** [الملك:١٦-١٧]. وقال **﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾** [إبراهيم:١٥-١٧]. وقال في الزجر ما لا يبلغه وهم البشر وهو قوله:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال في الوعظ ما لا مزيد عليه ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٥]، وقال في الإلهيات: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨] (وسابعها) أن القرآن أصل للعلوم كلها، فعلم الكلام كله في القرآن، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق، ومن تأمل كتاب الفخر في "دلائل الإعجاز" علم أن القرآن قد بلغ في جميع وجوه الفصاحة إلى النهاية القصوى. والطريق الثاني أن نقول: القرآن لا يخلو إما أن يقال: إنه كان بالغاً في الفصاحة إلى حد الإعجاز أو لم يكن كذلك، فإن كان الأول ثبت أنه معجز، وإن كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة، فعدم إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الإتيان بها أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً، فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه، وهذا الطريق عند الفخر أقرب إلى الصواب، وذلك الحق بلا ارتياب ومن أهل البلاغة وغيرهم من يجعل التحدي للتحريض على فعل الشيء ثانيا، وفي المثل: لولا الوئام لهلك الأنام، والوئام مشتق من واءم فلانا وئاما ومواءمة: وافقه أو باهاه، وفسر المثل بمعنيين: الأول ظاهر، والثاني ليسوا يأتون بالجميل خلقاً وإنما يأتونه مباهاة وتشبها، وذلك أن المرء ربما فعل الفعل وليس له فيه نفع ظاهر ولا باطن، بل وربما فعله وهو يخاف منه الهلاك

وقصده ليس إلا الفخر والمباهاة والتشبه بالأقران إلا أنه إذا كان في شيء حسن حسن كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] وربما ترك الشيء وهو راغب فيه مباهاة أيضا أو خوفاً من المذمة، ولذلك يستنكف عنه، ومنه المثل: لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تذمما ومعنى تذمَّمَ: استنكف، ولعل تحدّي الناظم بهذه القصيدة التحريض على العلم الظاهر والتصوف الباطن حتى تشاهد أيها الناظر ما هي فيه من البلاغة والجناس اللفظي والمعنوي وغير ذلك من الفصاحة وكثرة المعاني مع قلة المباني وحتى تشاهد ما وضعت له من كون الخلق مجتمعاً وهو مفترق، وكونه متفرقاً وهو مجتمع، وكونها جعلت على عدد شهور العام (قال تعالى) ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة:٣٦] والشهور لا متلاصقة ولا متفرقة، وأيامها ولياليها كذلك، كما أن أبيات القصيدة، كذلك وكلماتها وحروفها كذلك، بل وحتى تقدر على قول ذلك وأكثر؛ لأن فضل الله لا ينقص بالعطاء، وأنا لم أحسدك على الآلاء، وبينت لك ما يحسن في البدء والانتهاء، ولو تتبعت لك ما في ذلك، وأظهرت ما خفي مما هنالك، لحارت منك العقول، وكلت عندك بالنقول، والله شهيد على ما نقول، ألا إني لما فعلت منك ذلك طلبت منك الدعاء لقوله ﷺ: «ادعوا الله بألسنة لم تعصوه بها» وفسر بأنه لسان غيرك ولأن من أتاك بما لم يأتك به غيره استحق عليك أن تدعو له ولذلك كان حقاً على آخر الأمة أن يدعو لأولها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ

ولَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] ولأجل هذا الذي تقدم طلبت منك الدعاء ونبهتك بقولي:

وادع إذا روى ذا أراوى أي رواة أص ذا وزاوى

ثم قلت:

رب وزد أراف ذى أب وأمَ رِنفَ ودودِ وأذانَ ذاك أمَ

(اللغة) رب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه، جمعه: أرباب وربوب والربُ اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره رب إلا بالإضافة، وقد قالوا في الجاهلية للملك الرب والسيد، قال تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ [يوسف:٤١] قال الشاعر:

وأهلك يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعرى

والرباني: المنسوب إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً، وهو منسوب إلى الربان، وهو معلم الناس، مأخوذ من ربه يربه إذا أصلحه والجمع: ربانيون، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٦٣] ﴿وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩] والربة بالكسر الجماعة الكثيرة والجمع ربيون (قال تعالى) ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٤٦] . وقال الشاعر:

وإذا معشار تجافوا عن الحـ ـق حملنا عليهم ربيّا

علقها وفي قراءة: ربيون "بالفتح" منسوبون إلى "الرب" إما لأنهم مطيعون له أو من حيث كونهم علماء بما شرع، قاله في "عجالة الراكب" وفي "القاموس": الرب باللام لا يطلق لغير الله عز وجل، وقد يخفف والاسم: الربابة بالكسر، والربوبية بالضم، وعلم ربوبى "بالفتح": نسبة إلى الرب على غير قياس، ولا وربك مخففة لا أفعل، أي: لا وربك أبدل الباء ياء للتضعيف، والرباني المتأله العارف بالله عز وجل ورب جمع وزاد ولزم وأقام كأرب، والأمر: أصلحه، والدهن طيبه كربيه والشيء: ملكه، والزق ربا ويضم رباء بالرب والصبى رباه حتى أدرك كربته تربيباً وتربة كنخلة وأرتبه وتربيه وربيته كسمع لغة فيه (وزد) فعل أمر من زاد، وتقدم الكلام عليها عند قوله:

ورب زاد زادْ ردْ وزري

وحروف الزيادة يجمعها "اليوم تنساها" ويجمعها "سألتمونيها" وقد سمّت العرب كثير أسام من لفظ زاد تفاؤلا بالزيادة، من ذلك أنهم سموا زيداً ويزيد وزياداً وزيادة وزيادة وزيدكا ومزيداً وزيدلا وزيدونه وزيادان نهر، وزيدان: بلد وقصر وموضع، وأبو زيدان: دواء معروف عندهم، وزيداوان مدينة بالسويس، ويزيد نهر بدمشق واليزيدان واليزيدية والزيدى مدينة باليمامة، والزيديون من المحدثين جماعة منسوبة إلى زيد ابن على مذهباً أونسبا (أرأف) أرحم، وتقدم الكلام عند قوله وزد إرادة رؤوف، وفي "القاموس": رأف بالفتح موضع أو رملة، والرأف أيضا الخمر، والرجل الرحيم، كالرؤوف والرؤوف أو الرأفة أشد الرحمة أو أرقها رأف الله تعالى بك "مثلثة" ورأف وراوف رأفة ورأفة ورأفة

محركة، وهو رأف بالفتح وكندس وكتف وصبور وصاحب (ذى) أي صاحب، وتقدم الكلام عليها عند قوله: ذوي ذل أدار (أب وأم) تقدم الكلام عليهما عند قوله: ولب أو أم البيت (ردف) الردف بالكسر: الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف والردافى كحباوى وكل ما تبع شيئا يقال: ردفه، كفرح ونصر، وأردفه: تبعه (قال تعالى): ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] أي متتابعين يردف بعضهم بعضا وقال جذيمة بن مالك:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

أي تبعت، بدليل أن الثريا تطلع قبل الجوزاء، وقوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل:٧٢] أي قرب، والرادفة: النفخة الثانية (قال تعالى): ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٧] بينهما أربعون سنة والردف كوكب قريب من النسر الواقع وتبعه الأمر ويحرك وجبل والليل والنهار، وهما ردفان، وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا، وفي الشعر: حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الرّويّ ليس بينهما شيء، والردفان في قول لبيد يصف السفينة:

فالتام طائفها القديم فأصبحت ما إن يقوم درأها ردفان

ملاحان يكونان في مؤخر السفينة، وفي قول جرير:

منهم عتيبة والمحل وقعنب والحنتفان ومنهم الردفان

قيس وعوف ابنا عتاب ابن سرمى أورجلان آخران

(ودود) اسمه تعالى، وتقدم معناه في الأسماء، وتقدم الكلام على الود عند قوله وود ذا وداد ذاك البيت (وأذان) الأذان لغة: الإعلام وشرعاً معروف، وتقدم الكلام عليه لغةً عند قوله: أذن داع أول البيت (ذاك) اسم إشارة يشار به للمتوسط بين البعد والقرب، وقيل: للبعد، وتقدم الكلام عليه عند قوله وراغ وراء ذا ذاك البيت (أم) أمّه: قصده، كائتمه وأممه وتأممه وتيممه، والتيمم: التوضؤ بالتراب أبدال، أصله التأمم والمئم بكسر الميم: الدليل الهادي، والجمل يقدم الجمال، وهي بهاء والإمة بالكسر: الحالة والشرعة والدين ويضم النعمة والهيئة والشأن وغضارة العيش - أي خصبه وسعته - والسنة ويضم، والطريقة والأمانة والائتمام بالإمام وبالضم: الرجل الجامع للخير ومنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠] والإمام وجماعة أُرسل إليهم رسول، وأصل الأمة: جماعة على مقصد واحد (قال تعالى): ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣] وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤] والأمة أيضاً: الملة ومنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢] والدين (قال تعالى): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨] أي على دين الإسلام، ومنه ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [يونس:١٩] ومنه: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الزخرف:٣٣] أي: لولا أن يكون الناس كفاراً كلهم، ومنه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣] ومنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل:٩٣] ومنه: ﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء:٩٢] ومنه: ﴿كُنتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] أي: أهل دين، قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو ساطع

جعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، والأمة: الحين، ومنه: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ﴾ [هود:٨] ومنه: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥] وقرئ: "بعد أَمَهٍ" كعَمَهٍ ونَوْلِهِ أي: بعد نسيان، قال الشاعر:

أمهت وكنت لا أنسى حديثاً كذاك الدهر يردى بالعقول

والإمام بالكسر: الطريق، ومنه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩] والقدوة، ومنه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] وقال أبو بكر:

فجعنا بالنبي وكان فينا إمام كرامة نعم الإمام

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١] أي نبيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو معناه: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، ويسمى الكتاب إماماً، ومنه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] أو هو هنا اللوح المحفوظ، وأمّه كنصر: قصده، ومنه: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢] وهي التي منها ما في النظم، وتقدم عند قوله وراغ ذا وراء ذاك وإذا، أم رآه رأي راض ذا أذى البيت، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة:٥] أي: يكذب بيوم القيامة بدليل: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾

[القيامة:٦] أي: متى يكون ذلك؟ تكذيباً له والأمي المنسوب إلى أمه لأنه بحال أمه من عدم الكتب لا بحال أبيه؛ إذ النساء ليس من شغلهن الكتب وإما أنه بحال ولدته أمه فلم ينتقل عنها (قال تعالى): ﴿يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] (الإعراب) رب: منادى منصوب علامة نصبه الفتحة المقدرة فيما قبل ياء المتكلم، حذفه وحذف ياء النداء على هذا الوجه كثير في القرآن وكلام العرب (قال تعالى): ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ [آل عمران:٣٥] ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [ص:٣٥] ونحو ذلك، وزد: الواو حرف، وزد فعل أمر، يقال فيه "فعل طلب" لأن المأمور أعلى وهو مع الساوي التماس، ومع الأدنى أمر أرأف مفعوله الأول، والثاني محذوف للعلم به، أو للتعميم أي: زد صلاة وسلاماً أو رفع قدر أو غير ذلك، والفاعل تقدم أنه مستتر وجوباً، ذي: مضاف إليه، وهو بمعنى صاحب، فالياء فيه نائبة عن الكسرة، أب: مضاف إليه أيضاً، وأم: عطف على أب، ردف إن شئت فاجعله نعتاً لأرأف أو بدلاً أو حالاً منه لازمة ودود مضاف إليه، وأذان: مبتدأ، ذاك ترجع إلى ردف (المعنى) اعلم أنه لما طلب منك الدعاء منبهاً لك على ما يستحقه السلف على الخلف لاسيما من أتى بما لم يأت به غيره، وأراد أيضاً أن يختم قصيدته أحب أن يدعو لمن هو أحق أن يدعى له لكونه فعل ذلك كله وليكون ذلك ختما القصيدة فقال: يارب زد من هو أشد رحمة من كل ذي - أي صاحب - أب وأم قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب:٤٣] وقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ثم إنه مدحه بقوله: ردف

ودود بمعنى أنه أشرف المخلوقات لأنه جعله في أعلى رتبة لها بمعنى أنه ليس فوقه في علو القدر إلا ربه تعالى ثم أتاك بشاهد على ذلك بقوله: وأذان أمّ ذاك، أي: قصده، بمعنى أن الأذان قصد تبيين رفع قدر النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] بأن قُرِنَ معَ اسمه الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان ونحوه (تنبيهات) الأول: تقدم أن الرب هو المالك، ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن، تقول: ربه يربه فهو رب كما تقول: نم عليه ينم فهو نم، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده كما تقدم، وهو في غيره على التقييد بالإضافة كقولهم: ربّ الدار، ورب الناقة (وقوله تعالى) ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف:٥٠] ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف:٢٣] وقد أضاف تعالى هذا الاسم للعالمين بأسرهم بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وفي تفسير هاتين الكلمتين فوائد: الأولى: اعلم أن الموجود إما أن يكون واجباً لذاته، وإما أن يكون ممكناً لذاته، أما الواجب لذاته فهو الله تعالى فقط، وأما الممكن لذاته فهو كل ما سوى الله تعالى، وهو العالم؛ لأن المتكلمين قالوا: العالم كل موجود سوى الله، وسبب تسمية هذا القسم بالعالم أن وجود كل شيء سوى الله يدل على وجود الله تعالى فلهذا السبب سمي كل موجود سوى الله بأنه عالم، إذا عرفت هذا فنقول: كل ما سوى الله تعالى إما أن يكون صفة للمتحيز، وإما أن لا يكون متحيزاً ولا صفة للمتحيز، فهذه أقسام ثلاثة (القسم الأول) المتحيز، وهو إما أن يكون قابلاً للقسمة أو لا يكون، فإن كان قابلا للقسمة فهو الجسم

وإن لم يكن كذلك فهو للجوهر الفرد، أما للجسم فإما أن يكون من الأجسام العلوية، أو من الأجسام السفلية، أما الأجسام العلوية فهي الأفلاك والكواكب، وقد ثبت بالشرع أشياء أخر سوى هذين القسمين مثل: العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة، وأما الأجسام السفلية فهي إما بسيطة أومركبة، أما البسيطة فهي العناصر الأربعة، وأحدها كرة الأرض بما فيها من المفاوز والجبال والبلاد المعمورة، وثانيها كرة البحر وهي البحر المحيط وهذه الأبحر الكبيرة الموجودة في هذا الربع المعمور وما فيه من الأودية العظيمة التي لا يعلم عددها إلا الله، وثالثها كرة الهواء، ورابعها كرة النار، وأما الأجسام المركبة فهي النبات والمعادن والحيوان على كثرة أقسامها وتباين أنواعها (وأما القسم الثاني) وهو الممكن الذي يكون صفة للمتحيزات فهي الأعراض. والمتكلمون ذكروا ما يقرب من أربعين جنساً من أجناس الأعراض (أما الثالث) وهو الممكن الذي لا يكون متحيزاً ولا صفة للمتحيز فهو الأرواح، وهي إما سفلية وإما علوية، أما السفلية فهي إما خيرة، وهم صالحو الجن، وإما شريرة خبيثة وهم مردة الشياطين، والأرواح العلوية إما متعلقة بالأجسام، وهي الأرواح الفلكية وإما غير متعلقة بالأجسام، وهي الأرواح المطهرة المقدسة، فهذا هو الإشارة إلى تقسيم موجودات العالم، ولو أن الإنسان كتب ألف ألف مجلد في شرح هذه الأقسام لما وصل إلى أقل مرتبة من مراتب هذا الأقسام، إلا أنه لما ثبت أن واجب الوجود لذاته واحد ثبت أن كل ما سواه ممكن لذاته فيكون محتاجا في وجوده إلى إيجاد الواجب لذاته، وأيضاً ثبت أن الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المبقي وهو الله

تعالى إله العالمين من حيث أنه هو الذي أخرجها من العدم إلى الوجـــود وهو رب العالمين من حيث إنه هو الذي يبقيها حال دوامها واستقرارها، وإذا عرفت ذلك ظهر عندك شيء قليل من تفسير قوله: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وكل من كان أكثر إحاطة بأحوال هــذه الأقســام الثلاثة كان أكثر وقوفاً على تفسير قوله: ﴿رَبِّ الْعَــالَمِينَ﴾ [الفاتحــة:٢] ولولا خوف الإطالة لشرحت لك ما تقدم من الأقسام لكن المراد الإعــلام لا الإتمام، والمثال لا الإكمال (الفائدة الثانيــة) المربــي علــى قســمين أحدهما: أن يربي شيئاً ليربح عليه المربى، والثــاني أن يربيــه ليــربح المربى، وتربية كل الخلق على القسم الأول؛ لأنهم إنما يربــون غيــرهم ليربحوا عليه إما ثواباً أو ثناء (والقسم الثاني) هو الحق سبحانه كما قال: خلقتكم لتربحوا عليّ لا لأربح عليكم، فهو تعالى يربــي ويحســن وهــو بخلاف سائر المربين وبخلاف سائر المحسنين (واعلم) أن تربيته تعــالى مخالفة لتربية غيره، وبيانه من وجوه (الأول): ما ذكرناه أنه تعالى يربي عبيده لا لغرض نفسه بل لغرضهم، وغيره يربون لغــرض أنفســهم لا لغرض غيرهم (الثاني): أن غيره إذا ربى فبقدر تلــك التربيــة يظهــر النقصان في خزائنه وماله وهو تعالى متعال عن النقصان والضرر كمــا قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُــهُ إِلاَّ بِقَــدَرٍ مَّعْلُــومٍ﴾ [الحجر:٢١] (الثالث) أن غيره من المحسنين إذا ألح عليه الفقير أبغضــه وحرمه والحق تعالى بخلاف ذلك كما قال عليه الســلام: «إن الله يحــب الملحين في الدعاء» قال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

(الرابع) أن غيره من المحسنين ما لم يطلب منه الإحسان لم يعط أما الحق تعالى فإنه يعطي قبل السؤال، ألا ترى أنه رباك حال كنت جنينا في رحم الأم وحال ما كنت جاهلا غير عاقل تحسن أن تسأل منه ووقاك وأحسن إليك مع أنك ما سألته وما كان لك عقل ولا هداية (الخامس) أن غيره من المحسنين ينقطع إحسانه إما بسبب الفقر والغيبة أو الموت، والحق تعالى لا ينقطع إحسانه البتة (السادس) أن غيره من المحسنين يختص إحسانه بقوم دون قوم ولا يمكنه التعميم، أما الحق تعالى فقد وصلت تربيته وإحسانه إلى الكل كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] فثبت أنه تعالى رب العالمين ومحسن إلى الخلائق أجمعين فلهذا قال تعالى في حق نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] (الفائدة الثالثة) أن الذي يُحمد ويُمدح ويُعظَّم في الدنيا إنما يكون كذلك لأحد وجوه أربعة: إما لكونه كاملاً في ذاته وفي صفاته منزهاً عن جميع النقائص والآفات وإن لم يكن منه إحسان إليك، وإما لكونه محسناً إليك ومنعماً عليك، وإما لأنك ترجو وصول إحسانه إليك في المستقبل من الزمن، وإما لأجل أنك تكون خائفاً من قهره وقدرته وكمال سطوته، فهذه الحالات هي الجهات الموجبة للتعظيم فكأنه سبحانه وتعالى يقول: إن كنتم ممن تعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فإني إله العالمين وهو المراد بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:٢] وإن كنتم ممن تعظمون الإحسان فأنا ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وإن كنتم

تعظمون للطمع في المستقبل فأنا ﴿الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] وإن كنتم تعظمون للخوف فأنا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] (الفائدة الرابعة) وجوه تربية الله للعبد كثيرة غير متناهية ونحن نذكر منها أمثلة:

(المثال الأول) لما وقعت قطرة النطفة من صلب الأب إلى رحم الأم فانظر أنها كيف صارت علقة أولاً ثم مضغة ثانياً تولدت منها أعضاء مختلفة مثل العظام والغضاريف والرباطات والأوتار والأوردة والشرايين، ثم اتصل البعض بالبعض ثم حصل في كل واحد منها نوع خاص من أنواع القوى فحصلت القوة الباصرة في العين، والسامعة في الأذن، والناطقة في اللسان، فسبحان من أسمع بعظم وأبصر بشحم وأنطق بلحم، واعلم أن كتاب التشريح لبدن الإنسان مشهور، وكل ذلك يدل على تربية الله تعالى للعبد.

(المثال الثاني) أن الحبة الواحدة إذا وقعت في الأرض فإذا وصلت نداوة الأرض إليها انتفخت ولا تنشق من شيء من الجوانب إلا من أعلاها وأسفلها مع أن الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب، أما الشق الأعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة، وأما الشق الأسفل فيخرج منه الجزء الغائص في الأرض وهو عروق الشجرة، فأما الجزء الصاعد فبعد صعوده يحصل له ساق، ثم ينفصل من ذلك الساق أغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الأغصان الأنوار أولاً ثم الثمار ثانياً، ويحصل لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة وهي القشور ثم اللبوب ثم الأدهان وأما الجزء الغائص من الشجر فإن تلك العروق تنتهي إلى أطرافها وتكون الأطراف في اللطافة كأنها مياه منعقدة، ومع غاية لطافتها فإنها

تغوص في الأرض الصلبة الخشنة، ولودع الله فيها قوى جاذبة الأجزاء اللطيفة من الطين إلى نفسها، والحكمة في كل هذه التدبيرات تحصيل ما يحتاج العبد إليه من الغذاء والإدام والفواكه والأشربة والأدوية كما قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس:٢٥-٢٦].

(المثال الثالث) أنه وضع الأفلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العباد، فخلق الليل ليكون سبباً للراحة والسكون، وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [يونس:٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧] واقرأ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:٦-٧] إلى آخر الآية، واعلم أنك إذا تأملت في عجائب أحوال المعادن والنباتات والحيوانات وآثار حكمة الرحمن في خلق الإنسان قضى صريح عقلك بأن أسباب تربية الله كثيرة، ودلائل رحمته ظاهرة، وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحر أسرار قوله: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] (الفائدة الخامسة) أضاف الحمد إلى نفسه ثم أضاف نفسه إلى العالمين، والتقدير: إني أحب الحمد فنسبته إلى نفسي بكونه ملكاً لي، ثم لما ذكرت نفسي عرفت نفسي بكوني رباً للعالمين ومن عرف ذاتاً بصفة فإنه يحاول ذكر أحسن الصفات وأكملها، وذلك يدل على أن كونه رباً للعالمين أكمل الصفات، والأمر كذلك؛ لأن أكمل المراتب أن يكون تاماً وفوق التمام، فقولنا: "الله" يدل على كونه واجب الوجود لذاته في ذاته وبذاته، وهو التمام، قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الفاتحة:٢] معناه أن وجود كل ما سواه فائض عن تربيته وإحسانه وجوده، وهو المراد من قولنا أنه فوق التمام (الفائدة السادسة) أنه يملك عباداً غيرك كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١] وأنت ليس لك رب سواه، ثم إنه يربيك كأنه ليس له عبد سواك، وأنت تخدمه كأن لك رباً غيره، فما أحسن هذه التربية! أليس أنه يحفظك في النهار عن الآفات من غير عوض، وبالليل عن المخافات من غير عوض؟ واعلم أن الحراس يحرسون الملك كل ليلة فهل يحرسونه عن لذع الحشرات؟ وهل يحرسونه عن أن تنزل به البليات؟ أما الحق تعالى فإنه يحرسه من الآفات ويصونه عن المخافات بعد أن كان قد زج من أول الليل في أنواع المحذورات وأقسام المحرمات والمنكرات، فما أكبر هذه التربية وما أحسنها! أليس من التربية أنه ﷺ قال: «**الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب**» فلهذا المعنى قال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ**﴾ [الأنبياء:٤٢] ماذاك إلا الملك الجبار والواحد القهار ومقلب القلوب والأبصار، قاله الفخر.

(الفائدة السابعة)جاء في الحديث: «**إن الله تعالى خلق ألف أمة منهم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، فأول شيء يهلك الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه** »أخرجه الديلمي من حديث عمر ابن الخطاب، قاله "الرامور".

(الفائدة الثامنة) اعلم أنه ثبت بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات، فهو تعالى قادر على أن يخلق ألف ألف عالم خارج العالم بحيث يكون كل واحد من

تلك العوالم أعظم وأجسم من هذا العالم، ويحصل في كل واحد منها مثل ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والأرضين والشمس والقمر، ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة ركيكة مبنية على مقدمات واهية، قال أبو العلاء المعري:

يا أيها الناس كم لله من فلك تجرى النجوم والشمس والقمر

هين على الله ماضينا وغابرنا فما لنا في نواحي غيره خطر

قاله الفخر أيضاً (التنبيه الثاني) اعلم أنه تقدم عند قوله: ورب زاد زاد وزر أن زاد تكون لازمة ومتعدية لمفعولين، وهي هنا متعدية لمفعولين، أما أحدهما فهو المذكور في قوله "أرأف" والثاني تقدم أنه محذوف للعلم به أنه الصلاة والسلام لأنهما اللذان طلب الله منا له بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب:٥٦] كأنه رب، وزاده صلاة وسلاماً لأن حصول الصلاة والسلام معلوم عند كل أحد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦] فصلاة الله تبارك وتعالى وملائكته حاصلتان قبل خلقنا، وإنما المطلوب الزيادة، أو محذوف للتعميم أي طلب التعميم للصلاة ورفعة القدر وكثرة الأتباع وامتداد أمد الأمة وغير وغير من كل ما تكون به زيادة الفضل والخير، وهذا الوجه أبلغ وذلك أظهر (واعلم) أن الزيادة من الخير مطلوبة عند الخلق محبوبة عنده حتى قال ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»**أو كما قال، والذي في "الجامع الصغير": **«لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى**

إليه ثانيا، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» وفيه: «لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» ولا شيء من الزيادة أنفع للمرء من زيادة الإيمان، وهو يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصانها، وذلك لأجل الارتباط الذي بين الظاهر والباطن لأنه كلما زاد في الأعمال ازداد الإيمان في الباطن وكلما ازداد الإيمان في الباطن زاد العبد في الأعمال الظاهرة هكذا وهكذا حتى تلتقي حافظة القلب ويسرى نور الأعمال من الإيمان في الجسم سريان الماء في العود حتى لا تبقى منه بقية، فذلك الوصول الذي لا وصول فوقه وهنالك تصير المحبة التي في الحديث الذي فيه: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي عليها» وهذه الزيادة التي هي مصير القوم إليها بمسيرهم ويطلبونها بمسيرهم ومصيرهم، ولا شيء أعظم زيادة لهذه الزيادة من ذكر الله تعالى سراً وجهراً وتكثيراً لا تقليلاً ولا تقصيراً، وأنواع الذكر كثيرة منها أفعال وأقوال وكلها تزيد الإيمان، فالأفعال كثيرة نحو ذكره تعالى لأجل امتثال أمره في أداء الفرائض والسنن والمندوبات سواء من حقوق الله أو من حقوق المخلوقات، ونحو ذكره لأجل نهيه في ترك المحرمات والمكروهات ومالا ينبغي من الجائزات سواء أيضا في جهته تعالى أو في خلقه، وأما الأقوال فكثيرة أيضاً منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بالعلم مع العمل، ومنها ذكر الله بأي أنواعه، وسأذكر لك إن شاء الله هنا من غير ما تقدم ما تكون لك به ديناً ودنيا الزيادة وأجعله لك في فصول

تبعا للإمام الشعراني في "كشف الغمة"، والفصل الأول: فضل لا إلــه إلا الله. كان أبو هريرة - رضي الله عنه - يقول: ســمعت رســول الله ﷺ يقول: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ونفسه» وكان ﷺ يقول: «أفضل الحسنات لا إله إلا الله» وكان ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ حرم الله عليه النار فقال: أفلا أخبر بها الناس يا رسول الله فيستبشروا؟ قــال: إذاً يتكلوا» وكان ﷺ يقول: «ما قال عبد قط: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبــائر» وفي رواية: قيل: يا رسول الله ما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عما حرم الله عليه» وتقدم مثل هذين الحديثين وكان ﷺ يقول: «من قال: "لا إله إلا الله وحده" هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبار» وكان ﷺ يقول: «قــال موسى عليه السلام: يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: يارب كل عبادك يقولون: لا إله إلا الله، قال: قــل: لا إله إلا الله، قال: يارب إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» وكان ﷺ يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضــل الدعاء الحمد لله» وكان عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - يقــول: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «هل فيكم غريب؟ - يعني أهل الكتــاب - فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب، وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة قال: الحمد لله اللهم إنك بعثتنــي بهــذه

الكلمة ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: ألا أبشروا فإن الله غفر لكم» وكان ﷺ يقول: «جددوا إيمانكم، فقال له رجل: كيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله» وكان ﷺ يقول: «أكثروا من قول لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها» وكان ﷺ يقول: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست مافي الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات» وكان ﷺ يقول: «ألا أخبركم بوصية نوح؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أوصى ابنه باثنتين فقال لابنه: يا بني إني أوصيك بقول: لا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة أخرى كانت أرجح منها، ولو أن السموات والأرض وما فيهما كانت حلقة ووضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتها، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء» وكان ﷺ يقول: «ثمن الجنة لا إله إلا الله» وكان ﷺ يقول: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملأه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه» وكان ﷺ يقول: «يستخلص الله تعالى رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر إليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر حتى إذا ظن أنه هلك حضرت له بطاقة فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله فتوضع في كفة والسجلات في كفه فتطيش السجلات وتثقل البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء» وكان كعب الأحبار – رضي الله عنه – يقول: إذا كان الذي يكفر بالله تعالى طول عمره إذا قال: لا

إله إلا الله محمد رسول الله آخر عمره تكفر عنه جميع سيئاته فكيف بالعبد المسلم الذي يقولها طول عمره؟ والله أعلم.

(الفصل الثاني) في الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً، وكان ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة، وأنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه**» وكان جابر - رضي الله عنه - يقول: رفع رجل صوته بالذكر، فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوه فإنه أوّاه**» وقال ابن عمر - رضي الله عنهما: وكان الناس على عهد عمر - رضي الله عنه - يرفعون أصواتهم بالذكر عند غروب الشمس وربما ذكروا سراً فيرسل إليهم عمر أن ارفعوا أصواتكم بالذكر فإن الشمس قد دنت للغروب، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شعائر الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بأي شيء أتشبث به؟ قال: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**» قوله: "أتشبث به" أي: أتعلق، وكان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يقول: كان آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أي الأعمال أحب إلي الله تعالى؟ قال: «**أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى**». وكان ﷺ يقول: «**إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله**، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **ولا الجهاد، إلا أن يضرب بسيفه حتى**

ينقطع» وفي رواية: لو يضرب بسيفه حتى ينقطع، وفي رواية: **«ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى يارسول الله، قال: ذكر الله، **وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»** وكان ﷺ يقول: **«من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله؛ فإن العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله»** وكان ﷺ يقول: **«ثلاث لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيراً، والمظلوم، والإمام العادل»** وكان ﷺ يقول: **«أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً صابراً، وزوجة لا تبغيه حبوة في نفسها ومالها»** وكان ﷺ يقول: **«ليذكرن أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى»** وكان ﷺ يقول: **«مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحي والميت»** وكان ﷺ يقول: **«أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»** وكان ﷺ يقول: **«اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون»** وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يأخذ بأصحابه في الذكر، فإذا ملوا أخذ بهم في غيره. وكان عثمان - رضي الله عنه - يقول: لو أن قلوبنا طهرت لن نمل من ذكر الله عز وجل، وكان ﷺ يقول كثيراً: **«قد سبق المفردون، فقال رجل: ما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً»** وفي رواية فقال: **«المفردون هم المهتزون، هم المولعون بذكر الله تعالى المداومون لا**

يبالون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم». وفي رواية فقالوا: يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «الذين يهتزون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أوزارهم وخطاياهم فيأتون يوم القيامة خفافاً» وكان ﷺ يقول: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه» والخطم هو الفم، وكان ﷺ يقول: «علامة حب الله ذكر الله، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله» وكان ﷺ يقول: «ما من يوم وليلة إلا ولله عز وجل فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده، وما منَّ الله على عبد بأفضل من أن يلهمه ذكره» وكان ﷺ يقول: «أعظم المجاهدين أجراً أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً» وكذلك كان ﷺ يقول إذا سئل عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة، فقال أبو بكر لعمر يوماً: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «أجل يا أبا بكر» وكان ﷺ يقول: «حضر ملك الموت رجلا فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرا قط، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا قط، ففك لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله فغُفِرَ له» وكان ﷺ يقول: «لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها، وآخر يذكر الله، لكان الذاكر لله أفضل منه» وكانت أم سليم - رضي الله عنها - تقول: قال لي رسول الله ﷺ: «أكثري من ذكر الله تعالى فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره». وكان ﷺ يقول: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها» وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «من لم يكثر من ذكر الله فقد برئ من الإيمان» وكان عمرو بن العاص -

رضي الله عنه - يقول: ذكر الله بالغداة والعشي أعظم من خطم السيوف في سبيل الله. الخطم: الضرب على الأنف، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: أكثروا من ذكر الله ولا تصحبوا إلا ما يعينكم على ذكر الله، وكان ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني». وكان يقول: «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة» والله أعلم.

(الفصل الثالث) في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى. كان رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بمن يدخل الجنة وهو يضحك؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذين لا يزالون ألسنتهم رطبة من ذكر الله» وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قال: فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحا، قال: فيقول: فما يسألوني قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوها، قال: فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم

يتعوذون؟ قال: فيقولون: من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول الحق تبارك وتعالى أشهدكم أني غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: يارب فيهم فلان الخطاء، وإنما مر فجلس معهم، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: هم القوم لا يشقى جليسهم» وقال معاوية – رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمةً ولكن أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» وكان ﷺ يقول: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم؟ فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر» وكان ﷺ يقول: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات» وكان ﷺ يقول: «إن لله تبارك وتعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم» وكان ﷺ يقول: «غنيمة مجالس الذكر الجنة»وكان ﷺ يقول: «لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض» وكان ﷺ يقول: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا

وروحوا في ذكر الله واذكروه أنفسكم، من كان يريد أن يعلم منزلته عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه» وكان ﷺ يقول: «عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطيب الكلام كما ينتقي آكل الثمر أطايبه» ومعنى جماع بضم الجيم وتشديد الميم أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة، والنوازع: الغرباء، يعني أنهم يجتمعون لا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غيره. وكان ﷺ يقول: «رياض الجنة حلق الذكر فإذا مررتم بها فارتعوا» يعني: اجلسوا معهم فيها، وكان ﷺ يقول: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة» وفي رواية: «ما جلس قوم مجلساً لا يذكرون الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة إن شاء غفر لهم» وفي رواية: «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كان عليه من الله ترة، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة» والترة بكسر المثناة فوق وتخفيف الراء: النقص، وقيل: التبعة والله أعلم.

(الفصل الرابع) في قول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكلمات يكفرن لغط المجلس، كان ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، وما قالها عبد قط مخلصاً لها روحه مصدقا بها قلبه، ناطقاً بها لسانه إلا فتق الله له في السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله» وفي رواية: «من قالها لم يسبقها عمل ولا تبق معها سيئة». وكان ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له ألف ألف حسنة» والله أعلم. هكذا في "كشف الغمة"، (وفي الترغيب والترهيب) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» وروي أيضاً أنه قال: كفارة لما يكون في المجلس - يعني ما تقدم -، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً أو صلى تكلم بكلمات، فسألته عائشة - رضي الله عنها - عن الكلمات، فقال: «إن تكلم بخير كان طابعاً عليهن إلى يوم القيامة، وإن تكلم بشر كان كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك لا الله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فقالها في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له»، وقال ﷺ: «إذا جلس أحدكم في مجلس فلا يبرحن منه حتى يقول ثلاث مرات: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت اغفر لي، وتب عليّ. فإن كان أتى خيراً

كان كالطابع عليه، وإن كان في مجلس لغو كان كفارة لما كان في ذلك المجلس» وكان رسول الله ﷺ إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب أنت» وقال: «هن كفارة المجلس».

(الفصل الخامس) في الأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ والترغيب في حضور المجالس التي يصلى فيها عليه، وما جاء في التحذير من تركها وغير ذلك (اعلم) أن هذا الفصل هو المقصود من الكلام على هذه الكلمة لكون طلب الزيادة من الصلاة على النبي هو المقصود في النظم، وإنما قدمت عليه ما تقدم لكون ذكر الله مقدماً على ذكر النبي ﷺ ما نالت من الشرف لكونها فرعاً من ذكر الله، بل قال بعض العلماء: إن فيها ثلاث خصال ما اجتمعت في غيرها وهي: ذكر الله، وذكر نبيه، وكونها دعاء (واعلم) أيضاً أن زيادة الصلاة على النبي لفاعلها أمر مشهور وفضلها ظاهر ومذكور. كان أبو هريرة – رضي الله عنه –يقول كان رسول الله ﷺ يقول: «صلوا عليّ فإن الله عز وجل يصلي عليكم» وفي رواية: «صلوا عليّ فإن صلاتكم عليّ زكاة لكم وإنها أضعاف مضاعفة» وكان ﷺ يقول: «إن الله عز وجل لينظر إلى من يصلي عليّ، ومن نظر الله إليه لا يعذبه أبداً» وكان ﷺ يقول: «إذا صليتم عليّ فقولوا: اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد النبي الأمي كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد

مجيد، وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. ثم قال ﷺ: هكذا عدهن في يدي جبريل، وقال: عدهن في يدي ميكائيل، وقال: عدهن في يدي إسرافيل، وقال: عدهن في يدي رب العزة جل جلاله، فمن صلى عليّ بهن شهدت له يوم القيامة بالشهادة وشفعت له» وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ فقال: «قل: اللهم صلِّ وسلم على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، فمن قال ذلك وجبت له شفاعتي». وكان رسول الله ﷺ يقول: «زينوا مجالسكم بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» وذكر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: «من قال: جزى الله عنا محمداً صلى الله عليه وسلم بما هو أهله أتعب سبعين ملكاً ألف صباح» وكان ﷺ يقول: «من قال: اللهم صلِّ وسلم على روح محمد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور رآني في منامه، ومن رآني في منامه رآني يوم القيامة، ومن رآني يوم القيامة شفعت له، ومن شفعت له شرب من حوضي وحرم الله جسده على النار»وكان ﷺ يقول: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما

صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» وكان ﷺ يقول: «الصلاة عليَّ نور يوم القيامة عند ظلمة الصراط، فأكثروا من الصلاة علـي» وكـان ﷺ يقول: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقول: اللهم صلِّ على محمد دون وعلي آل محمد، فقيل لـه: من أهلك يا رسول الله؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسـين» وجـاء رجل مرة فدخل على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال: السلام عليكم يا أهل العز الشامخ والكرم الباذخ، فأجلسه النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر - رضي الله عنه - فعجب الحاضرون من تقديم رسول الله ﷺ لـه فقال رسول الله: «إن جبريل عليه السلام أخبرني أنه يصلي عليَّ صلاة لم يصلها عليَّ أحد قبله، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - كيف يصلي عليك يا رسول الله؟ قال: يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمـد في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين» وكان ﷺ يقول: «من قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضـا ولحقه أداء، واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته وجبـت لـه شفاعتي» فكان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلـك يعـرض عليه، قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبدك ورسولك إمام الخيـر وقائـد الخيـر ورسول الله، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولـون والآخـرون. وكان ﷺ يقول: «إذا صليتم على المرسلين فصلوا عليَّ معهـم؛ فـإني رسول من المرسلين» وفي رواية: «إذا صليتم عليَّ فصلوا على أنبيـاء

الله ورسله؛ فإن الله بعثهم كما بعثني» صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. وكان رسول الله ﷺ يقول: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً» زاد في رواية: «وكتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات» وفي رواية: «من صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة مرة، ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفاً» وفي رواية: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة» وفي رواية: «من صلى علي مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه يوم القيامة مع الشهداء، فأكثروا من الصلاة عليّ كلما ذُكِرتُ فإنها كفارة لسيئاتكم». وكان ﷺ يقول: «ما من عبد مؤمن يذكرني فيصلي عليّ إلا بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له ذلك عشر حسنات» وقال ﷺ: «أكثروا عليّ من الصلاة في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً» وكان ﷺ يقول: «لقيني جبريل عليه السلام فقال: أبشر يا محمد إن الله يقول لك: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه فليقلل من ذلك أو ليكثر» وكان ﷺ يقول: «من صلى عليّ واحدة كانت له عدل عشر رقاب» وكان ﷺ يقول: «إن لله ملكاً أعطاه أسماء الخلائق قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي علي صلاة صادقا من قلبه إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان، قال: فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وتصلي عليه الملائكة ما دام يصلي علي» وكان ﷺ يقول: «من صلى علي تعظيما لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة

ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملتو تحت العرش ويقول الله عز وجل: صلّ على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة». وفي رواية: «فما من عبد يصلي عليَّ حباً لي انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر الله لذلك المصلي عليَّ إلى يوم القيامة». وكان ﷺ يقول: «إن الله تعالى جعل لأمتي في الصلاة عليَّ أفضل الدرجات» وكان ﷺ يقول: «إذا جلس قوم يصلون علي حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء، بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: زيدوا زادكم الله، فإذا استفتحوا الذكر فتحت لهم أبواب السماء واستجيب لهم الدعاء وأقبل الله عز وجل عليهم بوجهه ما لم يخوضوا في حديث غيره أو يتفرقوا، فإذا تفرقوا انصرف الكتبة يلتمسون حلق الذكر» وكان ﷺ يقول: «من صلى علي كل يوم ثلاث مرات كان حقاً على الله أن يغفر ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم» وكان ﷺ يقول: «من أراد أن يحدث بحديث نفسه فليصل علي؛ فإن صلاته علي خلف عن حديثه وعسى أن يذكره» وكان ﷺ يقول: «إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم، فإذا صلوا على النبي ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا، ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهؤلاء يرجعون مغفراً لهم» وكان ﷺ يقول: «من صلى علي صلاة كتب الله له قيراطا، والقيراط مثل أحد»

وكان أبي بن كعب - رضي الله عنه - يقول: «قلت: يا رسول الله إني أكثرُ الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تُكفَى همك ويُغفَر لك ذنبك»، وفي رواية: «إذاً يكفيك الله هم دنياك وآخرتك» وكان ﷺ يقول: «الصلاة عليّ أمحقُ للخطايا من الماء للنار، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب، وحبي أفضل من مهج الأنس، أو قال: منْ ضَرْب السيف في سبيل الله عز وجل، ومن صلى علي مرة واحدة حباً لي وشوقاً إليّ أمر الله حافظَيْه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة أيام» وكان ﷺ يقول: «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها أكثركم علي صلاة في دار الدنيا» إنه قد كان في الله وملائكته كفاية، وإنما أمر بذلك المؤمنين ليثيبهم عليه.

(قال بعض العلماء) - رضي الله عنهم - وأقل الإكثار: سبعمائة وخمسون كل يوم وثلاثمائة وخمسون كل ليلة. وكان ﷺ يقول: «من سره أن يلقى الله تعالى وهو عنه راض فليكثر من الصلاة عليّ» وكان ﷺ يقول: «ليرِدَنّ الحوضَ عليّ أقوام لا أعرفهم إلا بكثرة الصلاة عليّ» وكان ﷺ يقول: «رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو مرة، ويخر مرة، ويتعلق مرة، فجاءته صلاته عليّ فأخذته بيده فأقامته على الصراط حتى جاوزه» وكان ﷺ يقول: «من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة» وكان ﷺ يقول: «أيما رجل مسلم لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم

صلِّ على محمد عبدك ورسولك، وصلِّ علـــى المـــؤمنين والمؤمنـــات والمسلمين والمسلمات، فإنها زكاة، ولا يشبع مؤمن خيراً حتى يكـــون منتهاه الجنة» وكان ﷺ يقول: «من صلى عليَّ كل يوم مائة مرة قضـــى الله له مائة حاجة، أيسرها عتقه من النار»وكـــان ﷺ يقـــول: «زينـــوا مجالسكم بالصلاة عليَّ؛ فإن صلاتكم عليَّ نور يوم القيامة» وكـــان ﷺ يقول: «أقرب ما يكون أحدكم مني إذا ذكرني وصلى علـــيَّ» وكـــان ﷺ يقول: « من صلى علي طهّر الله قلبه من النفـــاق كمـــا يطهـــر المـــاء الثوب» وكان ﷺ يقول: «من قال: صلى الله على محمد فقد فتح علـــى نفسه سبعين باباً من الرحمة، وألقى الله محبته في قلوب النـــاس فـــلا يبغضه إلا من في قلبه نفاق» قال الإمام الشعراني، قال شيخه - رضي الله عنه - هذا الحديث والذي قبله رويناهما عن بعض العـــارفين عـــن الخضر عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وهما عندنا صحيحان في أعلـــى درجة وإن لم يثبتهما المحدثون على مقتضى اصطلاحهم والله أعلم.

(فرع) في التحذير من ترك الصلاة على رسول الله ﷺ كلما ذكر كان رسول الله ﷺ يقول: « بعد من ذكرت عنده فلم يصلِّ علـــيَّ» وفـــي رواية: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» وفي رواية: «مـــن ذكرت عنده فلم يصل علي فقد شقي» وفي رواية: «من ذكـــرت عنـــده فأخطأ الصلاة علي أخطأ طريق الجنة» وفي رواية: «من ذكرت عنـــده فلم يصل علي دخل النار» وفي رواية: «من ذكرت بين يديه ولم يصـــل علي فليس مني ولا أنا منه» ثم قال: قال رســـول الله ﷺ «صـــل مـــن وصلني واقطع من لم يصلني» وكان ﷺ يقول: «من الجفـــاء أن أُذْكـــر

عند رجل فلم يصلِّ عليّ» وفي رواية: «ألا أنبئكم بأبخل البخلاء؟ ألا أنبئكم بأعجز الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من ذكرت عنده فلم يصل علي»، وكان ﷺ يقول: «ويل لمن لا يراني يوم القيامة» قالت عائشة - رضي الله عنها - «من ذا الذي لا يراك يا رسول الله؟ قال: البخيل، قالت: ومن البخيل؟ قال: الذي لا يصلي عليّ إذا سمع باسمي» وكان ﷺ يقول: « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة» وفي رواية: «إلا كان عليهم من الله ترة، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»، وفي رواية: «إلا قاموا على أنتن جيفة». وكان ﷺ يقول: «من لم يصل عليّ فلا دين له» وكان ﷺ يقول: «لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم» والله أعلم. قوله: أرأف ذي أب وأم (اعلم) أنه وَصَفَ النبي ﷺ بكونه أرأف من كل ذي أب وأم، بل ومن غيره من كل مخلوق،وذلك أن شفقته ﷺ ورحمته ورأفته بجميع الخلق أمر خارق لعادة رحمة المخلوقات بعضها ببعض، قال تعالى فيه ﷺ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] قال بعضهم: من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال: رءوف رحيم، وحكى مثله أبو بكر بن فورك قال في "الشفاء"، وفيه عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله ﷺ غزوةً وذكر حنيناً قال: فأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائةً من النعم، ثم مائةً، ثم مائة، قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد

أعطاني وإنه لأبغض الخلق إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ. وروى: «أن أعرابيا جاءه يسأل منه شيئاً فأعطاه ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبي ﷺ إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال: نعم، فلما كان الغد أو العشي قال ﷺ: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك كان؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال ﷺ: مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه إليها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»

(وروي) عنه أنه ﷺ قال: « لا يبلّغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً؛ فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر» وفي شفقته ﷺ على أمته تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله ﷺ: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» وخبر صلاة الليل، ونهيه إياهم عن الوصال، وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته، ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيجوّز في صلاته، (ومن شفقته) ﷺ

أن دعا ربه وعاهده فقال: «أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» ولما كذبه قومه أتاه جبريل فقال له: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (وروى) ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك، فقال: «أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم» قالت عائشة: ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما (وقال ابن مسعود): كان رسول الله ﷺ «يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا» (وعن عائشة) - رضي الله عنها - أنها ركبت بعيراً وكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق» قاله في الشفاء (واعلم) أن رأفته ﷺ بعض من أخلاقه الجميلة، وقد أكثر العلماء - رضي الله عنهم - في نقلها في تواليفهم على حدتها ومع غيرها، ومن أوْجز ذلك وأحسنه ما نقله ابن شامة - رضي الله عنه - بقوله: (فصل) وهذه جمل من أخلاق المصطفى ﷺ: قال الله العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] وذلك أنه ﷺ كان أحلم الناس وأجودهم وأكثرهم حياء وعن العورات إغضاء، كان أشد حياء من العذراء في خدرها وكان أوسع الناس صدراً وأصدقهم لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة. وكان دائم البشْر سهل الخُلُق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فاحش ولا عياب ولا مداح

يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كان كراعا أو جرعة لبن أو فخذ أرنب ويأكلها ويكافئ عليها، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، يمازح أصحابه ويخالطهم ويحنك أطفالهم ويضعهم في حجره ويداعبهم، ويجيب من دعاه بلبيك ويجيب دعوة العبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة ولو من وجع العين ماشياً ويعود الأعراب والصبيان، ويقبل عذر المعتذر. ويكثر مشاورة أصحابه، ولا يقطع حديثاً حتى يستأمر عائشة لأنها كانت رجلة الرأي، وقال لوفد عبد القيس: مرحباً بالقوم، وقال: مرحباً بأم هانئ. وقال لعامر، مرحباً بالطبيب المطيب، وقال لفاطمة مرحباً بابنتي وكان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكذا كانت تفعل إذا دخل عليها، وارتحله أحد ابني بنته وهو ساجد يصلي بالقوم فطول سجوده مخافة أن يعجله حتى يقضي حاجته وكان يدلع لسانه للحسن، وقال له يرقصه: حزقة حزقة ترق عين بقة أي: اصعد علي يا صغير الجثة، فيرقى حتى يضع قدميه على صدره وكان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويقول: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» و«**إذا أكرم الرجل أخاه فإنما يكرم ربه**» و«**أنزلوا الناس منازلهم**» وكان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، وكان يؤلفهم ولا ينفرهم، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لا يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء،

ما التقم أحد أذنه فينحي رأسه حتى يكون هو الذي ينحي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسله الآخر، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ثم يأخذ بيده فيشابكه ويشد قبضته، ولم يُرَ قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق فيها على أحد، يكرم من دخل عليه، وربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه، ويؤثر للوارد بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه أن يفعل ويقول: «**ما من مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقي له وسادة إكراماً له إلا غفر الله له**» ورمى لجرير ثوبه يجلس عليه فوضعه جرير على وجهه فقبله، وعمم عبد الرحمن بن عوف بيده، وكان يكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد منهم حديثه حتى يجاوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام، ويسر الرجل من أصحابه إذا كان مغموماً بالمداعبة، ولا يلتفت إلى أصحابه مخافة أن يراهم يمزحون فيستحيون، وكانوا ينشدون الشعر ويتذاكرون أمر الجاهلية وهو عندهم ساكت، وربما تبسم معهم، وكان يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، وكان يمشي في السوق مرة بعد أخرى فيأمر فيه وينهى، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى الصلاة، وكانت الأمة من إماء المدينة تأخذه بيده لتذهب به حيث شاءت، وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب، وكان يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويسأل لأصحابه ويأكل ما سقط من المائدة وسابق عائشة وهما

في سفر فسبقته ثم سابقها مرة أخرى فسبقها فقال: هـذه بتلـك، وكـان يخاطب كل قوم بما يفهمونه من لغتهم، ولما سئل: أمن امبر امصوم فـي امسفر؟ أجاب كذلك: ليس من امبر امصوم فـي امسـفر، وهـي لغـة الأشعريين وأهل اليمن وقال لرجل الط، أي: اسكت، وهي لغـة حميـر، وقال لاتنسانا يالأخي من دعائك، وقال لهلال غـلام المغيـرة: ادع لنـا واستغفر لنا، وقبّل عثمان بن مظعون وهو يبكي، واعتنق زيد بن حارثة وقبله، والتزم جعفراً وقبل ما بين عينيه، وقال للزبير: فداك أبي وأمـي، وكذا لسعد، وكان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ثـم يأكـل سـؤرهم ويشرب آخرهم ويقول: «**ساقي القوم آخرهم شربا**» وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ﷺ، كان يحتضن أولاد بناته ويحملهم أيضا على ظهره وحمل أمامة معه في صلاته وكان إذا سجد وضـعها، وإذا قام حملها، وأراد يوماً أن ينخ مخاض أسامة، فقالت عائشة: دعنـي أنا الذي أفعل، وكان إذا أتته هدية أطعم من حضر وخبـأ نصـيب مـن غاب، وكان يجلس بالأرض ويأكل الطعام في الأرض ويقول: «**إنما أنـا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، وإنما أنا ابـن امـرأة من قريش تأكل القديد**» وكان ﷺ لا يغلق دونه الأبواب، ولا يقوم عنده الحجاب، ولم يُغدَ عليه بالجفان ولم يُرَحْ عليه بهـا، حيثمـا انتهـى بـه المجلس جلس، لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما ويقول: «**لا يحل لأحـد أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما، ولا يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيـه ولكن تفسحوا له وتوسعوا**» وجاء رجل لحاجة فألقى له الرجل وسـادة فلم يقبلها حتى قضى له حاجته، وكان لا يتقي الأرض بشيء، وهو أشجع

الناس وأشدهم تواضعاً وأقلهم كبراً وأرحم للناس بالناس وأشدهم خوفاً من ربه تعالى، وما ضرب بيده آدمياً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولم تلمس يده يد امرأة لا يملك رقبتها ولا نكاحها، حتى في البيعة كن يلتمسن ثوبه، ولم يقل لخادمه أف قط، ولا لم فعلت؟ ولا هلا فعلت. وكان إذا تكلم بكلمة كررها ثلاثا حتى تفهم عنه وإذا سلم علي قوم مسلمين سلم ثلاث ﷺ، قال زيد: كنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، قد ترك نفسه من ثلاثة: الرياء والإكثار وما لا يعنيه، كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يواجه أحداً بما يكره، ولا يتكلم إلا فيما يرجى ثوابه، وقال لمملوك امرأة من مزينة: أبلغها سلامي، ووجه قوماً لقتل يهودي فلما قدموا وهو علي المنبر يخطب قال: أفلحت الوجوه، ومر علي غلمان يلعبون فقال: السلام عليكم يا صبيان، ومر علي نسوة قعود فألوى بيده بالتسليم وكان الحبشة يلعبون في المسجد ويزفنون[1] فقام ينظر إليهم وعائشة تنظر خلفه حتى سئمت فانصرفت وانصرف، وكان قيامه لأجلها، وأخذ ثوب حذيفة فستر عليه حتى اغتسل، وكان يضع الإناء للهرة لتشرب منه، وكان إذا قدم من سفر يلقى صبيان أهل بيته، وكان يواسي الشعراء وأمثالهم، ويسمع الشعر ويرق له ويهش، وكسا كعباً بردة لما أنشد "بانت سعاد"، وكان يركب حيناً الحمار عرياناً وحيناً البغلة، وحينا الجمل وحيناً الناقة، وحينا الفرس، وأحيانا راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، وكان يردف خلفه وأمامه بعض نسائه وعبيده،

---

(١) هكذا بالأصل.

ووضع ركبته عند بعيره فوضعت صفية رجلها عليها فركبت، وركب جابر الجمل وهو ﷺ يسوقه يضربه بالعصا، وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة - أي المتغيرة - فيجيب، وكانت عائشة تشرب وتأكل وهي حائض ثم تناوله فيضع فاه على موضع فمها فيأكل ويشرب، وترجل رأسه وهي حائض، واغتسل هو وميمونة في قصعة فيها أثر العجين، واغتسل هو وعائشة من إناء واحد وهي تقول: دع لي دع لي، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً ﷺ وشرَّفَ وكرَّمَ ومجَّدَ وعظَّم.

(التنبيه الرابع) قوله ردف وردود تقدم أن الردف تقال لكل ما تبع شيئاً، ولذلك ليكن في كريم علمك أن الله تبارك وتعالى أردف له نبيه ﷺ في ثلاثة أشياء: أحدها: الوجود، وثانيها: رفع الذكر، وثالثها: الطاعة أما الوجود ففي "نزهة الراوي": وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء **«قال يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، ومن الثالث نور أنسهم بالله وهو**

التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» وقد اختلف: هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أو العرش؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمذاني: الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» فهذا صريح أن التقدير واقع بعد خلق العرش والتقدير واقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً «أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء» رواه أحمد والطبراني وصححاه. وروى أحمد والترمذي وصححاه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً أن الماء خلق قبل العرش، وروى السدي بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، والجمع بينه وبين ما قبله أن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي والماء والعرش، اهـ. وقيل: الأولية في كل بالإضافة إلى جنسه أي أول ما خلق الله من الأنوار نوره ﷺ، ومن المخلخلات الماء، ومن الشفافات العرش، ومن الجسمانية القلم، وفي أحكام ابن القطان أن النبي ﷺ قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف علم» وفي الخبر: «لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره وكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر الأنوار، ثم رفعه إلى سائر مملكته وحمله أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السموات ليرى عجائب ملكوته».

(فرع) قال جعفر بن محمد: مكث الروح في رأس آدم مائة عام وفي صدره مائة عام، وفي ساقيه وقدميه مائة ثم علمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس فطرده الله تعالى في ملكه وملكوته وفي "الجامع الصغير" **«كنت أول الناس في الخلق وآخرهم بالبعث»** وفيه: **«كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»** (فإن قلت): إن النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجوداً وإنما تكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله؟ (فأجاب) الشيخ تقي الدين السبكي: قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: "كنت نبياً" إلى روحه الشريفة وإلى حقيقته من الحقائق، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها من له الخلق والأمر أو من أيده الله بنور إلهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، اهـ. المراد منه ورفع ذكره ﷺ، فقد قال في "الشفا" عن قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة؛ فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذُكِرتَ ذُكِرتَ معي»** قال: قال

ابن عطاء: جعلت تمام الإيمان بذكرك معي، وقال أيضا: جعلتك من ذكري، فمن ذكرك ذكرني. قال جعفر بن محمد الصادق: لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية، وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة، وأما الطاعة فقد روي عن عمر أنه قال: من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] وقد تقدم من هذا المعنى – أي: وجوب اتباع النبي ﷺ – ما يشفي ويكفي.

(التنبيه الخامس) قوله وأذان ذاك أم ، تقدم تعريف الأذان لغة (والمعنى هنا) أن الأذان أتى شاهداً على رفع ذكر النبي ﷺ، والإسناد إلى الأذان مجاز علي حد: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] إذ المراد: أهلها، وكذلك الذي قصد رفع ذكر النبي ﷺ بالأذان والإقامة والتشهد والخطب، وفي غير موضع من القرآن: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النور:٥٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢] وفي تسميته "رسول الله" و"نبي الله" ومنه ذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به.

(فائدتان) (الأولى) في بدء الأذان وسببه، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادي لها أحد، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرناً مثل قرن اليهود. فقال عمر – رضي الله عنه: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فناد بالصلاة» أخرجه الخمسة إلا أبا داود. التحين:

طلب الحين والوقت، وعن أبي عمر بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: «اهتم رسول الله ﷺ للصلاة كيف يجتمع الناس لها، فقيل: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك فذكر له القنع وهو شبور اليهود، فلم يعجبه ذلك، فقال: هذا من أمر اليهود، فذكر له الناقوس فقال: هو من أمر النصارى، فانصرف عبد الله ابن زيد الأنصاري وهو مهتم لهمّ رسول الله ﷺ، فأُري الأذان في منامه» أخرجه أبو داود وفي أخرى له: «جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله لما رجعت لما رأيت من اهتمامك رأيت رجلاً كأن عليه ثوبين أخضرين، فقام على المسجد فأذن، ثم قعد قعدة ثم أقام فقال مثلها إلا أنه يقول: قد قامت الصلاة، ولولا أن يقول الناس لقلت إني كنت يقظانا غير نائم فقال رسول الله ﷺ: «لقد أراك الله خيراً» فمُرْ بلالاً فليؤذن فقال عمر - رضي الله عنه: أما أنا فقد رأيت مثل الذي رأى ولكني لما سبقت استحييت، وقال فيه: فاستقبل القبلة قال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله "مرتين" حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح "مرتين" الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم أمهل هنيهة ثم قام فقال مثلها إلا أنه زاد بعدما يقول: حي على الفلاح قد قامت الصلاة، قال رسول الله ﷺ «لقنها بلالا» فأذن بها بلال، الشبور: البوق والبوق بالضم: الذي ينفخ فيه، وعن عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به الناس لجمع للصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله

أتبيع الناقوس؟ قال: وما تعمل به؟ قلت ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قلت: بلى، فقال: تقول: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله. ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: تقول إذا أقمت الصلاة: قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله**» قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك، فقمت مع بلال فجعلت ألقي عليه ويؤذن به فسمع ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو في بيته فخرج وهو يجر رداءه يقول: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله ﷺ: «**فلله الحمد**» وفيه روايات أخر ضربنا عنها لحصول الكفاية في هذا.

(الفائدة الثانية) في بعض الأذان وبعض خواصه، قال صاحب تيسير الوصول عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لفعلوا**» أخرجه الشيخان. الاستهام: الاقتراع، وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، حتى إذا انقضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يذكر من قبل حتى يضل الرجل ما يدري كم صلى**» أخرجه الستة إلا الترمذي

وفي أخرى لمسلم: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته، فإذا انتهى رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا انتهت رجع فوسوس» وهذا لفظه وللبخاري نحوه، والمراد بالتثويب ههنا: إقامة الصلاة، ومعنى أحال: تحول عن موضعه، وعن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء» قال الراوي: والروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً، أخرجه مسلم، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي، فلما سكت قال رسول الله ﷺ: «من قال مثل هذا يقينا دخل الجنة» أخرجه النسائي. وعن ابن عمر بن العاص - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» أخرجه الخمسة إلا البخاري، وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع الأذان: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته - وفي رواية: كما وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة» أخرجه الخمسة إلا مسلماً، وعن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر قال أحدكم: الله أكبر الله أكبر ثم إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله

ثم إذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله ثم إذا قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم إذا قال: حي على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم إذا قال: الله أكبر الله أكبر قال: الله أكبر الله أكبر، ثم إذا قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة» أخرجه مسلم وأبو داود. وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا - وفي رواية: نبياً وبالإسلام ديناً .. غفر الله له ذنبه» أخرجه الخمسة إلا البخاري، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس، وشاهد الصلاة في الجماعة يكتب له خمس وعشرون صلاة ويكفر عنه ما بينهما» أخرجه أبو داود والنسائي، وفي رواية بعد قوله: "كل رطب ويابس": «وله مثل أجر من صلى معه». المدى الأمد والغاية، والمعنى أنه يستوفي ويستكمل مغفرة الله إذ استوفى وسعه في رفع صوته فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ الغاية من الصوت وقيل غير ذلك، وعن البراء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مدى صوته ويصدق من سمعه من رطب ويابس، وله أجر من صلى معه» أخرجه النسائي، وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن أبا سعيد - رضي الله عنه - قال له: أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه «لا يسمع صوت

المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري ومالك والنسائي، وعن معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» أخرجه مسلم، وأما خواص الأذان فمنها ما روي عن بعض الصالحين عن الخضر عليه السلام أنّ منْ قَبّلَ ظفري إبهاميه ومسح بهما على عينيه عند قول المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، وقال: مرحباً بحبيبي وقرة عيني محمد صلى الله عليه وسلم لم يصبه وجع العينين، ومنها عن بعض العلماء أنه قال: إذا أُذّنَ في أذن المصروع اليمنى وأُقيمَ في اليسرى أفاق، وإذا فعل ذلك بالصبي بعد الولادة لم تصبه أم الصبيان، ومنها عن بعض الصالحين أن الإنسان إذا ضل في الطريق وأذن هداه الله، ومنها - ولا يعرفها إلا القليل - أن تكتب الأذان والإقامة على ظهر المحموم يبرأ سريعاً بإذن الله تعالى ومنها أن من أذن في قفا المسافر لابد أن يرجع بإذن الله تعالى، كل هذه الخواص من فوائد المائة في الفائدة التاسعة إلا التي للحمى، وقال لي شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - إن حكايته تؤدي للعافية في الأسنان وجربتها، ومن شاء فليجرب مارآه فإن بالتجريب يحصل التقريب .

(التنبيه السادس) في حقيقة "الوسيلة" التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوها له عند الأذان: قال الحافظ عماد الدين بن كثير: الوسيلة علَمٌ على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ، وهي أقرب منزلة إلى العرش، وذلك أنه لما كان ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأصدقهم فيه محبة كانت منزلته أقرب

المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنــة، وإنمــا أمــر أمتــه ليسألوها له لينالوا بذلك الزلفى وزيادة الإيمان، وقيل: إن الله تعالى هيأها له بأسباب، منها دعاء أمته له بنيلها لما منحوا على يديــه مــن الهــدى والعرفان، ومنها غير ذلك، وأما "الفضيلة" فهي الرتبة الزائدة بخصائص المزيد على سائر الرتب باستحقاقه الشفاعة العظمى حيث همة كل رسول بشري ومقرب ملكي نفسه فدفعوها إليه بعدما عرضت على كل فرد من أفرادهم بمشهد من العالم العلوى والسفلي لتظهر بذلك مرتبتــه وتتحقــق فضيلته ويتأكد ذلك تأكيداً لا يدرك مداه ولا يحاط بمنتهاه عند قول العلي الأعلى: قل تسمع، وسل تعطه واشفع تشفع، حيث تجلى باسمه المنتقم في اليوم العظيم فأعيُن الخلق إليه طامحة، وهمم أولى العــزم إلــى طلعتــه لامحة، ونفوس المقربين له بالتقدم سامحة.

(التنبيه السابع) اعلم أن ساعة الأذان من الأوقــات التــي تســن الصلاة على النبي ﷺ فيها، قال ابن شامة: ويسن إكثار الصلاة عليه في كل وقت، ويتأكد الأمر بها عند ذكره وسماع اسمه أو كتبه، وأول الدعاء وآخره، وعند الأذان، ودخول المسجد، والخروج منه، ويجب في التشــهد الأخير عند الشافعي ويسن عند مالك وصلاة الجنائز، وخطبــة الجمعــة وينبغي أن يكتب في صدر الرسائل بعد البسملة الصلاة عليه وعلى آلــه ﷺ، قال القاضي عياض: على هذا مضت الأمــة فــي أقطــار الأرض، ومنهم من يختم بها الكتاب أيضاً، قال النووي: ويُسَنّ أن يصلّى عليه بين لفظ الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما، ويرفــع قــارئ الحــديث ونحوه بهما صوته بلا مبالغة، وهما مستحبان أي الصلاة والتسليم أيضــاً

على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً، وتجوز على غيرهم بالتبعية، ويكرهان على غير الأنبياء استقلالاً لا كراهة تنزيه في الأصح، ويسن الترضي والترحم على الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى وقتنا هذا، فيقال: علي - رضي الله عنه - أو: رحمه الله ونحوه، ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد - رضي الله عنهم -.

(التنبيه الثامن) اعلم أن هذه القصيدة كما تقدم اثنا عشر بيتاً، وهو عدد محمود في الأعداد حتى إن من رأى أنه يعد اثني عشر في المنام فإنه يظهر بالسنة أو تظهر سنة في البلد الذي هو فيه، قال ناظم التعبير:

وإن عددت في المنام اثنا عشر فسنة بها الكمال قد تظهر

ويكفي في اختياره كون الله تبارك وتعالى اختاره لعدد شهوره التي بني عليها دهره يوم خلقه للسموات والأرض، قال تعالى: **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** [التوبة:٣٦] ومعنى في "كتاب الله" أي فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصواباً وقيل: في اللوح، وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع: **«ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»** والمعنى: رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه، وعاد الحج في ذي الحجة وبدل النسيء الذي كان في الجاهلية وهو تأخير أحد الأشهر الحرم عن موضعه وجعل شهر آخر مكانه فأبطله الله بنبيه ﷺ، وجعل

كل شهر في موضعه وثبت ذلك إلى القيامة ولله الحمد، وجعل ذلك العدد في حروف لا إله إلا الله وجمعه عدد حروف محمد رسول الله، وجعل الله ذلك العدد أيضاً لليل والنهار في السوائع، بأن جعل لليل اثنى عشر ساعة، وما زاد لا يعتبر، وللنهار كذلك إلا بالإيلاج الذي لا يدركه إلا أهل البصائر، قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج:٦١] وذلك بأن يجعل ساعتين أو أكثر أو أقل من النهار في الشتاء لليل، ويجعل قدر ذلك من الليل في النهار للصيف ومع ذلك العدد لا ينتقص في الظاهر بخلاف الطول والقصر.

(فائدة فقهية) من حلف بالحرام من امرأته أن صلاة الصبح ليلية لأنها يجهر فيها والجهر معروف لصلوات الليل وقال ﷺ: «صلاة النهار عجماء» أي لا جهر فيها، ومن حلف أنها نهارية لا يحنث أيضاً؛ لأن الصوم واجب من ساعتها، والصوم ليس بواجب إلا في النهار قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ﴾ [البقرة:١٨٧] فعلم من ذلك بأن صلاة الصبح من النهار، وقال ﷺ: «الفجر فجران، فجر يحل فيه الأكل على الصائم وتحرم فيه الصلاة وهو الفجر الكاذب، وفجر يحرم فيه الأكل وتحل فيه الصلاة وهو الفجر الصادق» وهذا من أسرار شريعة الله التي لا يطلع عليها أحداً من عبيده إلا الخواص.

(التنبيه التاسع) اعلم أني جعلت هذه القصيدة مائة وثمانية عشر كلمة على عدد اسمين من أسمائه تعالى هما "مليك، حي" رجاء مني من الله أن يجعلها مليكة على العقول بحيث يحارون فيها حيرة رعية الملك

في كثير أموره، وتزيدهم حياة بتفكرهم؛ فيها لقوله ﷺ: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة» قاله في "الراموز"، وروي: «فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة» قاله في "التنوير" وجعلت عدد حروفها ثلاثمائة وأربعة وسبعين على عدد اسمين من أسمائه تعالى هما: "كريم، صمد" رجاء مني من الله أن يجعلها من طيب القول الذي يكرم قائله ويجعلها مما يُصمَد أي يقصد إليه في المناظرات، ويسلم لصاحبه في المناضلات وجعلت في متنها اسمين من أسمائه تعالى هما رؤوف ودود رجاء مني من الله أن يرأف بقائلها وقارئها مدى الدهور ويجعل حبهما في القلوب ويرزقهما بالحب كل مرغوب.

(التنبيه العاشر) اعلم أن عدة أبيات القصيدة وكلماتها وحروفها إذا ضم جميعه صار خمسمائة وأربعة على عدد اسمين من أسمائه تعالى هما "قدوس، عزيز" وأرجو الله أن يقدسني ويعزني ويقدس ويعز قارئها ومن تلقاها بالقبول، وترك التعرض لها بما يفوقها أو يشابهها لكون الندرر محبوب في الصدور مع أني ما فعلتها إلا لينتفع بها ويقتدى بها والتعرض ينافيهما والنية لكسير العمل، والله يعلم المفسد من المصلح ولم يزل من العادة التحدي للفائدة بل ذلك أكثر من أن يحصى، أو به في كتاب يستقصى، ومن أطرفه وأحضره ما حكى الإمام الحريري المقامة السادسة عشر من خبر القوم الذين اجتمعوا وكانوا خمسة وجالوا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس، وقالوا: من ابتدأ منا فليقل ثلاث كلمات ويتلوه الذي في ميمنته بأربع وتتدرج الزيادة إلى آخرها فيكون أتيا بسبعة، فتكلم الأول وقال: "لم أخامل"، وقال ميمنه: كبر رجاء أجر

ربك" وقال الذي يليه: "من يرب إذا بريتم" وقال الآخر: "سكت كل من تم نك نكس" وبقي الذي جاء عليه قول سبع كلمات متحيراً فلم يدر ما يقول وهو صاحب الحريري الذي يقال له "الحارث بن همام" حتى تفضل الله عليه بشيخه أبي يزيد السروجي فقال له: إن أحببت النثر فقل لهم: لذ بكل مؤمل إذ ألم وملك بذل، وإن أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم:

أس أرملا إذا عـرا ... وراع إذا المرء أسا

اسند أخـا نباهـة ... ابن إخـاء دنسـا

اسئل جناب غاشـم ... مشاغب إن جلسـا

أسر إذا هب مـرا ... وارم به إذا رسـا

اسكن تقو فعسـى ... يسعف وقتاً نكسـا

ومن ذلك أيضاً ما حُكيَ عن القاضي الفاضل والعماد الكاتب أن القاضي الفاضل مر على العماد جالساً وهو راكب فرساً، فقال له العماد: سر فلا كبابك الفرس، فقال له الفاضل: دام علا العماد، ومن هذا المعنى في القرآن (تحت) و(لكل) و(كل في فلك)[1] و(ربك فكبـر)[2] وبالجملة فالتحدي لم يزل من شأن العقلاء والبلغاء، وقد تفضل الله علينا - ولـه الحمد - بأشياء منه كأبيات ليس فيها حرف منقوط وأخرى ليس فيه حرف مهمل ونحو ذلك.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣]

(٢) [المدثر:٣]

(التنبيه الحادي عشر) اعلم أن الله تبارك وتعالى ختم العام بذي الحجة وجعله عيداً لعبيده، ولذلك ختمت القصيدة بالدعاء للنبي ﷺ بطلب الزيادة له من الصلاة والسلام ومن كل فضل وشرف وعلو مرتبة وغير ذلك ككثرة الأتباع والخيرات الظاهرات والباطنات؛ لأن ذلك هو عيدنا معشر الأمة وزيادتنا وفخرنا لما فيه من امتثال أمر ربنا وإعادة الفضيلة علينا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] وقال ﷺ: «**من صلى علي في اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها لأخراه وثلاثين لدنياه**» وقال: «**من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب**» وقال: «**من صلى علي في كل يوم خمسمائة لم يفتقر أبدا**» وفي "جامع الترمذي" أن من صلى على النبي ﷺ في مجلس مرة أجزأ عنه.

(التنبيه الثاني عشر) اعلم أن أفضل الكلام ما قل وأفاد ولا سيما جهد المقل، وقال ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المقل، وابدأ بمن تعول**» قال المناوي: المقل: قليل المال، يعني قدرته واستطاعته، وإنما كان ذلك أفضل لدلالته على الثقة بالله. اهـ. لاسيما إن كان ذلك من العلم، قال ﷺ: «**أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم**» واعلم أن من عجز عن ثمانية فعليه ثمانون كما قال بعض السلف (الأول) من أراد ثواب قيام الليل وهو نائم فلا يعصى الله بالنهار (الثانية) من أراد ثواب صيام الأبد وهو مفطر فعليه بحفظ لسانه (الثالثة) من أراد فضل العلماء فليتفكر في خلق السموات والأرض (الرابعة) من أراد

فضل الصدقة فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر (الخامسة) من أراد فضل الزكاة فليكف نفسه عن الشبهات (السادسة) من أراد فضل الحج فليلازم الجماعة (السابعة) من أراد فضل العابدين فليرحم جميع خلق الله (الثامنة) من أراد فضل الأولياء فلا يرضى لأخيه المؤمن إلا ما يرضاه لنفسه ، وقال ﷺ: **«أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله تعالى وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيراً أو تصمت»**

(خاتمة بفائدتين) الأولى في بعض ما يورث المحبة ويزرع في القلوب المودة وبعض فوائد الود والاجتماع (منها الصلاح) قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم:٩٦] أي محبة في القلوب، (والزهد) قال ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»** (والعفو) قال الله تعالى: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** [فصلت:٣٤] قال عليه الصلاة والسلام: **«تعافوا تسقط بينكم»**[١] (ومن ذلك التواضع) قال عليه السلام: **«ثمرة التواضع المحبة »** (ومنه السخاء) قال عليه السلام: **« من طلب محبة الناس فليبذل ماله »** وقال ابن مهران: من طلب مرضاة الناس بلا شيء فليصادق أهل القبور. وكثيراً ما كنت أسمع شيخنا - رضي الله عنه - يقول: ثلاثة لا تنال إلا بجعل المرء ماله أمامه بمعنى: بذله للدار الآخرة ومحبة الناس وطرق

---

(١) هكذا في الأصل والظاهر أن فيه نقصاً، والمعنى: تسقط بينكم العداوات. اهـ. مصححه.

الأشياخ (ومنه الهدية) قال ﷺ: «تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء» وقيل: «نعم المفتاح الهدية أمام الحاجة» وقال: «الهدية تذهب السخيمة» أي الغل والحقد، وأنشدوا:

إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الفظاظة من كواها

وقال ﷺ: «تهادوا الطعام؛ فإن ذلك توسعة لرزقكم» (فرع) قال ﷺ: «من أهديت إليه هدية ومعه قوم فهم شركاؤه فيها وإن كانت ورقا أو ذهباً» وقد أمر ﷺ بالمكافأة بها وإعطاء خير منها، وعوض ببكر ست بكرات، وبطبق من رطب وقثاء بملء كفه حلياً؛ قال وهب: وترك المكافأة من التطفيف. وقال: ولا بأس بإهداء القليل، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» وهو نصف الظلف وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أهدي إلي ذراع لقبلت» وقد كان أزواجه ﷺ يتهادون الجراد بينهن، ويكره رد الهدية، ومن منعه من قبولها مانع شرعي فليحسن العذر (ومنه المصافحة) قال ﷺ: «تصافحوا يذهب الغل» وقال: «من أخذ بيد أخيه المسلم إكراما له أكرمه الله» وقال: «من تمام النعمة والتحية الأخذ باليد». وقال ﷺ: «زر غباً تزدد حباً» وقال: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه» وقال: «إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فإنه أوصل للمودة» وقال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها» وفي المثل قطع الطراوة عداوة، أي: قطع العادة، (ومنه الدعاء للمؤمنين)، قال ﷺ: «من أراد أن يجعل الله له عنده عهداً وفي قلوب

المؤمنين مودة فليكثر من الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات» (ومنه تسوية الصفوف) في الصلاة، قال ﷺ:«استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» (ومن ذلك إفشاء السلام) ومعناه أن تسلم عليه كلما لقيته، قال ﷺ: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» ومن فوائد المحبة، قال ﷺ: «من نظر إلى أخيه نظر وُدّ غفر الله له» وقال: «من أحب قوما فهو معهم»، ومن فوائد الاجتماع: العز والقوة والنصر على الأعداء، ولذلك لما قال رجل من الأنصار يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير قال عمر: سيفان في غمد لا يجتمعان ثم بايع لأبي بكر، فبايع الناس لأبي بكر وذلك أنه إذا بويع لاثنين تغير الأمر وتبدد، وقوي العدو وتمدد، واشتد الخلاف وتجدد، وتنغص العيش وتنكد، قال الشاعر:

فالافتراق مذل ما به رشد والاجتماع يعز الأهل والجلا

وفي اجتماع القلوب تزول الكروب ، قال تعالى في قوم مقتهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

(الفائدة الثانية) قال ﷺ: «من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة الغداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً، خمس للدنيا وخمس للآخرة: حسبي الله لديني، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن حسدني حسبي الله لمن بغى علي، حسبي الله لمن كادني بسوء، حسبي الله عند

الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الميزان حسبي الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» وكان ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم» وقال علي: لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب وشدة أن أقولها: «لا إله إلا الله العظيم الكريم سبحانك تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين» وقال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة عند الكرب أعانه الله» وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء» وقال ﷺ: «من قرأ آخر الحشر (لو أنزلنا)[1] إلخ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (ويروى) أن من أراد أن يشفيه الله من كل مرض فليقدم على قراءة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ [القدر] قبل صلاة الظهر بعد دخول الوقت، ويروى أن من أراد الله به خيراً علمه هذه الكلمات ولا ينساها وهي: "اللهم إني ضعيف فقوني، وإني فقير فأغنني، وأني ذليل فأعزني، وقال ﷺ: «إذا هممت بأمر فاستخر فيه سبعا ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه» وقال لي شيخنا - رضي الله عنه - أن صفة ذلك أن تقول: اللهم خر لي واختر لي فإني عجزت عن صلاح نفسي وفوضت أمري إليك، وقال

---

(١) [الحشر:٢١-٢٤]

ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين يخلص فيهما الله ثم استخار الله على أثر ذلك مائة مرة يقول: أستخير الله إلا وفقه الله وسدده» (ويروى) أن للقول الطيب في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج:٢٤] هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقيل: كل كلام طيب من تلاوة وتعلم علم نافع وأمر بمعروف ونهي عن منكر ووعظ وحكمة ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤] هو ما عليه محمد ﷺ وأصحابه (واعلم) أن من أراد أن يكفيه الله هم آخرته ودنياه فليقل مساء وصباحاً ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] سبع مرات، وكذلك من قرأ الإخلاص والمعوذتين كل واحدة ثلاثاً، وكان ﷺ يقول: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (واعلم) أنه لا أعظم حيلة لجلب الخير ودفع الضر من التوكل على الله، ومن الأدلة عليه الاشتغال بمعيشة الروح وهي الأعمال الصالحات كلها، ولذلك قلت في هذه القصيدة: زرع رزق راع زرع روح، بمعنى أن الله تعالى هيأ رزقه وأحضره له من جلب الخير ودفع الضير بالتمام، وعلى محمد أفضل الصلاة والسلام، وكان ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد ان يقوم من مجلسه يقول: «اللهم اغفر لنا ما أخطأنا، وما تعمدنا، وما أسررنا، وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»

(وهذا آخر ما قصدت جمعه)

من الكتاب على هذه القصيدة للأصحاب؛ وأرجو الله أن ينفع به خلقه في السماء وفي التراب، إنه هو البر الرحيم الكريم الوهاب

(ووافق تتميمه)

يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوال عام ستة وتسعين بعد المائتين والألف، أرانا الله خيره، وخير ما بعده؛ ووقانا ضيره، وضير ما بعده؛ آمين

وأسأل الله العظيم أن يغفر لي خطاياي، ويغفر لوالدي ووالديهم وذريتي وذراريهم، وزوجاتي وأحبتي وتلامذتي وذراريهم ووالديهم وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات،الأحياء والأموات

إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك يا من فتق رتق ترجمان الفؤاد، فنطق بالحكمة البالغة وعبر عن السر وأدى المراد، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى سبيل الرشاد.

(أما بعد) فيقول أفقر العبيد، وتراب نعل كل مراد ومريد، أحمد ابن عبد المولى العلمي اليملاحي لقد دار فلك السعادة من شنجيط بانتشار كواكب مؤلفات جوهر مجراتها المحيط، ماء العينين، وقدوة الخافقين شيخ شيوخنا الراسخ، وطود معارفها الشامخ، الشريف المنيف، ذي العلم والتدريس، عين أعيان أهل الصفا، سيدي محمد مصطفى بن القطب الواصل، من شدت للوصول إليه الرواحل، سيدي محمد فاضل، نفعنا الله ببركاتهما، وحشرنا في زمرتهما، ومما انتشر من مؤلفاته البديعة الشكل المعشرة بأقصى غاية الفضل، هذا الكتاب العجيب الأسلوب، المبلغ لكل خير مكتسب وموهوب المسمى "بفاتق الرتق، على راتق الفتق"، فلعمري أنه لاشتقاق موافق، وجناس مطابق، وتسمية جارية على نهج الخوارق ومن منح فاتح أقفال الرموز، ومظهر خفايا خبايا الكنوز، طبعه تحت ظل ملاذ الصادر والوارد، وملجأ القاطن والشارد، من افتخرت بإشراق شمس وجوده أقطار المغارب، وامتطى من محاسن المزايا ومزايا المعالي كل غارب، ذي الطلعة الوسيمة، والدولة الفخيمة، والخلق الأسمى، والسياسة العظمى، التي ليس لملك فوقها فوق، ولا تحتها مرمى، إذ شهدت له ملوك الأرض بالغاية القصوى في النبل والذكاء

وامتحنته الأعادي بكل ما يسير العقلاء، فأقروا له بتمامه والفضل ما شهدت به الأعداء، تاج مفرق المقام الشريف المولوي، ودرة عقد الملك الأفخم العلوي السلطان بن السلطان بن السلطان أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، مولانا الحسن لازالت أعلامه ميمونة منصورة، وأعداؤه بحول ذي القوة مخذولة مقهورة، ولا برح عنوان الفتح المبين، وسلوان كل قلب حزين، نجاه جده أشرف المخلوقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين أمين أمين يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الأمين بتصحيح العالم النحرير صاحب النقل والتحرير المميط عن وجه الفتوى بوقع الإبهام، المتبحر في النوازل والأحكام، الشريف العمراني، سيدي المهدي الوزاني، على ذمة الفقيه النبيه، العالم النزيه، تحفة الجليس وطرفة الأنيس، الناسك البركة الكامل، الشيخ سيدي محمد فاضل، مريد هذا الشيخ الأكبر، والأخذ من أخلاقه بالأوفر، جازاه الله بكل ما يتمنى وختم لنا وله بالزيادة في الحسنى بمطبعة فاس، المحروسة من كل باس ومباشرة من للطبع دمج ونمق، المعلم الحاج الطيب الأزرق، وحيث استوفى المرام في أواخر ذي الحجة الحرام، عام تسعة وثلاثمائة وألف من هجرته عليه الصلاة والسلام تطفلت على أدباء الجيل، وإن كنت لست من ذلك القبيل، فأنشأت تقريظا من بحر الطويل:

أروض أنيق في فلا السقع يانع   أم النهر ثدى للمزارع مرضع

أم الحور في مأوى الجنان تزينت   لطالب علم باشتياق تسارع

وهل فلتق للرتق تم انطباعه   بوشى مليح عدلته المطابع

فما هــو إلاجنــة الخلــد أزلفــت وثمر لها دانى القطوف وناصع

به أشرقت شمس العلوم على النهى ومن أوجه بدر المعارف طــالع

فلله مــا أبهــى نظــام عقــوده بجوهر بحــر فيضــه متتــابع

ولله مــا أســنى براعــة لفظــه بلطف المعاني للقلوب يضــاجع

تنفس عن صبح الحقائق وانجلت غياهــب جهــل ليلهــا متقنــع

بشيخ الشيوخ المصطفى ذى مآثر بمنع سر السر ذا الـرقم نــافع

بقطب رحى الأمجاد ماء عيونهــا لمركز جمع الفرق ذا الفرق جامع

بنجل ســراة أرشــدوا لمريــدهم وشادوا لركن الدين والشرك مانع

زكت نفسهم مذ ألبسوا حلل التقى فطابت وللبــر اطمأنــت تبــايع

بهم بيعة الرضوان خصت لســيد له انقادت الأكوان دان وشاسع

عليه صــلاة مــع ســلام مــتمم وآل وصحب ما بدا الحق صادع

بجاهه نرجو النجح في كل مقصد ونيل مراد فــي عــدو يفــاجع

هنيئــاً لفــاس والمغــارب كلهــا بطبــع كتــاب للفنــون منــوع

(أجد غررا) للطبــع أرخ تمامــه بآخر شهر الحج نوره ســاطع

وذيلته بتوشيح وسيط، في مخلع البسيط، فقلت:

ألــذ مــن نشــوة العقــارى ومزهــر يجلــب المــراح

وحمــل وقــر مــن النضــارى وغــادة تخجــل المــلاح

خــتم انطــاع لطبــع فــائق رتق عمــى الجهــل والضــلال

من كوكب العلـم منـه شـارق وبـــدره لاح بالكمـــال
وطلــع نخــل لديـه باسـق إذ زهــره يثمـر الجمـال
مؤلــف الطيــب النجــارى ومحتـد الخيـر والصــلاح
قد بان فــي الغـرب كالمنـارى لقاصــد الرشـد والنجــاح
محمـــد مصـــطفى الموافــق لأكـرم الخلـق فـي الخصـال
حبـر الـورى منبـع الخـوارق ماء العين ما النفس ما السجال
عن صـحبه يصـرف العوائـق يرقى إلـى منتهـى الوصـال
مـا زال للصـيت فـي انتشـار يسموا علـى ربـوة البطـاح
عليــه سـمت مـن الوقـار ونجـدة الليـث فـي الكفـاح
طلـق المحيـا لكـل طـارق لـذاك شـدت لـه الرحـال
مغـــارب الأرض والمشـــارق تطلــب مــن كفــه النــوال
يهدي مـن اللطـف كـل آبـق ويلـق المـزمن مـن العقـال

نسألك يا من فتق العوالم، فوسعت رحمته الجاهل والعالم، وأعطى كل شيء خلقه، وقدر له أجله ورزقه، أن تسعدنا بالمسعودين، ولا تجعلنا يا مولانا من المطرودين، وافتح لنا أبواب كل خير، واكشف عنا كل شر وضير، إلهي وقفنا ببابك معترين خائفين، فلا تردنـا مفتـرين كاسـفين إلهي ارحم أمة لا مغيث لها سواك، ولا مقر لها إلا إليك لما فيه رضـاك إلهي دعوناك بلسان واحد، أن تكفينا شر كل معاند، إلهي اجبـر كسـرنا ويسر أمرنا، وقابلنا بما هو أهل لفضلك وجمالك، ولا تقابلنا بما نحن لـه أهل من عدلك وجلالك، وعافنا واعف عنا بمنك وجودك وكرمك يا أرحم

الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آلــه وصـــحبه وســلم تسليما كثيراً أثيراً إلى يوم الدين.

يا من فتق السموات والأرض بعدما كانتا رتقاً، ورتق على ســر المعارف المصون قلب كل أنقى أتقى، نحمدك على ما أنعمت من الـنعم التي لا تحصى وأكملت من المنن التي لا تستقصى ونشكرك علــى مــا أبديت من نظام العوالم وهديت إلى واضح المعالم وشرحت مــن صــدر العارف ففاء بالمعارف حمداً وشكراً بكمال ذاتك وجمال صفاتك، ونصلي ونسلم على أحمد، عبدك الداعي إلى معرفتك وتوحيدك، من خلقته علــى أكمل طبع، وأجمل وصف، وشيدت به منار الــدين، فجــاء علــى أتــم وصف، سيدنا محمد المصطفى المختار مــن أعظــم جرثومــة وأكــرم ضئضئي يختار، وعلى آله وأصحابه الذين شــرفوا بصــحبته وخدمتــه وحفظوا شريعته ونصحوا لأمته، وعلى التابعين لهم بإحسان، ومحبــيهم بالقلب واللسان صلاة وسلاما يتعاقبان ما توالى الملوان وانتشر في الآفاق بالطبع دايوان.

(أما بعد) فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني محمد الفاطمي ابــن الحسين الصقلي الحسيني، أحسن الله عاقبته وجعــل اســتهلاله بكلمتــي الإخلاص خاتمته، قد تم بعون الله الكريم الوهــاب طبــع هــذا الكتــاب المستطاب الذي جمع من فنون الشريعة والحقيقة ما راق وطاب، حتــى صار بالمحاسن مملوء الوطاب، المسمى بفاتق الرتق على راتــق الفتــق وهو مما اعتنى بنظم شتيت أبياته المتفرقة الأحرف المجتمعــة المعــاني

المختلفة الوضع المؤتلفة المباني التي هي كعدة الشهور، وشرحه شرحا ينسي روائع الدهر وبدائع الزهور، الشيخ الإمام علم الأعلام سراج الإسلام رئيس حملة الأقلام، الولي العارف الصالح الزاهد المربي الناصح نادرة الفلك الذي قالت له المعالي أما غاية الفخر فلك المزرية فضائله بالقاضي الفاضل أبو عبد الله سيدي محمد مصطفى بن الشيخ الإمام العالم الهمام محمد فاضل المنى الشنجيطي الإدريسي الحسني المدعو ماء العينين وهو لقب وافق معناه دون مين:

وقلما أبصرت عيناك من رجل   إلا ومعناه إن فتشت في لقبه

لازال حماه ملاذا للقاصدين، ومنهلا عذبا للواردين، ولا برحت حجاج حرمه الأمين طائفة بكعبة جوده، تستلم الأسعد من ركنه اليمين ودام يرتقي في مراقي المعارف، ومن بحر سره الفياض يستقي كل غارف، أمين ولما تم طبع هذا الكتاب وراق، وفت منه مسك الختام على صفحات الأوراق، وتعطرت من طيبه أكناف الآفاق، وطارت به الركبان والرفاق أقسم لسان الحال العصر بأن هذا الموضوع يفوق دمية القصر ويهزأ بيتيمة الدهر، ويضحك على خميلة الزهر، وأن نسيم الصبا بعض من نفح طيبه وريحانة الألبا ما تفتحت إلا من رطيبه ونثير الجمان مستمد من قلائده وبديع الزمان طفيلي موائده، لاغرو أن رفع عقيرته بمدح جمال وضعه، ويؤرخ كمال طبعه، فقال بعدما اعتذر عن التقصير واستعان:

أهفت وهنا نسيمات الشمال   فتثنى كل أملود ممال

وهـــو در الحيـــا منتشـــراً فوق تيجان الروابـي والـتلال
وغـدت أرض ريــاض كسـيت بسط الـديباج تزهـو بالـدلال
وبــدا ثغــر الأقــاحي باسـما عن سـنا رق وعقـد مـن لآل
وجرى في جدولها كـالأيم فـي سرعة والسيف في صفو الصقال
وحكى السرو بهــا هيفــاء قـد لبسـت حلـة زهـو واختيـال
وعلى أوراقها الــورق غـدت وهي ما بين خصام وجـــدال
وبهــا أشـرق نـور عنـد مـا فـتح النـور بهاتيـك الظـلال
حملت ريح الصـبا مـن طيبـه ما يفوق للندا وطيـب الغـوال
خلته مسـك ختـام فـاح مـن فائق الرتق بطبع فـي اعتـدال
أي ديـوان غـدا فـي حسـنه مفـردا لـيس يثنـى بمثـال
كم عيون مـن فنـون حازهـا فغدا ينظر عـن عينـي غـزال
فهو أفق كم غـدا يطلـع مـن كوكـب زاه وشـمس وهـلال
إن تكـن أحرفـه قـد فرقـت فمعانيـه لهـا جمـع احتفـال
هـو جمـع سـالم دل علـى طول باع الجامع الفرد الخـلال
شيخ أهل العلم والعرفـان مـن نال من رب العلى أسمى منـال
مصطفى ابن الأفضل الفاضل من نسل إدريس الرضى بدر المعـالى
لقبـوه مـاء عينـي مهتـد فغـدا إنسـان عـين للكمـال
بحـره الطـافح مـن أسـراره فاض للـوراد بالعـذب الـزلال
قد روى العرفـان عـن آبائـه بالأسانيد الصـحيحات العـوالى

دام يرقى في المقامات إلى غاية تعجز أعيان الرجال
ثم لا زال لمن أمله في الهدى بدرا وبحراً في النوال
وغدا سامي حماه حرما لوفود ومحطا للرحال
وجزاه الله عن نصح الورى خير ما جازى على نصح الفعال
وجزى خير جزاء من سعى ناشرا بالطبع للسحر الحلال
من كتاب كان من عزته كهلال الأفق في بعد المنال
ثم إن الطبع قد يسره فأتى في وجنة الحسن كخال
وغدا غادة حسن فصحت بلطيف الشكل بلقيس الجمال
عن بديع الخط والضبط ومن حسن تصحيح بحمد المتعال
قلت لما أن تناهى وازدهى وبدا من وجهه نيل الوصال
دون (نهى) عن تناهي طبعه أرخوا (فاتق رتق بكمال)

١٣٧٤

أقول: هذا التاريخ من نوع المستثنى، وبيانه أن مجموع قوله فاتق رتق بكمال المؤرخ به ثلاث عشرة مائة وأربع وسبعون يحط منها عدد لفظ نهى المخرج بقوله: "دون" وهو خمس وستون فيبقى ثلاث عشر مائة وتسع وهو المراد، وصلى الله على نبيه ورسوله أكرم العباد، مولانا محمد لبنة التمام، ومسكه الختام، وعلى آله شموس الجمال، وأصحابه بدور الكمال.

(وقال العتيك بن محمد فاضل بن محمد الليل يمدح هذا الشـــرح فاتق الرتق):

ألا أيها الإخوان من كان ذا شوق … إلى جمع أصناف العلوم التي ترقي

وتكســب عــزا لايبيــد ورفعــة … وصاحبها يعلو ذوى الرتق والفتق

فما أبصرت عيني ولا سمعت أذني … كتابا لها يحوى سوى فاتق الرتــق

فلا يخلون من درسه الدهر ساعة … ففي ضمنه حور المعاني على الوفق

أحاديثهــا لا لايمــل ســماعها … هي السحر يا للسحر يجعل في النطق

أحاديث تجلو القلب بعد صــدائه … فطوراً بما للنفس من عيبها ينقــي

وطوراً بأسرار تنــور للحـــجى … وطوراً بما قد صح عن أكرم الخلق

وطورا بأخبــار يطــرب ذكرهــا … وطوراً بــآداب تحســن للخلــق

وطورا بشهد الشعر واللغة الفصحى … وطورا بفن النحو والشرع والحـــق

ولا غرو أن فــاق كــل مصــنف … مصنف من قد فاق من خط في رق

وخاض بحوراً لا تخاض بحيلــة … وأجلسه الرحمن في مجمع الطرق

ليصـــدر صــادرا ويــورد واردا … ويهدى به أهل الضلالة والفسق

فياربنــا بالشــيخ مــاء عيوننــا … وبفاتق الرتق المرونق فلتمــق

عبيدك شــرب الأوليــاء وقفــه … لسنة خير المرسلين ذوى الصــدق

عليهم صلاة الله ما نــال ســائل … مناه وما جادت يد الشيخ كالودق

وقال أيضا محمد بن عبد الله بن تكروز يمدحه جزاه الله بخير وقد أجاد ما شاء الله:

إلى كم لليلى بالصبا أنت عاشق	أما ترعوى أم حبها لا يفارق
أذابك دهرا ماصرفت من الهوى	أتتك به من نحو ليلى طوارق
أما ترعوى عن ذكر ليلى وكلما	تذكرت ليلى ماء عينيك دافق
بلى نظرت عيناك للكتب مرة	فأسلاك عن ليلاك ويحك شائق
كتاب نفيس لا يمل عناقه	وينسيك فيما كنت دهرا تعانق
وما ذاق أحلى من محياه مطعما	وأشهى على القلب الملوح ذائق
كتاب جليل فائق الرتق كاسمه	لقد أشرقت منه عليها الشوارق
وقد رتق الفتق الموسع خرقه	علينا وكل الرتق إذ ذاك فائق
وغاص على علم الحقائق غوصة	تراءت لأعمى القلب منها الحقائق
وقد كان في علم الأحاديث فائقا	وفي النحو والآداب والفقه فائق
وأبدى عويصا من بيان ومنطق	تحلى به الأسماع منا المناطق
عليك به فاعكف عليه ملازما	فإنك بالسباق لاشك لاحق
وإياك خلى لاتقل متأخرا	فإن رسول الله بالختم سابق
عليه صلاة الله ماهبت الصبا	نعم وسلام الله ما اخضر وارق

بسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

حمداً لمن لم تزل قدرته تبدي العجائب، المتفضل بأجل النعم وأكمل المواهب، الفاتق من رتق الوجود ما لم يكن يحسبه الإنسان من الموجود، نشكره سبحانه على نعم يعجز الضمير عن أداء شكرها ونرغب إليه في الزيادة من خيرها، ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المرسل بأفضل كتاب، وأفصح خطاب، خير من أرشد وعلم، وأفضل من لصوب الصواب هدى ويمم، الذي به ظهرت من بحر الحقائق ذخائره، القائل: أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الفائزين بالقرب من شريف جنابه.

(أما بعد) فلما عثر العبد الفقير المخطئ الحقير، المنادي من عظيم ذنبه يا رحمة الله أغيثي، أحمد بن المأمون الحسني العلوي البلغيثي، على عجيب هذا المؤلف، عثور شائق ذي لهف، وكانت المناظر متشوقة لاقتطاف أنواره، والمسامع متلهفة على تشنيفها بمعجز أخباره، صار عقلي أنشط به من ظبي معمر، وأسلط عليه من ذئب متنمر، أحرص في الإكباب عليه من حرباء، علماً مني بأنه بحر لا تنزحه الدلاء، ثم حاول خاطري التطاول في مدحه فاستنكف، ورام المجاراة في ميدان وصفه فوقف، إقراراً بالعجز وإنصافاً، واستتاراً مما لا أرى لي به اتصافاً، غير أن حب الانحياش إلى أهل الله أوجب اقتحام تلك العقبة عسى بحبهم نفك

من أوحال الذنوب هذه الرقبة وغير عجيب أن عجزت عن المدح وارتقاء ذلك الصرح، إذ مؤلفه أبقى الله بركته طار صيته واشتهر، وأنار نوره الكون وبهر، بما وهب من علمي الباطن والظاهر، ومنح من أسرار السرائر والظواهر، فهو العالم العلامة العالم العابد الخاشع الكامل، الولي الأشهر، والكبريت الأحمر، مربي المريدين، ومرقي الواصلين، صاحب الحقائق الإلهية، والمواهب الرحمانية

وما أراني بمستوف مناقبهم   ولو نظمت لهم زهر النجوم حلا

السيد الأسمى، والبركة العظمى، ذي النسب الباهر، والأصل الطاهر، من اشتاقت لرؤيته المناظر قبل أن تراه عيانا، والأذن تعشق قبل العين أحيانا، سيدي محمد مصطفى الملقب بماء العينين الشنجيطي الإدريسي أدام الله وجوده، ورقى في الحضرة الإلهية شهوده، ابن السيد الإمام القطب الهمام، ذو الكرامات التي سارت بأحاديثها الركبان، وتخلد شرفها في الأقطار والأزمان .

فطياء لا يحتاج فيها لشاهد   وتقريرى المعلوم ضرب من الجهل

حصن الأكابر والأفاضل أبو عبد الله سيدي محمد فاضل، سقاه الله من فيض رحماته، وأعاد عليّ وعلى المسلمين من وافر بركاته، فكم لسيدي محمد مصطفى المذكور من مآثر عجز عن عدها لسان القلم، وكم سمعنا له من تآليف عالية المقدار عند من أذعن وسلم، تستنشق ريح أخبارها الأرواح، وتستشرف للوقوف عليها كل الأشباح، ولا زال متصدياً رعاه الله لإبراز الخفايا وإحراز المزايا، وناهيك بهذا الشرح

العديم المثال، والمشروح للغريب المنوال، إذ لا أثر بعد عين، والمشاهدة تنفي المين، فقد تم بحمد الله نفعه لما نجز طبعه، فكان حسنة في صحائف الأيام، وغرة في جبين الشهور والأعوام، فجزى الله خيراً من كان على ذلك باعثاً، وعن هذا الكنز باحثاً، وكان وضعه الرائق، بمطبعة فاس العطرة الأنفاس، التي هي من مآثر ليث الملوك، الهادي لنهج السلوك الباحث عن تمهيد أساس الخيرات، الباحث على معادن ما يخلد المسرات المغمورة في رحمة الرحيم المنان، أبا عبد الرحمن، قدس الله روحه الكريمة، وأفاض عليه سجال نعمه العميمة، فقد بقيت حسنته هذه في قطر المغرب على طول الدوام، متضاعفة مكرماتها على ممر الأعوام، فكم أحيا بهذه المطبعة العامرة، من رسوم للعلم كانت دائرة، وكم انتفع بها من الخلائق، وبرز بها في العالم من رقائق.

ففي الحديث القدسي: «**طوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه**» وفي الحديث النبوي: «**الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**» فمن حسناتها التي لا تجحد وبركاتها التي لا تنفد، أن طبع بها هذا الشرح الجليل العديم النظير والمثيل، تحت ظل سيدنا أمير المؤمنين سلطان الملوك وملك السلاطين، الحريص على أحياء رسوم الدين ودائرها، القائم بشريعة أسلافه في عامر الغبراء وغابرها، الصارف عنان عنايته لنشر أعلام المجد وبثها، الباذل جهده النافذ في تجديد رثها السامي بعلا مجده سما السماك، المنتظم عزمه في انسباك رعيته أي انسباك، الناهج في الرفق بهم أمثل سنن، أبو علي سيدنا ومولانا الحسن خلد الله ملكه، وثبت في برج السيادة فلكه، وأكد سطوته في قلوب الكافرين وأمد سوابغ نعمه على المؤمنين، بمباشرة معلم دار الطباعة جمل الله بكل خير طباعه الماهر الأنمق الأبر الحاج الطيب الأزرقي.

وقد قلت مؤرخاً تمام طبعه وإنجاز وضعه:

أذى خمائل زهر نشـرها عبقـا	أم ذي شمائل خود لحظهـا رشـقا
أم ذي محجبة الاعطاف قد بـرز	ت تميل قلب شجي بـالهوى قلقـا
أم ذي بشائر قد عمت مواهبهـا	بطبع فاتق رتـق شـربه دفقـا
بختم طبعه قد تـم المنـى فغـدا	باليمين يروى حديثا بالعلا علقـا
شرح بدا شارحا للصدر إذ بـه	حوت خزائن علم فهمها غلقـا
تود أذن المعـالى أنهـا سـمعت	مـن طيـه خبـراً منتسـقا
لله ما به من علـم ومـن حكـم	ومن حقائق منها القلب قد وثقـا
ومن رقـائق آداب تشـوق لهـا	الأسماع ثم بهـا الإنذار قد لحقـا
وكم به من حـديث قـل ذاكـره	ومن تفاسـير آي نورهـا برقـا
لاغرو حيث بدا من فكر من كملت	له صفات العلا حتى عـلا الأفقـا
مأوى المعـالى ومثـوى الخيـر	ومعدن العلم والعرفان منه رقـا
ذاك الملقب ما العينين مصـطفى	الاسم كلا الطمين السر قد دهقـا
في ذا الكتاب دليل الصدق مني على	تصحيح ظني به أعظم به نسقـا
فارشف رضاب الهنا من ثغر عـزة	تمت محاسنه طبعا بـه اتسـقا
لسان حمدى تمام الخـط أرخـه	(مسك الهنا بانتجاز الطبع قد عبقـا)

وهذا التاريخ يسمى عندهم بالمذيل، وهو أن يكون جملـه ناقصـا فيكمل بحرف أو أكثر مع التنبيه على ذلك، وبيانه هنا أن قولنا مسك الهنا إلى آخر الشطر العدد الخارج منه هو هذا ١٠٠٣ فاحتيج إلى إكمال عدد التاريخ بتسعة هي الطاء من لفظ الخط وقد نبهت عليها بقولي تمام الخط

وتمام الخط هو الطاء وتمام منصوب على نزع الخافض وهو وإن كــان موقوفا على السماع لكن بالجنس لا بالشخص، وقد سمع من كلام العرب كثير مما حذف منه حرف الجر وهو باء فانتصب المجرور والله أعلم.

قام بالتصحيح
مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي
وتحقيق التراث والتصحيح والمراجعة
ت: ٠١٠٤٩٥٢٢١٤-٥٤٥٩٧٥٠